

Princeton University Library



32101 057496950

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.

--	--

التفسير

لِكِتَابِ اللَّهِ الْمُنِيرِ

يَحْتَوِي هَذَا الْمَكْرَجُ عَلَى مَجْمُوعَةِ تَفْسِيرِ عَزَائِمِ الْأَشْيَاءِ الْفَقْهِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ وَالْأَجْمَاعِيَّةِ وَالْأَرَبِيَّةِ وَالْإِنْفِصَالِيَّةِ بِصَوْلِ الْعَرَبِ

بِقَلَمِ مُحَمَّدٍ الْكَرَمِيِّ

حَقَّقَ الطَّبِيعَ مَحْفُوظَةً

الْجُزْءُ الْخَامِسُ

سَنَةِ ١٤٠٢ هـ

Daftar
inv. # 73/1/1012

* (سورة الرعد) *

مكية وعدد آياتها ثلاث واربعون آية وجهة تسميتها بالرعد وجود هذه الكلمة فيها كالبقرة وآل عمران وغيرها .

* (بسم الله الرحمن الرحيم : ألمر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون : الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون) *

التسمية شعار التوحيد وحسن تفأل في العمل والحروف المقطعة تقدم موجز من القول عنها في أول سورة البقرة وتلك اسم اشارة اما الى محتويات هذه السورة فتكون اشارة الى ما بعدها واما الى ما سبق نزوله من آي الذكر الحكيم فتكون اشارة الى ما قبلها وآيات الكتاب براهينه وحججه سواء كانت كونية كهذه الآيات الطالعة في الآفاق والأنفس ام عقلية علمية وهى ما تصدى لبيانها القرآن في شطر واسع من سوره وآياته نظير ولا يغتب بعضكم بعضا أوجب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا وبما ان القرآن آخر الكتب السماوية نزولا وهو النظام الخاص بدين الاسلام يجب علينا مقدمة أن نفهرس الاسلام للمسلمين وغيرهم حتى نعرف مساسه بالحياة التي يتطلبها كل ذى روح طلبا حثيثا وبخاصة الأنان فنقول كل انشى من الحيوان والأنان عند ما تضع جنينها انما تضعه واجداً لمجموعة صلاحيات أريدت له كلاً وما اريد له

RECIP
(Arab)

BP130
4
K376
1981
JUL 25

الإنسان بصلاحياته وكل نوع من انواع الحيوان بصلاحياته ايضا وكافئة هذه الصلاحيات بصنوفها قابلة للتنمية بمقدور سعتها وابعاد قابليتها فإذا لم تُنم بقية عاطلة بالمرّة ومن هنا نستطيع ان نجزم بأن الفرس المعلم اهدى من الانسان المهمل لأن الأول اعلمت صلاحياته والثانى بقى مهملًا ويتحد الانسان والحيوان فى نتيجة الأهمال وان اختلفا فى نتيجة الأعمال كلًّا بحسب ابعاده وظروفه وقابليته فقابلية الانسان تترقى به الى صلاحية النبوة وصلاحية كلب الصيد المهارة فى الصيد لا اكثر ومن هنا نرى الدين قبل انخلاق هذه الثقافات الجديدة يوصى الآباء والأمهات بتربية الفرخ على الفرائض والسنن الشرعية فى حال انه بعيد عن التكليف بفواصل مهمة وما ذلك الا لينشأ مرناً معتاداً مسبقاً بمعرفة الأشياء قبل تهاجمها عليه وعن هذه الروح الدينيّة انبثقت قوانين المعارف فتحت المدارس أمام من أنهى السادسة من عمره كما ورد فى الشرع علمهم فرائض الصلاة والصيام وهم ابناء سبع فكأن السابعة من العمر مرحلة بدائية لتحلّل الوظائف الألزامية ولعدم هذا الرصيد قبل السابعة من العمر ترى هذا الموجود الأنسانى فى أوله لا يعرف الا نفسه فمثلاً ترى الفرخ يزحف نحو ظرف الفاكهة الموضوع بين جماعته واهله ليجرّه الى نفسه ويختزنه لشخصه وهذه الغريزة غريزة كل حيوان فى أوله سواء كان انساناً ام كلباً فاذا علم الانسان والكلب انصرفا عن هذه السجية فلا يعد الانسان يده الا الى طعامه الذى وضع أمامه ولا يأكل الكلب المعلم حتى يسهم له واذا أهمل بقيا كما كانا والحالة الأولى وهى حالة الاعتزاز بالنفس وحبّ الذات وعدم الاعتناء بحقوق الأغيار هى التى بارزها الاسلام فألقى الامتياز باللون وباللسان وبالمحيط وبالأعراض الأخرى وجعل الميز صرفاً بما يكتسبه الانسان

التفسير ج ٥

فهرست عن الاسلام

٣

لنفسه من علم ومعرفة وفنّ وفضيلة ان اكرمكم عند الله اتقاكم والأصحار بهذا الملاك نتيجة شعور حرّ يستحيل وجوده في البشر الا بعد نزع قشوره منه وتربيته تربية مثالية وعن هذه الاستحالة العادية تقريباً ترى الأم ومهما تحضرت وتبلورت معتزة بقشورها فكل أمة تحسب لنفسها حساباً لا تحسبه للآخرين وكل أسرة من أمة تحاول الأمتياز بنفسها عن بقية الأسر وترى بعض الافراد من الأسرة يتعالى بنفسه على البعض الآخر وحتى ينجربه التعاطم الى أن يُشرف انائه على اوانى الغير حتى لو كان الظرفان من مصنع واحد من مادة واحدة وطرز واحد وحتى تلبست هذه الانانية بالمنتسبين الى الديانات فتراهم يفضلون انفسهم على غيرهم ولو لم يحكموا على الغير ببطلان الدين وفساد العقيدة ولا ريب ان هذه المنقصة تقود الى التحيز والتشتت وينجر ذلك الى العداة والعداء يقود الى ما وراء الأنهياري وهو الفناء والقرآن والاسلام طردا عن اتباعهما هذه الرذيلة بما جاء في الآية (٢٨٤) من سورة البقرة، آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله، وأنما لا نفرق بين احد من رسله مع أنهم من عناصر شتى والسنة مختلفة ومحيطات متفاوتة ونبوة ليست على سعة واحدة في الرقعة لان الهدف الذي يدعون اليه واحد وهو الله خالق الكون والكائنات ونظمه التي يقررها لعباده حسب المصالح الداعية وهذه الجهة فذة في عامة النبوات وكذلك احكام الله واحدة في اصل اعتبارها وان تفاوتت في طول عمرها وقصره حسبما توجه المصلحة ويوحى الغيب وكذلك الروح السالمة الانسانية واحدة لأن هدفها واحد وهو احراز السعادة في النشاطين، وهذا الدين الحرّ الاسلامي تنطوي فيه كليات نشير اليها (١- التوحيد) والتوحيد مصدر وُحِدَ يوحد توحيداً

ومعناه صير الشيء واحدا بأن كان الشيء أكثر من واحد فأدمج الجميع وصيره واحدا (نظير مواد السكنجيين وهى السكر والماء والخلل فان هذه الثلاثة بعد المزج تكون شيئا واحدا ونظيرها فى العقائد عقيدة التثليث عند المسيحيين فيعتبرون الخالق واحدا الا انه واحد بالاندغام والاندماج من الأب والأبن وروح القدس) او حذف ما زاد على الواحد وبقي الواحد (كأن يكون للإنسان شغلان مثلا فيحذف احدهما ويقتصر على الواحد الباقي فالثنوية مثلا القائلون بتعدد الآلهة حسب تعدد الخير والشر لو حذفوا عقيدة أن للشر رباً بحياله واقتصروا على العقيدة بالخالق الواحد الذى لا يكون عنه الا الخير وان الشر نتيجة الارواح الحيوانية المظلمة لكان ذلك منهم توحيداً لكن لا ذاك ولا هذا منظور هنا بل المنظور ان العلم اعتبر واجب الوجود واحداً غير قابل للشركة فان المشترك تارة يراد به المركب ذو الأجزاء المتعددة فان التركيب تفعيل يحتاج الى عامل يحصل منه ذلك التأليف بين الأجزاء فالمركب مفعول فليست فيه صلاحية الفعل الأعلا والمصدرية العليا لكل ما فى الكون وتارة يراد به الوجودات المنفصلة المستقلة وهذه تارة يراعى فيها اتحاد الأثر (نظير اقداح ثلاثة متشابهة من عامة نواحيها مملوءة ماء واحداً فى هويته وخواصه ومحل الحاجة هو واحد منها بلا تعيين فيحكم الضرورة يكون الأثنان الباقيان زائدين لاغيين من ناحية الاثر المطلوب) فعلى هذا تكون الوجودات المنفصلة المستقلة بعضها مكرر البعض الأخر ولا مصحح للتكرر فى منشأية الخلقة فان الكوائن انما تحتاج مصدرا واحدا وما زاد عليه يكون لغواً وتارة اخرى يلاحظ فيها تعدد الأثر فالمنوع عن الظهور مقهور والقاهر هو الذى يظهر اثره (مثلا ملح قليل يلقى فى ماء كثير فان اثر الملح القليل ينقهر بالماء الكثير) فيكون القاهر

هو المصدر، هذا كله تصوير للتوحيد والتكثير في المبدأ الخلاق .
ولكن الحقيقة الجاهرة التي لا تحتاج الى اعمال روية اكثر هسى ان
هذه العوالم بلسان حاجتها الى فاتق لها تدعو الى وجود هذا الفاتق
ولا تستطيع ان تؤمن بأن العوالم كانت ولا تزال كائنة وذلك لان الوجود
مؤنة في مقابل العدم فان الأعدام باعتبار أنّها سلوب محضة في غنى
عن التعليل لكنّ الوجودات وبالأخص عندما تلاحظ خواصّها لانستطيع
ان نغضّ النظر عنها وعن خواصّها كما غضنا النظر عن الأعدام ولا
يتمكن ذو شعور ان يمارى في ذلك وعن شهادة السنة الوجودات
الكونية افرغ القرآن بقوله انّ الله فالتق الحبّ والنوى فان الحبّ والنوى
وجودات جاهرة ومؤنة وجودها تحوجنا الى تقدر علة لها وأهمّ من نفس
وجودها بروز الآثار عنها كانفلاق الحبة عن البصلة وانفلاق النواة عنها
كذلك فان هذا البروز نتيجة اضطمام جوانح هذين الموجودين على
صلاحيات قابلة للأنماء والاستثمار وكلّ صلاحية لا ربط لها بالأخرى
فترى ان بصلة نواه التمر تصل بها الثقلبات الى ان تكون موادّ حلوة
وبصلة حب الحنظل تصل بها الثقلبات الى ان تكون موادّ مرة مهلكة وما
أبعد ما بين هذين الأثرين وما اكثر تفاوتات الآثار في الوجودات
فالحبة ذات الصلاحية وآية صلاحية فرضناها تدعونا الى أن نعتبر لها
عاملا اوجدها وزرع فيها هذه الصلاحيات ونوعها ولو كنا لا نعرف عن
هذا العامل شيئا فأن الاثر يدلّ على المؤثر ولا اوضح من هذا البرهان
حتى يستدلّ عليه بما يوضحه للأذهان وعلى هذا الرصيد الذي عرفته
نطق القرآن في ذيل الآيه التي ذكرنا صدها بقوله لا إله الا هو
خالق كل شىء فاعبدوه يعنى ان الخلقه تستدعى عله فذّه تكون مصدرا
لها اما كلمة فاعبدوه ففيها حلقات مترابطة مطويه يجب التنبيه عليها فان

الحاجة الى مصدر للخلق لا تعطى بلقائها ما تنطوى عليه كلمة فاعبدوه فان معنى هذا الامر (اعبدوه) هو اظهار العبودية والانقياد والطاعة لهذا المصدر ولازمه ان يكون موجوداً حياً عاقلاً في غاية الدربة بحيث لا يصلح سواه ان يكون مطاعاً بدون تقديم مقدمات وتوسيط وسائط فما الملزم لهذا المصدر بعد ان يكون موجوداً ان يكون حياً عالماً حكيماً وجواب هذا موجود في ضمن سلاسل الكائنات فان فيها وراء الجوامد ناميات والنمو دليل الحياة و في الناميات وجودات عاقلة مفكرة عالمة حكيمة في غاية من النزاهة والطمهارة ويستحيل ان تكون هذه الآثار لا عن صلاحيات كامنة في تلك الموجودات فانها جواهر لبيبة لا اعراض مجلوبة كاللباس على اللابس فهذه القوى والصلاحيات المنذكة في تلك الناميات التي هي فريق من طوائف الموجودات تعلن من طريق الآن ان المصدر الذي اوجد الموجودات موجود حتى عالم حكيم ومع ذلك يجب ان يكون مجرداً عن المادة لان المادة الموجودة هي بنفسها اثر من الآثار فلا يمكن ان تكون مصدراً لعامة الآثار والوجود المجرد انما يدرکه الانسان بالعلم فقط كما يدرك لزوم وجود المؤثر من طريق اثره فقط ولا غضاضة في ذلك كما انه ليس بفرضية مجردة لما قرأت انه نتيجة احتياج وجود الآثار اليه كاحتياج اللفظ الى لفظ والفعل الى فاعل ولا ريب ان الموجود الذي كل حكمة بالغة هي اشعاع منه يلزم ان يكون في القمة من الحكمة ومثل هذا لا معدل عن اطاعته فألى هنا نستحصل هذه النتيجة وهي ان العالم المشهود يقضى بوجود مصدر مفيض ترتبط به هذه الكوائن ارتباطاً اثر بمؤثر اذا فجعل هذا السلطان لغيره من شتات المخلوقات حماقة تبنّاها الدجالون ليعيشوا عليها بين العوام الذين لا يملكون اى تصور يفرض لأى شىء يفرض نعم الا اذا شاء هذا

المصدر ان يفيض بعناية خاصّة على بعض ذى صلاحية فيعطيه فيضا من افاضاته لا اعتباطا وتشهيا فان التشهى مستحيل على الحكيم مادام حافظا لحكمته ولعنوان علمه وعقله ومن هنا انشعبت الى العالم شعبتان احدهما لا تعترف بأية خصوصية لأى احد يفرض وحتى لو كان من اعظم الانبياء فأنها لاتراه الا بشرا عاديا فى الكونيات لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وهى فرقة الوهاية فانها وان كان اسمها متأخرا الا ان روحها قديمة وانما اشتهرت بهذا الاسم لان هذا الرجل الذى هو من دعائها حصلت له فى دوره شهرة كما حصلت لابن تيمية قبله وتستدل بأن سير الطبيعة انما الزمنا بالمصدر الخلاق ولا ربط لذلك بالمخلوقات الباقية ومهما بلغت من الفضل والكمال فان الفضل والكمال لا يؤتى ثمرات اعجازية كما هو واضح فان البنسلين يلم الجراحة ويبيسها لا تفلّة المقدّس فى ماء يشربه المجرّوح لان البنسلين مجموعة مواد طبيعية من اثرها ذلك والصلاة التى هى مجموعة اوراد واذكار لاترتبط بلم الجراحة وتبيسها لا فى قليل ولا فى كثير وهذا الذى قالوه من طريق الفلسفة حقّ ولكن الكتب السماوية الصحيحة كالقرآن ناطقة بأن المبدأ قد يقوّض لعبد من عبده كالانبياء والمثاليين العظام نظيرا من قدرة نفسه كما نطق فى حق المسيح بن مريم انه يبرأ الأكمه والأبرص بأذن الله وهم هنا محكومون بالأثر الوارد فى النصوص التى لا ينكرونها (واما الشعبة الثانية) فهى التى أزال المبدأ عن جميع شؤون مقامه ووزعتها على من تحبّ حتى لو كان شبيه الأعراب فى فهمه وعلمه وعمله بل وحتى لو كان جماداً او شجراً وهذه الشعبة لها مفعولها فى البوادي والقرى والأرياف متى حصل مشعود يهيم على نفوس البسطاء من سلاسل العوام الذين حكمهم حكم دوابهم فى الشعور ودرك المطالب وهذه

الشعبة هي التي أطاحت بالمبادئ الصحيحة وجرت الدين الى الأوهام والخرافات حتى استردل وسقط من انظار اولى الألباب، وكل ما سلفنا الحد يث عنه هو التوحيد من ناحية العقيدة .

وأما التوحيد في العمل فيشير اليه قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وحبل الله هو الرابطة الواصلة بينه وبين مخلوقه وتلك الرابطة رسله اليهم من الباطن وهي عقولهم ومن الظاهر وهم الانبياء وانما امرهم بذلك لتكون الجوامع العاقلة في سعادة فان المتديين العاقل يسعد بنفسه ويسعد غيره أما اذا كان متدينا قشرياً ضرولم ينفع ويستحيل على العاقل بعقله أن لا يكون غير عامل بموازين الدين لان الدين معناه مجموعة نظم مسعدة بعضها يتجلى للعقل لطفوحه وظهوره من غير وساطة وبعضها يحتاج الى مظهر بحيث لولاه لبقى كامنا في نفس الأنسان غير ظاهر ولكن الانتهازيين كما افسدوا المنظور بالتوحيد في العقيدة افسدوا المنظور بالتوحيد في العمل .

(٣- العدل) مصدر عدل في القضية عدلا والعدل هو التوسط بين الجور على الحق والأضافة عليه من حق الغير فاذا اعطاه دون حقه فقد ظلمه واذا اضافه من حق الغير فقد ظلم الغير والعدل تكوينيا وتكليفيا لا بد منه في استصلاح الأكوان وبنى الأنسان فان كلاً من طرفي الافراط والتفريط مهلك للفرد والمجتمع فكما ان الضغط على الفرد والمجتمع هاتك مهلك لهما كذلك الأرخاء والتسييب هاتك ومهلك وأنت تستطيع ان تستجلى معنى العدل وانه هو المقياس لبقاء الانسان والحيوان بل والشجر والحجر في الحمل الذي يوضع على الدابة فان كلاً من الطرفين لو قرأ لم يقعا على جنبى الدابة بأتزان وتعادل فان الدابة يختل توازنها في مشيها وتجد إجهاداً على نفسها ويتعب صاحبها

فى اىصال حمله الى مقصده اما اذا وضعهما بائزان ومقياس فان الدابة تكون مرتاحة وصاحبها مرتاح مثلها وهكذا اذا لم يراع العدل فى سقى الزرع بأن قلّ ماء جانب منه وكثر ماء جانب آخر فان ما قلّ ماءه لا يثمر المراد وكذلك ما كثر بخلاف ما لو وزّع نفس الماء توزيعاً صحيحاً على الجانبين فان الجانبين معاً يثمران ثمرات محمودة وكذلك استعمال الشئ من جانب دون آخر كالمنديل ممّا يسقط طرفيه عن الاعتبار فى اقلّ مدّة .

اما عدل الله فى التكوين فانه اعطى كل خلقه ارادها ما اريد بها فاعطى الجمل مثلاً لانه اريد به حمل الأثقال فى المفاوز والقفار خفافاً فى يديه ورجليه فان الخفاف اخفّ للماشى من كل وسيلة غيرها وعنقاً طويلاً لينوش به الأشجار العالية وكرشاً واسعاً ليكون مخزناً يستمد لجوعه وعطشه ايّاماً مترادفة وجعل مدفوعه عطراً حتى لا يتأذى به اهله الذين يألفونه فى بيوتهم ونار مدفوعه قويّة ليستفاد منها ووبره دافئاً ليدفئه فى شدة البرد وادعه السكينة والوقار والموادع لانه لو اراد العناد لما قدر عليه احد كما يرى ذلك وقت هياجه ، واعطى الانسان قلباً يعقل به ولساناً يعبرعماً فى قلبه ويداً ورجلاً تعملان له واما شوان الخلقه فلندرتها وقتها لا تكون مورد انتقاض اصلاً وعلمها عنده تعالى وقد عبر لسان القرآن عن العدل فى التكوين ضمن آيات كثيرة منها قوله تعالى (فى سورة الدخان الآيه ٣٨ و٣٩) وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا عبين : ما خلقناهما الا بالحق : والمنظور باللعب السفاهة وعدم مراعاة موازين العدالة .

واما عدله فى التشريع فانه جعل كافة المكلفين سواسية فى الحكم الشرعى كل طبيعة بما يخصها رجالاً ونساءً وخنائى وتعبيراته دائماً اما

بقوله يا ايها الناس او يا ايها الذين آمنوا حسب المناسبات الداعية الى التعبير فان كان المنظور بالخطاب هو المكلف من البشرية بما هو مكلف عبر عنه بيا ايها الناس وان كان المنظور هو المؤمن بالدين المعترف به عبر عنه بيا ايها الذين آمنوا ولم يستثن مكلفاً من القانون كما لم يجعل احداً فوق القانون فالنبي مكلف واحقر الناس مكلف والسلطان مكلف وانزل الناس مكلف فقوله يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاعسلوا وجوهكم شامل للجميع وقوله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم عام لكل وهكذا قول رسول الله (ص) المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم محتو على العموم وقد حافظ الشرع على العدل والعدالة غاية جهود المحافظة فاعتبر العدالة شرطاً في مرجع التقليد وفي امام الجماعة وفي شهود القضاء والطلاق وفي كل شهادة وفي الرواية والحديث وفي القاضى وحرم لأجل مصونية القضاء الذى هو مرجع الأمة كلها فى كل اشائها الرشوة وكل تمايل يغيظ احد الخصمين وان لا يقضى القاضى وهو جائع او عاطش او غاضب او فى حاجة الى افراغ بوله ومدفوعه وهذه القضايا من أعلا ما يتصور فى احقاق الحق وابطال الباطل ومن هذا ينبوع يستقى قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى اهلها واذا حكتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (الآية ٥٧ من سورة النساء)

(٣- نزع القشر الطبقاتى والمساواة امام القانون) صرح القرآن وفقاً للطبيعة بان العنصرية البشرية لأصل واحد ان لا ريب ان هذه الكثرات الانسانية بحكم واحد فى الطبيعة المشتركة وفى المائز الذاتى الذى يفصلها عن الطبائع الأخرى وطبيعتها المشتركة هى الحيوانية ومائزها الذاتى هو الناطقية فقال تعالى هو الذى خلقكم من طين ٦/٢ وهو

الذى أنشأكم من نفس واحدة ٦/٩٨ وكاف الخطاب الجمعى للعموم لا يقال ان المنشأ وان كان واحداً الا ان هناك واردات طرأت عليه ففى طول سير حلقاته فقد تلطفت خلقته بعد الخشونه فصارت حاجة بين اصله وفرعه فأناً نقول ان هذه المسيرة بالعيان قد شملت الجميع ولم تختص بواحد وعلى فرض تخلفها بالنسبة الى اولئك الذين بقوا متوحشين او متخشنين فان البذرة الأولى التى تكاملوا عنها موجودة فيهم بالجزم واليقين اذاً فلا يستطيع فرد لا بذاتيته ولا بأعراضه المادية المجلوبة ان يترفع على الفرد الآخر من عنصره وذلك لان الذاتيات مشتركة والاعراض المادية المجلوبة ان جلبت فخراً فان الفخر لها فالمتزین بزينة لا يحق له ان يفتخر على العاطل منها لان الفخر للزينة نفسها لا له هو بدليل انها اذا انفصلت عنه ذهبت بفخره معها فالثرى اذا أفلس ذهب فخره بذهاب ثروته واما الأعراض المعنوية كرياضة الانسان لنفسه حتى يصير حكيماً وكريماً وعليماً وحليماً وما الى ذلك فان الفرد ان جاز له ان يفتخر بها فلأنه تعب لها تعباً بدافع التهذيب الجذرى للنفس بخلاف التعب للمادة وتحصيلها فانه ليس بهذا الدافع وانما هو بدافع خشونة الحيونة وطمعها وحرصها ولو أن جامع المال انما جمعه ليسد به عوز محتاج ويرقه به على عيال واطفال وامثال ذلك لا تقلبت حاله من المادية الى المعنوية وصار بذلك محموداً كما يحمد الكريم والعليم والحليم والحكيم وعليه فمحنة التكليف وحجره الأساسى هى الجهة الجامعة بين الأفراد وهى السنخية المشتركة بين الحلقات كلها وهى جهة واحدة ولذلك صحّ لله ان يخاطب الفيلسوف والطالب البدائى والانسان العادى بقوله يا أيها الناس او يا أيها الذين آمنوا لأن رصيد الخطاب موجود فى الجميع بل يجوز له افتراض

المعدوم من افراد السلسلة المقدّرة الوجود موجودا بوحدة الملاك حتى اذا توقّف المصداق فيما بعد شمله الخطاب بمغزاه ومعناه وان لم يشمله بلفظه الفعليّ حين النطق به ان لا يُؤاَجّه المعدوم بشيء ومن هنا قال رسول الله (ص) يوم فتح مكة يا ايّها الناس ان الله قد اذ هب عنكم عبية الجاهليه وتعاضمها بآبائها فالناس رجلان برّ تقى كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب كما قال (ص) كلّمكم ابناء آدم طفا الصاع لم تملوه لا فضل لعربيّ على عجميّ الا بالتقوى وذلك لان الأفتخار بالأب الفاضل معناه سوق الفخر للآب والفخر بالفضيلة لا يُورث لانه غير قابل للانتقال بنفسه كما ينتقل المال كما انه لا يملأ الصاع الناقص لانه ليس من صاحب الصاع بل هو لغيره وعلى هذا فالقشر الطبقاتي بجميع انواعه وانحائه من آباء وامهات وثرورة وجمال وكثرة مال لا قيمة له وما عليه الناس في الحاضر والغابر عاطل باطل ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر يعنى انكم أضعتم حياتكم بالآل طائلات وافنيتم اعماركم في لاشيء وقد كان بمقدوركم ان تستفيدوا من الأعمار الطويلة نتائج اصيلة جليته، واذا نزعنا القشر الطبقاتي جاءت المساواة امام القانون لأن نظام الله لم تراخ فيه الزوائد وانما روعيت الأصول الجذريّة وهى كون الانسان كاملا من حيث الخلقة لا نقصان فى خلقته من حيث الشعور والجهاز الذى يستخدم لأداء الوظيفة وباعتبار ان ناقصى الخلقة من الندرة بمكان لم يعق وجودهم قول الله يا ايّها الناس ويا ايّها الذين آمنوا بصيغة العموم لا الخصوص وعلى هذا فالصلاة الموجهة للجميع فى الحالات الأعتيادية التى هى الأغلب فى السير البشرى سنخ واحد وقوانين السماء كلّها على غرار ما صورناه فى الصلاة .

ومن هنا صحَّ للقرآن ان يقول وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ٥/٤٨ وانما صحَّ ذلك مع تفاوت العيون بالقوة والضعف والآناف بالطول والقصير مثلاً لانه مقابلة جهاز يعمل بجهاز مثله فالذى كانت عينه ضعيفة البصر بالأخرة كانت دليله فى سيره الحيوى كالذى عينه قوية، ولم يتعاطم على وحدة القانون نبى ولا وصى بل كانا فى ذلك للسائرين قدوة، لكم فى رسول الله اسوة ٣٣/٢١، وأما مبهرجات الغلاة فبدع خلقها أما الجهل او التحيز والانتهاز بدليل قوله تعالى، وما محمد الا رسول ٣/٤٤ قل انما انا بشر مثلكم ١٨/١١١ وأما الأخرى على الاتعاب والجهود المبذولة من صاحبها فهو امر وراء القانون التشريعى لأقامة النظام العام، وقال على عليه السلام لعبد الله بن زمعة ان هذا المال ليس لى ولا لك وانما هو فى المسلمين وجلب اسيا فهم فأن شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظهم والا فجنة ايد يهم لا تكون لغير افواهم .

(٤ - التساوى فى الحقوق) ويراد به الأسهم للمسلمين فيما يعود عليهم من نفع عام والاسلام فى هذه الناحية لأحظ الفرد الأسانى بما هو حصّة من الطبيعة الانسانية لها شؤونها الخاصة وهى لزوم الأكل والمشرب والمكّن والملبس وتأمين الجنسيات ولوازم هذه العناصر الخمسة فان الانسان لا يستطيع بنحو عادى ان يقطع اشواط الحياة بدونها ولا يحظّ بما هو بانى مجتمعات ومؤلف جماعات فان اهداف الانسانية وتشعشعها لا تنهيا الا بذلك واهداف الانسانية بناء المدن الفاضله فمن ملاحظته للناحية الأولى حرم عليه الرهبانية فأنها إمامته للحىود فن له فى زوايا الأديرة فى عرض ما هو فى بطون الجوامع ومن ملاحظته

للناحية الثانية حرم عليه التكاليف على تحصيل الحطام والتفانى فى سبيل الشهوات لان هذه الروح الكلبية مما تدعو الى الصراع والعراك ولا اجتماع مع العراك والصراع ومعها تين الملاحظتين وجد لزاما ان يوزع ثمرات سعيه التى يجب ان ينوشها من الخزانة العامة باعتباره عضوا عاملا فى الجامعة وساعيا لصالحها على ثلاثة انحاء (النحو الأول) خدمته لنفسه فى اطار خدمته للمجتمع فان الانسان ابن مجتمعه فاذا انهيار مجتمعه لم يستفد من نفسه ايضا ولو لم يكن منه تسبب فى خراب المجتمع وخدمة الانسان لنفسه خدمة واجبة ولا شكر على اداءه واجب (النحو الثانى) قيامه فى ذلك بأمر عقيدته لان دينه اوجب عليه ذلك حيث قال كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ومن اصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم وهذه الناحية انما تستحق الأجر الأخرى (٣) لزوم تأمين نفسه حيويا بما يستطيع ادامة الخدمة واداء الوظيفة وهذه الناحية تحتاج الى مادة تبنى له بيته وتؤمن مأكله ومشربه وملبسه وجنسياته ومضافات ذلك وخدمات المجتمع ليست بواحدة وبحكم تعددها ليست من سنخ واحد حسب الحاجة الى بناء المجتمع فكما ان المجتمع فى حاجة الى امام قائد ذائد هو فى حاجة ايضا الى بلدى يقوم بشؤون الشارع والطريق وما بين المرحلتين مراحل عديدة لخدمات عديدة كما جاء فى تعريف الايمان انه نيف وسبعون درجة اولها قول لا اله الا الله وآخرها امامة الأذى عن الطريق فعلى هذه النظرات العامة بالنسبة الى الخدمات لا يكون ميز بين خادم للمجتمع وخادم من حيث اصل الخدمة والحاجة الداعية لأدومة الحياة فى الجميع متقاربة فان الحاجة كما وكيفا الى عناصر الحياة الضرورية من الاكل والشرب والمكّن والملبس وتأمين الجنس متكافئة تقريبا فلذلك وجب توزيع الربح العام على التساوى

بين العموم إماماً وبلدياً .

وأمّا اذا لوحظ في التوزيع قيمة الخدمة في نفسها وروعت فضيلة
الفاضل في حد ذاتها فبطبيعة الحال لا تكون مناسبة بين خدمة
الأمم القائد الذائد وخدمة البلدي ولا بين خدمة الطبيب الحاذق
والحمّامي بل تشرف الأولى على الثانية مائة ضعف حد الأقل فاذا اعطينا
للطبيب الحاذق شهرياً مائة دينار وللبلدي ديناراً واحداً لزم من ذلك
عدة محاذير :

(١) من الوجهة الاقتصادية فقد قرأنا أنفاً ان الحاجات الحيوية
الأصلية بين الأفراد متكافئة تقريباً فاذا اخذ الطبيب مائة دينار شهرياً
فانه وحتى بالطور المرفّه لا يصرف الا ثلثها ويخزن ثلثيها والبلدي اذا
صار حقه ديناراً فانه وحتى لو اقتصر على الدوني من الطعام والشراب
لا يعود يقيه ويصير مجبوراً ان يقترض لحاضره على حساب مستقبله
فتراه يأكل حقوق المستقبل والمستقبل لم يأت بعدُ وحينذاك ترى
المجتمع يعتره من التفاوت ما لا يهضم اصلاً .

(٢) ان الخدمات الاجتماعية متى لوحظ فيها المال عادت متاجرة
لا خدمة اجتماعية ولذلك اصبحت الخدمات اليوم ليست بخدمات وانما
هي تجارات فترى التلميذ من أول دخوله للمدرسة او من أول شعوره
بأنه لم يدرس راصداً لدراهم التعليم المتفاوتة بحسب الدرجات في
الدراسة ابتدائياً وثانويّاً وجامعيّاً والله أبان لأهل الخدمات العالية
بأنهم وان اشتركوا مع اهل الخدمات الأدنى في دخول الجنة الا ان
الرضوان الذي ينوشهم من الله ازاء عالى خدماتهم اعظم واهم من نفس
الجنة (ورضوان من الله اكبر) .

(٣) ان توقع صاحب الفضيلة للمادة اذا كان بميزان علو فضيلته فقد

هدم المرام الذى يدعو اليه والدين الذى يبلغ عنه فان اوساط الناس انظارهم قاصرة ونفوسهم لاطئة فاذا وجدوا المادة رهن الأفاضل انصرفوا عن تأييد هذه الدعوة التى يدعو اليها الفاضل .

والتسهميم على حساب القابليات قام به ابن الخطاب وبعد مرور سنين عديدة من خلافته التفت الى غفلته عندما رأى اهل السوابق فى الاسلام قد اثروا ثراء مد هشاً بما صرفهم عن معنويات الدين وألهاهم بالمادة السوداء وآثار ولولة الآخرين الذين لم تكن لهم تلك السابقة لما كانوا فيه من رقة حال وقلّة مال واراد ابن الخطاب العدول عنها فلم يمهلها اجله وجاءت نوبة عثمان فأسرف فى التبعض حتى قتل .

ولما جاء دور علىّ عليه السلام ابطال كلّ ما جرى زمن الشيخين وقسم الحقوق بالسوية وأحال اهل السوابق لما أعدّ الله للمتقين ومن بعض ما قاله فى الباب أتامرونى ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطور به ما سمر سمير وما أمّ نجم فى السماء نجما ولو كان المال لى لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله .

وقضيا رسول الله (ص) فى غزوة حنين شهيرة حيث أحال فيها اهل السوابق الى ما أعدّه الله لهم واعطى المؤلفه قلوبهم ما أخرجس السنتهم .
(٥ - القضاء على الفقر والجهل والمرض) هوية الانسان كما عرفت مؤلفة من حيوانية وناطقية وكلّ منها ردة للأخرى وان كانتا من مقولتين فالبدن اذا لم يكن موفورا من حيث التغذية ولا سالما من حيث المرض لا ترى العقل الذى فيه يؤدى ما يؤدىه العقل السالم لان البدن اعداد له وهو جهازه وقد قيل العقل السالم فى البدن السالم وهكذا لا يستفاد من البدن وحتى لو كان سالما اذا كان العقل مختلّ التوازن فإنه حينئذ يكون كسيارة نظيفة وزينة وسائقها مجنون فأنها تتحطم فى الخور - اذا

فالفقر والجهل والمرض - عوامل ثلاثة لهدم كيان الانسان مادة ومعنى ، ويراد بالفقر ضرورة الانسان الملحة الى ما يرفع عنه ضغط الحياة وليس مخصوصا بالأكل والشرب وحدهما نعم هما في الجبهة والسنام من حاجات الأنسان ، ويراد بالجهل وقوع الانسان تحت كنف المشعوذين بحيث يسخرونه آله لهم بجميع اشياءه حتى يدم اوداجه لعدم تعرفه على برامج الحياة التي تضبط وجوده وتحفظ كيانه وتصونه ممن يريد به سوء ، أو يراد به سوء ، ويراد بالمرض انحراف الطبيعة عن مجراها العادي ، واسباب الفقر كثيرة ولكن اهمها عدم توجه السائس الى وزن الاقتصاد فيمن يسوسه فان التطلع الى ما يصون الافراد من الضغوط الحيوية في الطبيعة من وظائف السائس والآ فزعامة الانسان على مجموعة فقراء لا تعد شرفاً له بل عاراً عليه ان كان من الأذكياء واذا توجه السائس الى ذلك مزج ما بين معرفته وقوته وولد الاعمال المثمرة ودفع بالفقراء نحوها ، واسباب الجهل موفورة ايضاً واهمها عدم توجه السؤاس الى ازاحة هذه الظلمة بنور المعرفة ولو انهم توجهوا الى ذلك لجعلوا التعلم والتعليم اجبارياً على كل احد بمقدار ما يخرج الأنسان من البهيمية الى طرف من الانسانية وهياً ومعلمين اوفياء يقومون بهذا الواجب ، واسباب المرض كثيرة ايضاً اهمها مرهون بالساسة كما في السابق بتقليل الضغوط منهم على الفرد المسوس وتوفير موجبات المعالجة طبيياً ومستشفى ودواء اذا فلننظر كيف ساس الاسلام معتنقيه ، فنقول اما من حيث الفقر فقد جعل العمل شعار ساسته المتقين و في الطبيعة من ساسته محمد وعلى فقد عانى محمد كل عمل مثمر ولم يعيش عالة على غيره منذ تمكن من العمل فهذا هو الشاب المتحدث عن انبثاق مستقبله تقترن به امرأة تكبر عليه في السن خمس عشرة سنة وتعد من اثرياء زمانها

وتودّان تحتضن هذا الشاب وتتمتع بشبابه وترخى عليه فى البذل ولكنه أبى ذلك واستمرّ عاملاً حتى النبوة وهناك شغلته شواغل القيادة العظمى حتى عن التوجه الى نفسه وهذه هى ابنته الوحيدة تطحن بالأجرة حتى تمجّل يداها لتحتفظ بماء وجهها وتعيش عزيزة وهذا زوجها علىّ قضى عمره متركلاً على مسحاته يحرث الأرض ويغرس النخل وقد كان الأجلّاء من الفقهاء يعملون تأسياً بقادتهم فقد كان الشهيد الثانى رضوان الله عليه يملك حديقة من عنب يعمل فيها بنفسه ويستأجر من يبيع محاصيلها فى الأسواق، واعتبر الشرع الإسلامى كذا ليمين وعرق الجبين من افضل الأعمال وحرم على المؤمن التسوّل والتكدي لما فيه من الهوان وردّ شهادة المتسول المتكدي حتى لو كان عدلاً من سائر جهاته وأعدّ للفقير العاجز او المعوز عدته فخصص له موارد عديدة فى الشرع كزكوة الأموال وزكوة الابدان والأخماس من موارد المقسرة وردود المظالم والكفارات ومجهول المالك وحثّ على الأنفاق والصدقة حتّى بليغا وضمن للمنفق فى سبيل الله ثواباً جزيلاً واجراً عظيماً .

وأما من حيث الجهل فقد حثّ الاسلام على التعلّم حتّى مد هشاً وجعل الجهل رصيذ كل سيئة فليس كفر الانسان الا لجهله ولا يرتكب السيئات الا بجهله وجعل الجهلاء فى رديف والعلماء فى رديف آخر، هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وهذا الاستفهام انكارى، وانما يخشى الله من عباده العلماء، واسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، ولولا نفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون، ومن كلمات ساسته الأعظم محمد وعلىّ، اطلبوا العلم ولو بالصين واطلبوا العلم من المهد الى اللحد وطلب العلم فريضة ومداد العلماء افضل من دماء الشهداء وقد انتجت

مدرسة النبي (ص) وعلى (ع) والباقر والصادق آلفاً من العظماء ومن اثر ذلك الحثّ البليغ على طلب العلم ضاقت المعاجم عن تراجم اهل الفضيلة والخزائن عن مؤلفاتهم ولم تبرد الحركة العلمية الاسلامية الا في هذه الأواخر حيث باد اهلها واحتلّ مكانها العلم الطبيعي الذي ان انتج الكهرباء فقد افسده بالأفلام العارية والجافية وان كيّف الهواء ساخناً وبارداً فقد افسد العالم بكل ما يطيح به وان نوع الكماليات فقد اكثر في التلصص للاحتواء عليها وان أوجد الترف فقد اطاح بالشرف .

وأما من حيث المرض ، فقد دعى الاسلام بدوره الى التحذير من البطنة والأسراف في الشهوة وجعلهما من الأدواء التي لا دواء لها هذا مضافاً الى ان استعمال المواد الأولية الصادقة مشفوعاً بعدم البطنة وعدم الأسراف في الشهوة ممّا يحتفظ بالصحة وقد برهننت الدراسات على ان المطيعين لهذه الوظيفة عاشوا من حيث الصحة بعيدين عن كل هناة فقد كان الصوم وهو الثقيل علينا نحن المترفين اسهل ما يكون عليهم وقد كان الجلال والنضال وحتى في السنين العالية من المرغوب لديهم على ما كان الرجل يطوى اياماً ليخلى جوفه حتى اذا اصابته نائبة وقُتل بها لا يرى في جوفه قدر اعتزازاً بنفسه ، وأما الطبّ الحديث فهو وان تعالی الآ انه اصبح لا ينوشه الا اهل القدرة والنفوذ من الناس وباتساع سخف العصر وترفه تنوّعت امراضه وكثرت كثره مدهشة بحيث ترى ان الجامعات ومهما انتجت من كثرات الأطباء لا تقوم بواجب زاوية من زوايا مجتمعاتنا المريضة .

وبالأخير وعلى توقّر المادة واستنباطها من طبقات الارض والقدرة على استخدامها وعلى سعة المدارس والمعاهد بحيث لا ترى قرية خالية من دار تعليم وعلى امتداد اطراف الطبابة وابعادها تجد هذا العصر

يعطينا ظاهرة كالحة من الفقر في جملة من القارات وطلعة سوداء من الجهل في اغلب المدن خصوصا الجهل العملي منه وعارضة واضحة من المرض بحيث تعج أسرة المستشفيات من المرضى والباقون المنتظرون لم تصل نوبتهم بعد .

(٦ - تحديد المكاسب) والكسب هو جرّ الأنسان النتائج سيئة وحسنة الى نفسه اذاً فالكسب بمعنى الفعل في مقابل الأفعال وللشريع نظرية خاصة في موضوع الكسب تمتاز عن النظريتين الرأسماليه والشيوعييه اما الرأسمالي فانه لم يحدّد خطى الكاسب بشيء الا ما فيه غضب ظاهر لحقوق الأغيار فالشحن والسرقه نوعان من الكسب لكن الرأسمالي لا يحلّهما لأن فيهما اغارة على حقوق الباقين لكنه اباح ما يكون من طريق القمار باعتبار ان المتقامين في بدء الورود راضيان بما أقدم عليه وان لم يرض القمور بعد خسارته لموقفه وهكذا ماكان عن طريق الرقص والغناء والتمثيل والزنا واللواط والقيادة وبيع المخدرات وان كان في ذلك اغارة على اخلاق المجتمع وهكذا ماكان عن طريق السفه كبذل المال الكثير في قبال ذى المنفعة القليلة تشهيا ورغبة نفسية ، واما الشيوعي فانه مثله في الأغاريتين على حقوق الأغيار منعاً وعلى أخلاق المجتمع تجويزاً الا انه جعل الفرد البشرى آلة له ونتائج عمله لصندوق الدولة الا ماكان لتهيأة معاشه وتحصين وجوده فان تهيأة ذلك مربوطه بالدولة اذ لا ملك فرديا عندها ، واما الشريع فانه اعتبر في الكسب المشروع عدّة عناوين (١) ان لا يكون اغارة لملك الغير كالسرقه لأمواله وشحنها واغفاله عليها وغشّه والتدليس عليه (٢) ان لا يكون منافياً للعفة والعصمة والاهداف العقلانية كالزنا واللواط والقيادة والغناء والرقص وبيع المخدرات والقمار والمهجاء للمؤمن والنياحة بالباطل والمعاملات

السفهيّة ومسلوب المنافع المعتدّ بها (٣) ان لا يكون منافيا للعقيدة الدينية الثابتة كبيع الأوثان والصلبان والسلاح من اعداء الدين وكتب الضلال واخذ الأجرة على الواجبات والعمل للظالم واخذ جوائزه على بعض الوجوه واعتبر ما سوى ذلك حلالا وان ثمرات كده لنفسه وبالغ في تحبيب الكسب الحلال واعتبره واجبا اذا لم يقم النظام الجماعي به ، فلننظر الآن اي الطرائق الثلاثة احقّ بالأخذ .

أما الشيوعية، فليست مضارّها منحصرة في نفي الملكية الفردية بل لأنها تنفي كافة المعنويات فالحياة عندها كالصلافة والعفة عندها كالخلاعة وتعتبر تصفيف الأخلاق الى صفى الفضائل والردائل ممن الخيال المحض ولا تعترف الا بالماديات فهي فضلا عن نفيها لخالق الكون وانبيائه واورصائهم والمثاليين المتربين عليهم تنفي كافة القيم الاخلاقية الفاضلة بمعنى انها لا تلزم بها ولا تلتزم لنفسها بذلك فالاستهتار والوقار عندها سيان والعفة والفساد مثلان فلا تحبب الوقار للفرد ولا تزاحمه على استهتاره ولا تحمده على العفة كما لا تدمه على الفساد ولا ريب ان هدم الأخلاق الفاضلة هدم للجامعة بطور صريح واما نفيها للملكية الفردية فهو مناف للأصول العلمية عقلية وطبيعية ذلك لأنه لا يبرر حرمان الحمل من كده عقل ولا طبيعة فانه لم يأخذ من احد شيئا وانما استنتج واستنمى مواهب طبيعته .

وأما الرساليّة، فمضارّها من حيث الأفساح للفساد بما يتلف الصلاح ويسبب الفرد ويهتك الفضيلة ويربى الرذيلة مهمّة جدّا ومن يستريب في نفي قذارة الزنا واللواط والسكر والخلاعة على توفّر شعبها وهؤلاء يبيحونها اباحة مطلقة بل يساندون بها بالعمل الجبار .

وأما النزعة الشيعية، فهي الحقّ لأنها مواظبة اتم المواظبه على

صيانة الفرد والمجتمع من جميع جهاته بما يسهل الحكومة عليه للحاكم العدل لأن الانسان اذا كان من نفسه اعتاد طريقة الصلاح فلم يزن ولم يلبط ولم يهج المؤمنين ولم ينج بالباطل ولم يراب ولم يعين على دينه الى غير ذلك مما سردنا برامجه آنفا فان الحاكمة عليه لا تحتاج الى اية مؤنة، وليس في النزعة الشرعية مؤاخذه الأنفلات في الكسب كما يقول الشيوعيون ان هذه الاموال الموجودة عند اهل الثروة اكثرها جاء من طرق غير مشروعة فأما من تدليس او غبن او غش او اجحاف ونظير ذلك لان الشرع يحرم هذه الخلال كلها كما لميس فيها مؤاخذه الانفلات في المكاسب كما عليه الرأسمالي من تصحيحه لمعاملات الحرام من ربا وزنا وغنا ورقص وما اليها اذا فالنزعة الشرعية سليمة من الهنات والعاهات مساعدة للحكومات الشرعية في قيادتها للمجتمع بريئة عن مؤاخذات المادية سواء كانت في الشيوعية ام الرأسمالية .

(٧ - احترام العلاقات المشروعة) المراد بالعلاقة هي الرابطة

القائمة بين الانسان وشيء آخر كالمال والزوجة وحياسة الشيء والسبق الى مكان مباح مثلا والمراد بالمشروعية كونها متكئة على مستند صحيح او مصحح فالصحيح مثل الزواج الاسلامي والمصحح كعلاقة الزواج بين الاقوام غير المسلمين ولو كانت من نظر الدين الاسلامي باطلة ونظير ذلك فمتى كانت هناك علاقة واتسمت بالمشروعية احترامها الاسلام ايما احترام والعلاقات متعددة .

(فمنها) علاقة المالك بملكه فانها محترمة في الاسلام ولا تجوز

مصادرة املاكه الا اذا كان كافرا حربيا وجاءه الاسلام لتطوير عقيدته الكفرية الى الايمان فأصر على العناد فان ما له حينئذ كدمه يكون مباحا فاذا عمراه الاسلام منه ما انتفت العلاقة بينه وبين ما كان مالا له او كان مقلسا

وتقاضى غر ماؤه الحجر عليه وتقسم امواله بينهم او كان متمرداً عن اداء ديون الدائنين او عن اداء النفقة لزوجته الممكّنة او واجبى النفقة عليه او متمرداً عن اداء الحق الشرعى عليه كالزكوات ففى هذه الموارد يقوم الحاكم الشرعى مقام المالك الأصلى وينزع علاقته عن ملكه ويتصرف فى الملك التصرفات اللازمة المحوّلة فى عاتقه واذا لم يكن من هذه الدواعى شىء كان المادّ ليدّ على هذه الأموال غاصبا يضمنها اذا تلفت تحت يده كما يضمن منافعها المستوفاة وغير المستوفاة ايضاً .

(ومنها) علاقة الزوج بزوجه فان الزوجة بعد رضاها بهذا الرجل زوجاً لا تستطيع هى ولا غيرها ان لا تحترم هذه العلاقة الا لعوامل منها ان يظهر عنيّنا او مجنوناً فانها يجوز لها ان تفسخ نكاحه ومنها ان يغيب غيبة منقطعة فيفحص عنه فى مظانّ وجوده وبعد مرور اربع سنين يطلقها الحاكم الشرعى منه وتعتدّ للأزواج من بعد ذلك ومنها ارتداده فانها تعتدّ منه وبعد العدة تباح للأزواج ومنها ان تبذل له حتى يخلعها ويدون هذه الصور ونظائرها لا تخرج عن علاقته .

(ومنها) علاقة التحجير والسبق فمن جاز ارضاً فى المباح وحجرها وهو فى طريق اعمارها فانه لا يجوز لأحد مغالبتها عليها وكذلك من سبق الى وقف هو من اهله لا يجوز ازعاجه عنه او سبق الى مكان مباح كذلك لا يجوز ازعاجه عنه وتجاوز له المصالحة على هذا الحقّ .

(ومنها) علاقة الذمّة فان الكتابى اذا عقد الذمّة مع المسلمين تدم بذلك كما يتدم المسلم بدينه فيحرم دمه وعرضه وماله بذلك ولا يجوز لأحد ازعاجه وجاز له ان يمارس فى الخفاء ما هو من طقوس دينه .

(ومنها) حق الطلاق فانه لمن اخذ بالساق فلا يجوز اجباره على

ذلك الا فى موارد خاصة للحاكم الشرعى .

(ومنها) حق القصاص فمن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا
 (ومنها) حق التصرف للانسان بنفسه وما يلى امره بالصلاح واما
 بالفساد والضرر فلا يجوز فليس للانسان ان ينتحرا او يضر نفسه بالماكل
 والمشارب وكافة الممارسات المضرّة ولا يجوز له ان يفسد ماتحت علاقته
 من حيوان ونبات وجماد .

فهذه العلاقات وامثالها يحترمها الاسلام احتراماً زائدا ويدافع
 عنها دفاعاً مرّاً تثبيتاً للعدالة الاجتماعية والفردية وصونا للحقوق
 والأموال عن التلف واقامة للحرية الصحيحة وطرذا للظلم المقوت .
 واما العلاقات غير المشروعة كعلاقة اللصّ بالمال المسروق وعلاقة
 الرجل بالمرءة من طريق الزنا فانها مناهضة من قبله ومحكوم على المال
 بأنه لصاحبه وعلى اللصّ بقطع يده وعلى الزانيين بالحدّ .

(٨ - الزجر عن المفاسد) المصلحة والمفسدة من الكلمات المتقابلة
 فالمصلحة عبارة عمّا ينتج الخير والنفعة والمفسدة عبارة عمّا يثمر الشرّ
 والضرر ووامر الشرع ونواهيها لا تصدر الا عن واقع مثمر اما للخير فذلك
 الذى يدعو الى الأمر به مثل الصلاة والصيام وايتاء الزكوة واما للشر
 فذلك هو الذى يدعو الى النهى عنه مثل الغيبة والنميمة وكما ان
 الشارع حبّب المصلحة للمكّلف حتى يلبسها ويستفيد من ثمراتها بغض
 المفسدة اليه حتى يتجنّبها ولا يبتلى بأوبائها وكل هدفه فى تحبيب
 المصلحة والتنفير عن المفسدة صون المجتمع عن التلويثات واسعاده
 بالخيرات والبركات، والمفاسد صنوف وانواع:

(١ - فمنها) الزنا قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشه وساء
 سبيلا، والزنا معناه وطى الرجل المرءة بدون سبب مبيح واما حرّمه
 الشرع حتى مع تراضى الطرفين حفظا لمستقبل المرءة والرجل وما ينتج

عنهما أما المرأة فانها انما تصلح لبغاة الزنا مادامت في سن الشباب
واما اذا ولى شبابها فان هواتها من قبل يتخلفون عنها فتعيش بائسة
منقطعة عن كل احد اذ لا صلة لها بأهلها ولا بغيرهم وان انتجت
شيئا فبحكم الطبيعة تميته من أول مرة او يبقى طعمة التسيب والأهمال
، اما اذا كانت متزوجة بزوج شرعى فهى منيعة بشبابها فى أول امرها
و فى سنّى كهولتها وشيوخوتها تتركز بأولادها واحفادها وانسائها
طبق ما يراه كل احد فى العوائل مضافا الى ان التخلّق بخلق الزنا ممّا
يخلق من المعتادين له اناساً اجلافاً وصلافاً قذرين لا يألفهم الناس
وحدّ الزنا من نظر الشرع حيث لا يكون الزانيان محصنين مائة جلدة كما
قال . الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما
أرفة وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين ، واما اذا كانا محصنين
فأن حدّهما الرجم - ومن سوء الصدق ان العصر الحاضر فضلا عن
الغائه لحدّ الزنا ولتحريمه ايضا اخذ يقوم بتريجه عملا بما قلّ معه
الزواج المشروع ولا ريب أن مغبة هذا الأرخاء هو خلق ناشئة عارمة لا
تدين بمبدأ وترتكب كل خلاف فاما ان يرسلها على عرامتها فذلك فيه
من تضييع حقوق الأبرياء ما لا يعلمه الا الله واما ان يواجهها بعنف
المقاومة وذلك فيه من تبليل الأوضاع وارقة الدماء ما لا يحمده كل احد .
(٢ - ومنها) اللواط وقد عبر عنه الله سبحانه بالفاحشه فقال انكم
لتأتون الفاحشه ما سبقكم بها احد من العالمين مخاطبا لقوم لوط وانما
قال تعالى ما سبقكم بها احد من العالمين لان الأنساق مع الزنا
للغزيرة الجنسية وخلقها المرأة من اصل طبيعتها للرجل اما الذكور
فليس فيهم اقل اعداد لدفع الغريزه الا من وجهه وحشيه فالانسان
بدافع غريزته من اصل خلقته لا توجه فيه انى الذكور وانما توجهه الى

النساء ولذلك قال ما سبقكم بها احد من العالمين، وحد اللواط في الشريعة الاسلامية هو القتل وكما تسفل العصر الحاضر في منقصة الزنا تسفل فيما هو اشد نقصاً وافحش عملاً وهو اللواط فأباحه حتى صار التخنت شارة كثير من الشبان .

(٣ - ومنها) القذف بالزنا او باللواط لمن هو غير معروف بهما من دون أن يأتي بيّنه على مدّعه فأنه حرام أولاً وموجب للحد ثانياً وانما حرم وأوجب الحدّ لانه استنقاص للطرف بلا مبرر ومن هنا قال تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة اولئك هم الفاسقون، والمراد بالأحصان هنا هو العفة الظاهرة على الانسان .

(٤ - ومنها) حرمة النظر العمدى الى من ليس بمحرم كما قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم، وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن، وانما حرم الشرع ذلك حفظاً لنواميس الناس ودكاً لعرامة الشهوة فان مفتاح الزنا والفجور هو النظر كما قال شوقي :

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء

وهذا التمدن الساقط لأجل ان يهتك اعراض الناس ويسلب عفتهم حبب لهم هذا التعرى الشائن حتى تهيج غلظة كل واحد من الذكر والأنثى الى صاحبه واذا كانت المهيجات على طول فكبتها من المشكل .

(٥ - ومنها) التلصص والسرقة وتحريمهما من بدائه العقول لانه اغارة على منتوج كد الناس وحاصل زحماتهم من دون حق وقبح هذا الامر مما يدركه كل عاقل من نفسه وتنكيلا باللص والسارق قال تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله واشكال

من يقول ان القطع يوجب كثرة في ناقصي الخلقة غير صحيح لان اللصّ لو واجه تجاه جريمته قطع اليد لما عاد هو ولا غيره بخلاف ما لو كان الجزاء جريمة نقدية او سجن ايام او شهور فان ذلك يخفّ عليه .
 (٦ - ومنها) قطع الطريق واخافة السبيل وهما اخس من السرقة والتلصص لما فيها من سلب الأمان وشلّ حركة الاقتصاد ومواجهتهم ما احيانا يقتل الأبرياء وجرحهم من دون مجوّز ومن هنا شدّت الشريعة حكم قاطع الطريق فقال القرآن انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا او يصلّبوا او تقطّع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض .

(٧ - ومنها) استنقاص البعض للبعض بالكلام الشائن فانه يدّل على وحشية النابز وخروجه عن دائرة الانسانية الموجبة للزوم احترام بعضنا للبعض فقال تعالى ولا تنايزوا بالألقاب وتخطفى القرآن ذلك الى الهمز واللمز بالجفون والجوارح استنقاصا وتعبيرا فقال ويل لكل همزة لمزة .

(٨ - ومنها) الغيبة وهى ذكرك لأخيك فى ظهر الغيب بما يكرهه لو سمعه بنحو مطلق الا اذا كان متظاهرا بما نسب اليه او قيل من باب الأستنصاح قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أوجبّ احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه .

(٩ - ومنها) التجسس بأن يختلى الإنسان بنفسه وانت تتكبد تحصيل الطريق الى العثور على ما يفعل فى خلوته ولا ريب فى شناعة هذا العمل فان الإنسان حتى فى مجالى الظاهر لو رأى من اخيه فعلا قابلا للحمل على الصحيح وجب عليه ان يفعل ذلك فكيف به وهو يتتبعه فى الخفاء ، قال تعالى : ولا تجسسوا .

(١٠- ومنها) النميمة وهى ايجاد الفتنة والتخريب بين اثنين ليسا بمتعاديين وان كان بينهما بعض الجفوة وجهة حرمتها ان العاقل من وظيفته ايقاع التدانى بين الأفراد وايجاد الصلح لا تشديد العلاقة بالسوء قال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هما زمشأ بنميم .

(٩- حذف الوسائط بين العبد والمعبود) وبعد أن ثبت بالعلم القاطع ان جملة ما فى الكون والكائنات جميعا مخلوق لله سبحانه وان المكلف هو الله وان الرسل وسائط تبليغ فحسب وان حساب المخلوق على ربه لا على غيره وانه اقرب اليه من حبل وريده لا جرم كان اللازم على العبد ان يتصل بربه مباشرة فى طاعته والتوبة من معصيته ودعائه عند حاجته اذ لا أحد اقرب من حبل الوريد للعبد المكلف نعم فى مقام الدعاء واستنجاز المدعو اذا كان الدعاء مشروعاً وسالماً من المزاحمات الواقعية لا مانع ان يعزز الداعى دعائه بقوله ربي بحق كل مقدس عندك ومقرب لديك ان تستجيب لى هذه الدعوة او تتوب على واما انه يأتى الى المقرب فيشرح له حاله ويلتمسه ان يتوسط له فذلك من بدع المسيحية حيث لا تقبل توبة التائب عندهم الا بوساطة الشماس والقسيس والكرد نال والبابا مثلاً وجهة الأبتداع واضحة وهى محاولة استنزاف اموال الناس وحرمانهم بالمجان وعلى كل حال فالعبد مرتهن بالمعبود مباشرة وهؤلاء الوسطاء ان كانوا من اهل العلم والعمل والزهد والعبادة الرفيعة كان احترامهم على الناس احترام ناقص لكامل كاحترام التلميذ للأستاذ واین هذا من حديث الوساطة بين العبد والمعبود وان يكن الشماس والقسيس ومن فوقها ادعوا هذا المقام عند الله وان المعصية لا تغسل آثارها الا بعرضها عليهم فقد نفاه عن نفسه قولاً وعملاً الانبياء والاوصياء (١١/٣٠) ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا

أعلم الغيب ولا أقول انى ملك (١٩/١٠٩) قل انما انا بشر مثلكم ، ولا نطيل عليك فهذا القرآن بين ايدينا من اوله الى آخره ثرى مملوء باعتراف الانبياء انفسهم انهم لا يقدرن على شىء وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وانهم يدعون الى الله وحده وانهم عباد لله كالسائرين وانما جاءوا البشرية مبشرين ومنذرين بالحسنى لمن اطاع وبالسوء لمن عصى الله فى احكامه اذا فالتوجه الى ربه ليس بحاجة الى وساطة شىء ومهما كان هذا الشىء وقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اصرح من كل تعبير يساق لحذف الوسائط اذ لا شىء اقرب للانسان من حبل وريده .

— وأما مسألة الشفاعة — فيجب ان يعلم ان الدين معناه مجموعة نظم شرعها الله لسعادة البشر فى الدارين من واجبات ومحرمات وصحيح وفاسد واحكام لسياسة المخلوق وانه لا يجوز لأى انسان ان يتخلف عنها نبياً كان ام ادنى المكلفين وان يوم القيامة والحساب والنعيم والجحيم انما قررها الله من اجل هذه التكاليف ليثاب المطيع ويعاقب العاصى وثبت من المجارى الظاهرية ان الانبياء والأوصياء والعلماء المثاليين اجهدوا انفسهم فى عبادة الله حتى كانوا مضرب المثل بين الناس وتورعوا عن الشبهات تورعهم عن المحرمات حتى يقيموا قوانين الله بين عباده اذا فالدین ودعاته انما جاؤا لتركيهه فى الحياة حتى يسعد الأحياء بالعمل الصالح فى الدنيا ويستحصلوا نتائجه موفورة فى الآخرة فالتخلف عن القيام بالقوانين الربانية المومأ اليها ان كان عن استنكاف فهو كفر صريح وان كان عن تمرد فهو فسق عظيم وان كان عن تساهل ومماشة للربة النفسية فهو معصية تستوجب العقاب كما هو صريح القرآن والسنة وأما ان المقربين عند الله يسقطون عن المكلف

اذا تشفع بهم كافة تبعات الانحراف وآثار المعصية فيعود العاصي في الدنيا ببركة شفاعته من يشفع له كأنه لم ينحرف ولم يعص فذلك على اطلاقه باطل وهادم للدين وملخ لمقرراته ومغرب بالجهل لمن يريد ان يتجاهل بالحق ويتجافى عن الوظيفة وهو من الوضوح بمكان، وقصارى ما يمكن تصويره وتصويره من معنى الشفاعه صحيحا هو ان المكلف يمضى على الجادة التي رسمت له و في الفترات قد تحصل منه هفوات فتلك الهفوة ان كانت في حقوق العباد فأمرها الحقوقي راجع اليهم ولا يحول الله بينهم وبين ما سلطهم عليه نعم شأنها التكليفي وهو المخالفة لله فيما امر ونهى قابل للأغراض من الله بشفاعه وغير شفاعه اذا لم يستلزم تبعيضا بين المكلفين يستدعى الجواب الموزون عن السؤال ب(لَمْ) كما لا يستلزم تجريا واغراء بجهل واسقاطاً لأصل المادة القانونية عن الاعتبار، وأما اذا كانت في حقوق الله فأمرها كما اسلفنا الاشارة اليه هذا من وجهة ومن وجهة اخرى لا يتصور في الشفيح وهو لا يكون الا من محض نفسه في العبودية لربه ان ترضخ نفسه للعصاة المجانبين له روحاً وعملاً المخالفين له خطة وطريقة فيستميل الى جانبهم من أمالوه وعلى كل حال فمضمون الشفاعه معقول في نقطه مصغرة لا اكثر وآيات القرآن كثيرة في ذلك قال تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ٤٠/١٨ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعه ٢/٤٨ الى غير ذلك نعم هناك انتهازيون وجدوا سبلهم نافذة الى رغبة العوام فحاكوا حول الشفاعه حكايات اخرجوا بها الدين عن نصابه فلم يعرفوا الدين بأنه نظام بناء محدد لخطوات البشرية حتى لا تسترسل في اودية الهلاك بل عرفوه بما كان عليه اهل الجاهلية الذين نزعوا عن انفسهم كل مسئولية واكتفوا بالقرايين للأوثان وانها هي المخلص الوحيد من كافة الذنوب والعيوب

كما انطوت المسيحية الغالبية على ان المسيح بصلبه فدى امته وعموم المسلمين لا يبعدون عنهم في ذلك فيرون ان موالاتهم للأعظم كاف لهم في اسقاط التبعات ولوعاشوا في الدنيا لصوصا وجناة ونحن لو طرحنا هذه الفكرة على المجانين لنبذوها فضلا عن العقلاء وعلى هذه النزعة الأحادية في ظاهرها وباطنها فتحت دكاكين باسم الدين ولـالآن يعيش عليها الانتهازيون بين العوام مبقين لهم على جهلهم ومعصيتهم وانحرافهم حتى يستغلّوهم استغلالا لا ينفد ولا ينقطع .

(١٠ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ويعتبر هذا الأصل من الأصول الحية في الدين الاسلامي لما يترتب عليه من اثر عظيم في الفرد والمجتمع وقد أصر القرآن عنه اصحارا مهما بقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وقوله ايضا :كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

والمراد بالمعروف ما هو معروف للعقول بعد تنبيهها له وتعقلها آياه وبالمنكر ما هو منجوج لها مبغوض عندها ، وانما وجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المكلفين الذين يشخصون المعروف والمنكر مع انه تعالى قد قرّر شريعة عامة يقوم بهانبي معصومذ وصلاحية للقيام بما حمل والشريعة العامة معناها النظام الجماعي الذي ينسلك عموم الأفراد في دائرته شأوا ذلك ام ابوا لان تطبيق الشريعة لأجل حفظ النظام اجباري لا اختياري لان العوام مع اختيارهم ينساقون للخرافات اكثر من انسياقهم للحقائق ويميلون الى الشهوات النفسية اكثر من ميلهم للأدراكات العقلية - لعدة عوامل -

(١) ان حكومة الانبياء حكومة تكليف لا حكومة تكوين بمعنى انهم يجب عليهم ان يدعوا الافراد للإيمان أولا ثم الاستمداد بهم من طريق

وجوب الجهاد والدفاع الى بسط الدعوة وتطبيقها فقد تحصل الدعوة منهم ويحصل الايمان بهم وبها لجملة غير متطرفة ويبقى الباقي على رسلهم لا تنوشهم حكومة الشرع ففى هذا المجال وهو الأكثر وقوعاً فى الزمان لا يحصل تطبيق للدعوة الا بالأختيار فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باللسان الواعى والبيان الشافى من جوارب التوجه فاذا حصل التوجه كان رصيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(٢) ان لسان الحاكمية ومهما فرضناه مديداً وصوتها مدوّياً فإنه لا يستطيع ان يستغرق الأفراد اينما كانوا لاننتشار البشرية انتشاراً هائلاً ولسان التبليغات العامة حتى مع هذه الوسائل الدارجة اليوم من راديو وتلفزيون وجريدة ومجلة قاصر عن أن يلمّ بها جميعاً والعارفون بالمعروف والمنكر كثرة مستشريتها فى كافة المناطق بالنسبة فكل فى محيطه اذا قام بواجبه أثر .

(٣) وكما ان لسان الحاكمية قاصر كذلك بسط قدرتها على كافة الأفراد قاصر ومهما تصوّر النفوذ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من اهلها اذا حصلوا وأثراً فقد ادّيا ما هو اعظم من قدرته فان تأثير النفوذ الحادّ تشرى سحطى وتأثير التعقيل والتفهم جذرى لبيّ .

هذا مضافاً الى ان اقناع الصديق لصديقه والرحم لرحمه والعالم العامل لمن يتصل به ويميل اليه اقناع مهمّ قامت الجوامع وقعدت .
وكما اسلفنا المراد بالمعروف ما هو معروف للعقول المثبتة خصوصاً بعد تشريح الشارع حسنه ومزيته لها مثلاً القتل العدى وانى معروف للعقول قبحه لكن الشارع بعد ما قال ومن قتل نفساً بغير نفس فكأنما الناس جميعاً وجه ذلك بأن الانسان اذا كان عن عمد وعدوان أراق دم انسان بخصوصه (زيد) فان هذه الروح تدعوه الى اراقه دم اى احد

يفرض اذ لا فارق بين من اقدم على قتله فقتله وبين من لم يقدم على قتله بالفعل فان الملاك فيهما واحد وهو الأقدام التعنتى فاذا كانت هذه الصلاحية القذرة موجودة فيه فكأن هذا الانسان وان لم يباشر قتل الناس جميعا قد قتل الناس جميعا لأن ما بالقوة فيه صلاحية الفعلية، وهكذا احياء النفس معروف للعقول حسنه والشرع أيده ببسط هذا المعنى حيث قال ومن احيائها فكأنما احيى الناس جميعا اى ان من يملك روح الأحسان والرأفة والرحمة فان روحه هذه تماشيه على طول الخط فهو ان احسن الى زيد بما هو مفتقر الى الأحسان فإنه يحسن الى عمرو ايضا اذا كان مفتقرا الى ذلك فهذه الروح فيه سارية المفعول مع كل احد يستحق الرحمة وهكذا المراد بالمنكر ما هو ممجوج للعقول مبعوض عندها وقد قرأت فى معنى قوله تعالى قتل نفسا بغير نفس فكانما قتل الناس جميعا ما يغنينا عن اعادة القول هنا . .

وعلى هذا فليس كل انسان يعرف المعروف والمنكر واذا لم يعرفهما لا يستطيع ان يأمر بالأول وينهى عن الثانى واذا تطفل فقد افسد كما نراه فى قضاة اعراب البوادي المكتفين بما يدور فى اوهامهم المخطأين فى كثير من قضاياهم خطأ واضحا، وعلى هذا الحساب قال تعالى ولتكن منكم أمة فان كلمة من هنا يظهر منها التبعيض .

ولا يجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الآ بشرطين (١) احتمال التأثير ولو بعد الأصرار والتطميع (٢) الأمن من الضرر، ومراتب وجوبهما ثلاثة (١) بالقلب بأن يظهر للطرف ان اعراض طرفه عنه لداعى انه كذوب او مدلس وما الى ذلك من المساوىء (٢) باللسان لمن لا مانع امام بيانه ولسانه (٣) باليد لمن يستطيع ذلك .

ونتيجة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مهمة جدا لأنها تتناول

العوائل والصدقات واختلاطات المعاملات والصفیات بین الناس
والمجالس العامة والخاصة ودائرة المحيط الواسع بالآلات المدوية
البعيدة مدى الصوت وهذه المهمة لاتعاد لها اعظم حكومه جباره تتصور .
(١١ - التوبة) والتوبة فى اللغة معناها الرجوع ، الانسان العاقل
وان كان يلزمه التبليغ اذا بلغ وتتنجز عليه الاحكام ويؤاخذ بالمعصية
ويثاب بالطاعة لكنه مع ذلك قد يجهل قصورا وقد يغفل وينسى كما يخطأ
واحيانا اخرى يسترسل مع رغباته ويكون اسير شهواته و لكل من هذه
الحالات حكم :

(١) اما الجهل قصورا فهو عذر لأن المولى لا يجوز له أن يعاقب
متخلفا عن الوظيفة لقصور فى دركه او فى جسمه او فى محيطه وقد يعدّ
الجهل القصورى من حواذف التكليف فى مورد الجهل .

(٢) واما الغفلة والنسيان فهما عذران زمن عروضهما لان المكلف
حينئذ مغمور بحجاب فليست ذاكرته عنده حتى تكون حجة عليه نعم اذا
كان هو السبب فى عروض الغفلة والنسيان له فهو مؤاخذ .

(٣) واما الخطأ فانه يسلب كل ما للعمد من اثر فالقتل العمدى
اذا كان يوجب الذنب والقصاص وكفارة الجميع فان القتل خطأ لا معصية
معه ولا قصاص ولا كفارة جمع .

(٤) واما الاسترسال مع الرغبات ومطاعة الشهوات فهو ذنب ومعصية
وعليه مؤاخذة لأن صاحبه عالم بالموضوع وحكمه عامد فى فعله قاصد له
الآن انه قابل للتراجع واذا تمت شروط التراجع فعلى المولى القبول ،
والذنب تكون على انحاء .

(١) ذنب مع الله فقط كشرب المسكر واكل لحم الخنزير والكفر به تعالى .

(٢) ذنب مع الأخ النوعى المصون من ناحية الشرع كقتله او سرقة ماله

او غيبته وملابسة الذنب تكون على انحاء :

- (١) استمرارها طول الحياة وقبيل انتهاء العمر يكون التراجع .
- (٢) وعدم استمرارها كذلك .
- (٣) تارة مع امكان التدارك .
- (٤) واخرى مع عدم التمكن منه .

وكما اسلفنا فى باب الشفاعة ان النظام الدينى انما شرع لتحد يد خطى البشرية عن الاسترسال فى المهاوى واحراز سعادة الحياة فى الدنيا والآخرة ومثل هذا الملاك تجب المحافظة عليه من مسقطاته عن الاعتبار والحاقه بالمهملات فكما لا يجوز فتح باب الشفاعة على مصراعيه لا يجوز فتح باب التوبة على مصراعيها بما يطيح بنظام الدين وقد تنقل اقوال وآثار فى البابين لا تنسجم مع عالم التكليف بالمرّة والمظنون انها نشأت! ما عن عدم تدبر لمعنى الدين وعدم توجه لما كان عليه المتدينون الواقعيون من انبياء واولياء وعلماء سالكين طريقتهم من تقوى وورع وخوف من مؤاخذه المولى عن تقصير قد يكون حصل منهم وهم غير متوجهين اليه واما عن دس وتزوير لأرضاء ميول الفسقة والعصاة الذين يهونون مع احرازهم لرغباتهم النفسية وشهواتهم الحيوانية ان ينصفوا بالأخير فى مصاف المتدينين الذين يثابون وينالون نعيم الله فى العقبى ويسحب غطاء التناسى على عوراتهم وحجاب التغافل عن خطيئاتهم وان لعبت ادوارها فى اغلا فواصل العمر وعاشت وخرّبت فى الحياة بما جعلت سيماء الدين كالحق وحصرته فى الضعفاء والمساكين لا الذين تجد ارجلهم مركزا وايد يهيم مهمشا والسنتهم مقالا وطالما تغنى مخربوا الدين وهم فيما يدعون انهم من حزبه بقوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وهم

يجهلون انهم اذا ابقوه على عمومه لزمهم أن يخطأوا الله في اصل تشريعه للدين فان التوبة والشفاعة بمفهومهما السارى في كل شىء لا يدعان موضوعية تصور للدين اصلا وهذا واضح جداً فلا بد من تصوير موارد لقبول التوبة كما صورنا موارد لقبول الشفاعة والحق ان الموردين من مقولة واحدة وهى ان المكلف قد ينهار على نظامه المحتم عليه فى فترات الحياة لصوارف تطغوعليه فتجره اليها من طريق ما يقال الجواد يكبو والسيف ينبو والكرة تمحو الفرّة لا انه يواصل الجرائم والجنايات عمرا طويلا ثم بعد أن يعيث ويعبث وتكثر ويلاته يريد التوبة بما يغطى على ماسلف منه فيجعله كأن لم يكن فان هذا المطلب لا تسيغه العقول انما تسيغ العقول قول الربّ من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وقول المكلف يوم القيامة ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وعلى هذا يكون الفرق بين التوبة والشفاعة ان التوبة محلّها فى دار التكليف والشفاعة محلّها فى دار الجزاء .

وبعد أن صحّنا مورد التوبة فكل معصية لها تدارك كقضاء الصلاة والصوم واعطاء الكفارة واداء مال الغير او استبراء الذمة منه وجب ذلك التدارك وان لم يكن كذلك كشرب الخمر مثلا فالتوبة وحدها كافية فيه هذا والتوبة معناها الندم على الماضى وترك المعصية فى الحاضر والعزم على عدم المعاودة فى المستقبل .

(وتتبع هذه الأصول الأحد عشر نقاط ونكات يجب التعرض لها) :

(١) ان الاسلام دين قام بالسيف ولم يقم بالمنطق - هكذا يقول اعداؤه - والأديان يجب ان تكون ركيزتها الحجج والبراهين لا السيوف والميادين وعلى ذلك فالاسلام نزعة سياسية تعضدها القوة لا نزعه دينية ملاكها الانسانية والأخوة ولكنه منطق زائف ان هو بالأتهامات

المجردة اشبه منه بالأدعاء المبرهن وجواب الشبهة كما تسمعه .
الحياة الإنسانية معناها طى مراحل الزمان على نهج راق ملاكه
انماء الإنسانية على اساس تشعشع العقول وحل رموز الطبيعة ، وانماء
الانسانية معناه حذف فضول الطبيعة كما يحذف البستاني فضول النبات
لاستئناء غروسه الأصيلة فالإنسان البدائي تصحب اصل خلقته زوائد
وحشية تأتي اليه من نبعة جنسه وهو كونه حيوانا وتتحذف منه بمراعاة
فصله وهو كونه عاقلا نظير الزوائد التي تكون فى غمار البذور التي يبراد
استئناؤها فهى تنمو بنمو الأصول بل تربو وتزيد عليها فكما ان البستاني
اذا اراد الاستفادة التامة من بذوره يأتى على الزوائد حشا حتى يخلو
المناخ للأصول وحدها فتترعرع وتنسبط وتستفيد لخاصة نفسها ما فى
تربيتها وماء سقيها وسماها وحينذاك تبرز جميع صلاحياتها المندكة فيها
كذلك يكون استئناء الانسان بحش فضوله النابعة عن حيوانيته حتى
يخلو الجو لعقله وتشعشعاته وكما ان فضول البستان تحش بالمناجل
او تقلع بالأامل كذلك فضول الحيوان تقمع وتقلع بأعمال القوة وبدونها
لا ترتفع المزاحمة والدعوة الاسلامية كنظائرها من الدعوات الروحانية
البنائة لا بد لها من ان تهدم المعارض حتى تبني المرافق اذ لم
يجعل الله لبشر فى جوفه من قلبين وهمى خرافى وحقيقى واقعى وكتب
السما تقص علينا ان الله كم اوقع بالعناصر المناوئة للحق من لادن
رسالة نوح الى قومه وما ذلك الا لانتها أصرت على التعنت فى نفسها
وكرست مع ذلك قواها لأىذاء الآخرين وليت انها اكتفت بالانحياز لنفسها
من دون أن تعارض على غير مبرر حتى يكون الباكون احرار انفسهم
فنبى الاسلام عندما شاهد بأم عينيه كيف تغتصب النساء الضعيفات على
نواميسها للأقوياء وكيف يقتنص اشداء الأسر الضعفاء وكيف يتحكم

المتغطرس بالمتواضع وكيف تداس الحقوق بأرجل اهل العقوق وبطبيعة الحال كل حرّ يملك ضميرا يقظا لا يطيق القرار على ما يشاهد من هذه الاوضاع القذرة وهنا انطلق الغيب يمدّ محمّدا بالصلاحيات الروحية والتوجيهات العلمية تأييداً لروحه المتشعشة فمضى يغدّ في دعوته فمرة يسقط واخرى ينهض كالفرخ الذي لم يستكمل قوته وقد وجد فى هذه الفاصلة من المنعصات وشاهد من المعارضات ما لا تهضمه الا قوة التصميم وشكيفة العزيمة فلما رأى نفسه عاجزة عن خفارة من اتبعه وأدرك اتباعه عجزهم عن نصرته وعن استقلالهم بأنفسهم فى دار الشرك لهذا ولذلك أمرهم بالهجرة الى ديار اخرى لعدم قوّة المعارضة بعد ما موّنتهم بالغذاء الروحى وهو ما نزل من القرآن الى ذاك الحين ليكون معينا لهم اذا صادفوا من يعيه ويلقى السمع الى فاتن معانيه فهاجروا الى الحبشة واخذوا من طرف خفى يبيّثون دعوتهم حتى اثروا بها على من لان نفسهم وطاب غرسه تأثيرا ان لم يقدهم الى اتباع طريقتهم فانه صيرهم اصدقاء بعد ما كانوا فى عداد الأعداء لا يشتركون معهم فى لسان ولا فى لون ولا فى عقيدة ولا فى محيط جغرافى ، واما رسول الله ، فقد بقى فى مكة ، خصوصا بعد موت عمّه ابى طالب وزوجته خديجة وحيدا من كافة جهاته ووحدته هذه شجعت اعدائه على التردد له فى كل زمان ومكان حتى اغروا اعراب البوادي به فما كان يذهب الى حى من احياء العرب الا وتتطايروا امامه زافّة من جهلائه يسيئون اليه ويمنعونه حتى من الورد الى محدودّة حبيهم ومضى يماطل الزمان مماثلة اسد محبوك القمرا شديد الأسر ولو كان غيره مكانه لا نهزم من ميدان المعارضة انهزامة النهائى واستسلم لأعدائه يفعلون به ما يشاؤون ماطل الزمان حتى بلغ دوىّ دعوته يثرب فلان لها كثيرون قصدوه فى الموسم

الى مكة واستدعوا منه الخلوة معهم فخلا بهم فى جوّ خال من الهنات فى رقعة منى فعرضوا عليه ان يستجيب لهم فى المضى معهم الى بلادهم فربما يجد هناك جوّا اطهر من جوّه الذى هو فيه فقال لكم ذلك بشرط ان تُتأزّلوا من يُنازِلنى وتسالّموا من يسالمنى وان تحمونى ممّا تحمون منه انفسكم فلم يجيبوه الى ذلك بادئاً لعلمهم ان الرجل لم يعاد احداً بشخصه حتى يعينوه عليه وانما يريد تطهير الأرض والزمان من كل ما لا يلائم روحيتّه ولا ينسجم مع دعوته ويحاول حشّ الزوائد الوحشية عن مزرعة الانسانية وهذا بالفعل لا يعلمون موقفهم منه حتى يرجعوا الى اوطانهم ويقفوا على منويات اخوانهم فرجعوا الى يثرب وبقى هو فى مكة يعالج مشكلات محيطه ولكن روحه التى زرع طرفاً منها فى المدينة اخذت تنمو فاستطالت غصونها وتدلّت ثمارها وصار الجمع المؤمن متعطشا الى ملاقاته مرة اخرى وعازما على اعطائه الشرط الذى اراده منهم متفائلين بأن قدومه عليهم ممّا يوسّع من دائرتهم ويزرع روح المفادات فى مؤمنينهم ويخرس السنة مناوئينهم فقصدوه مرة ثانية فى عام قادم بعد دوافر وجماعة اكثر وتصميم اثبت فكانوا فى هذه المرّة سبعين نقيباً بعد أن كانوا فى المرة الأولى اثنى عشر نقيباً واجابوه الى ما اراد من قتالهم معه الأبيض والاسود وهو كناية عن كل معارض وبعبارة اخرى تحدّوا بذلك من تحدّاه وهو قد تحدّى البشرية بأسرها ما واتاه زمانه ومكانه واعانته انصاره واعوانه فصرّفهم الى اماكنهم واعدّ لهم بالمجىء اليهم على اثرهم فرجعوا بجلود النمر لأعدائه وبأرقّ من اوراق الزهر لأوليائه وهو ريثما تفادى من علائق مكة مضى اليهم معتقداً بهم وبنفسه كلّ خير فكانوا فى استقبالهم له عند ثنيات الوداع من محيط يثرب مستجلين به شمّس نهارهم وقمر ليل اليهم وهتفوا بأسرهم رجالاً ونساءً واطفالاً عندما طلع

عليهم فى مقدمه اليهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ومضوا به الى بيوتهم حافين به كالهالة تحف بالقمر وهناك اخذ يطبق دعوته بالعبادات عملا وبالِعظّات بيانا ويدلى بأقطع حجّة ويسير بهم على اهدى محجّة فأوجس الشرك منه خيفة واخذ يجمع قواصيه حذر الوثية به من هذا الداعية المصمّ الذى راضوه بكل رياضة فلم ينثن عن مرامه وحينذاك وبعد مرور سنة وبضعة اشهر واقفهم فى بدر بسريّة ملؤها الأيمان والمفادات وجاؤا بأعزّ مالد يهيم فنصره الله والعزم الراسخ عليهم فخافته الجزيرة بعد ذاك خوفا جادا وعلمت انها ستواجه مستقبلا لا يرتبط بالماضى فى قليل ولا كثير واستمرّ يغدّ كذلك فى الأكثر له وفى الأقلّ عليه حتى شدّب فضول الحيوانية وبنى أول مدينة فاضلة فى ربوع المدينة عمادها العلم والعمل الصالح والأيمان بالله وبالقدسات فكما كانت البداية فى تأريخ الجزيرة وغيرها كانت النهاية كذلك فان يكن محمد أعمل السيف فقد اعمله فيما يعمله البستاني المخلص ليجعل من حد يقته روضة من رياض الجنّة سالمة من كل هناة واجدة لكل صفاء وارتياح خالصة البذور بعيدة عن غرائب التوحش فشقيق الى قدّاح ونرجس الى ياسمين .

(٢) ان الدين الاسلامى جوّز الرقّ وذلك دليل على انه لم يخلص

مع كماله من وحشية زمانه ، هكذا يقول متجدد العصر ، فاعلم أننا فى درسنا الآنف — مسألة قيام الدعوة بالسيف — ذكرنا ان الانسان باعتبار تحليل ذاته نراه يحتوى على عنصر هو المنشأ للذائل الاخلاقية وذلك هو ما فيه من الحيوانية فان الحسد الذى يشاهد فيه هو من اثـر

حيوانيته وهكذا الحقد والشرة والغدر والتملق والتعدى الى ما هو رديف ذلك وعنصر آخر هو المنشأ للفضائل الأخلاقية من الوفاء والأبء والسخاء والصدق والرفق وذلك هو ما فيه من الأنسانية ولا شك ان الأنحرافات المنتشرة فى ادوار البشرية هى نتيجة لصوق البشر بحيوانيته وتغافله عن مراعاة ما فيه من انسانية ومن هذا اللصوق صار فتاكا أفاكا متكبرا متحيزا لنفسه ومهما كانت واقفا فى طريق الخير مروجاً للشمر وبطبيعة الحال كل شىء مرتهن بخواصه وقيمه مقرونة بقيمة ما ينتج عنه فالكلبان كلب الصيد وكلب الهراش من مقولة واحدة - كلب - ولكن كلب الهراش لما لم يكن منشئا لأثر يستفاد منه لم تكن له قيمة عند الناس ولا عند الشرع بخلاف كلب الصيد فان له من القيمة بميزان دربته وفنه والانسان كذلك ففاقد الأثر الحسن لا قيمة له اصلا بخلاف واجد الأثر المرموق فان فيه كل القيمة وقد تنزل قيمة الأنسان الى احس ما يتصور حيث يكون هو والكلب الكلب فى درجة واحدة ولا ريب ان الكلب الكلب لا بد من اعدامه حتى لا يفسد غيره وهكذا الأنسان الفاسد المفسد لا بد من اتلافه حتى لا تسرى بوائقه والانسان الفاسد المفسد هو الذى يبارز الفضيلة وبصر على اقرار الرذيلة فبدل ما يرشد ويؤيد العدل الفردى والاجتماعى يدعو الى الظلم والاجحاف والتعدى والتجاوز وبدل ما يدعو الى العفة وتكثير الأعفاء فى المجامع يفعل المنكر ويرشد اليه وبدل ما يدعو الى الأمانة يخون ويكون سندا وملذنا للخونة وبدل ما يدعو الى حنو القوى على الضعيف والثرى على المعوز يساند الأقوياء فى اطاحتهم بالضعفاء ويصادق الأثرياء على ابتزازهم لحقوق الفقراء ولا نعتقد ان عقلا بشريا يتلأأ عن تصديق هذه الفتوى الحققة اذا فالأسلام فى مناوئته لوحرش الجاهلية لم يؤد الآ بعض ما هو الوظيفة

عليه فاذا جاز من طريق الحق ازالة حجر العثرة في درب الحق بقتل
الفسدة المردة فيطور اولى يجوز اذلالهم وتحقيرهم فَرِقُ المشرك اذا
جاز في حكم الشرع فما هو الا نوع من الأذلال والتحقير له ولا هدف
للشارع وراء ذلك .

والشرع لا يجيز الرق الا من طريق الشرك والوقوف امام دعوة الرسل
لصالح البشرية ورفع مستواها نعم ربما يبقى اشكال على مسألة الرق في
الاسلام من ناحيتين (الأولى) ان الشرع لا يرى منافاة بين الرق السابق
والاسلام اللاحق (الثانية) سراية الرق في الأعقاب حتى مع الاسلام فلو
استرق المشرك وأسلم بعد استرقاقه فان اسلامه لا يزيل عنه اثر الرقيّة
وهكذا اسلامه هو او اسلام اعقابه لا يمنع من سراية الرق فيهم .

والشرع في هاتين المرحلتين حث المسلمين على الأعتاق حثاً بليغاً
وجعله من اعظم الطاعات وخصص له زاوية من بيت المال لأجل شرائه
وعتقه وجعل في موارد الكفارات المتكثرة في الشرع اعنائه في الطليعة
من خصالها ومضافا الى ذلك كله فقد اعتنى الاسلام بالماليك حتى ان
الكثير منهم في ادواره ترقى الى اعلا قمة تتصور فصار ملكا على مملكة
اسلامية ككافور الأخشيدى وعشرات من نظرائه وأما المقامات العالية من
صدارة ووزارة وولاية وما الى ذلك فلم يخل دور اسلامي عن مئات بل
الوف منهم .

هكذا ينعى المتجدد على هذا الدين الحنيف في زمان كان الرق
فيه من اوضح مفاهيمه ، ولكن هلمّ الخطب في دور يحرم الرق والاستعمار
والاستبداد بالناس ويدعو الى الحرية ويدعيها ويقنن للبشرية حقوقا
بدعى الوقوف التام وراء تنفيذها ومع ذلك يعبث ويعيث ويستعبد شعوبا
وأماما وقارات ويقوم بأعمال تبلغ من التوحش منتهى ما يتصور في كل شىء

من اشياءه وتكفى قضايا الويتنام وجمله ممالك افريقية والفلسطينيين شاهدا على ذلك .

(٣) - انه فَاوَتْ بين الذكر والأنثى فى التكاليف وجعله قيماً عليها (فى مجارى الحياة) فى حال ان الطرفين من نوع واحد هو الأنسان ومشتركان فى جميع الخواص وبذلك يستدل على أنه هاضمٌ لحقوق المرأة ، هكذا يقول المتجدد ، والجواب عن ذلك من ابسط البسائط لو حصل حسن التفات ، أما من الوجهة الطبيعية والنفسية فقد اطبق كافة علماء الطبيعة والنفس - والشهود الحسى ردٌ لهذا الأطلاق - على ان المرأة تقل عن الرجل فى وزن المخّ وتتفاوت عنه فى جملة من الجهازات وانها وجود يعيش على العاطفة فسرعان ما تتأثر فى الفرح والترح وانها قشرية فى كل اشائها فالقشور والأعراض اكثر تسلطاً عليها من الجواهر والجذور وهذا المطلب من الظاهرات الطافحة على وجودها والذكر والأنثى وان كانا انسانين الا ان هناك فرقا كما رأيت بينهما وليس هذا الفرق مقصوراً عليهما فقد يحصل الفرق بين الحضرى والقروى بمقدار ما يحصل الفرق بين الذكور الأناث فان تطبيق القانون الواحد بجميع صبغاته على القروى والحضرى بلون واحد غلط مفتضح وكذلك تطبيق قانون أمة مترقية على أمة متسفلة فى عرض واحد غلط فان الأعداد رصيد للتكاليف فاذا لم تتحد الأعدادات يكون ايقاع التسوية حينذاك ايقاعاً غلطاً غاية ان الفروق بين الحضرية والقروية فروق ليست اصلية جذرية فهى بالتمرين قابلة للرفع بخلاف الفروق الطبيعية فانها غير قابلة للرفع اصلاً والشرع الاسلامى راعى فى تكاليف المرأة بنيتها الطبيعية ففاوَتْ بينها وبين الرجل فى التكاليف بمقدار تفاوتهما فى الخلقة .

ونحن بالفعل نعطيك فهرستا عمّا فاوت الشرع بين الطبيعتين

المؤنثة والمذكّرة فى ارباع الفقه الأربعة ، أمّا الطهارات من الأحداث والاحبات فلم يفاوت بينهما ان لا داعى الى التفاوت وأمّا فى احكام الصلاة فلم يفاوت ايضا إلا فيما يعود للستر فانه اكتفى من الذكر بستر عورته قبله ودبره أمّا فيها فأوجب ستر الجميع واستثنا صحن الوجه والكفين والقدمين وهذه الخصوصية يأتى التحدث عنها حينما نتكلم عن الحجاب وأمّا فى زكوة الأموال والأبدان والخمس والحج فهى معه سواء وأمّا فى احكام الجهاد فهى موضوع عنها هذا التكليف احتفاظا على بنيتها الضعيفة طبيعة وغزيرة وأمّا فى الدفاع فهما والأطفال والشيوخ والعاجزون سواء كلاً وما يستطيع الذبّ به عن نفسه وماله ووطنه وما يتصل بذلك وأمّا فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكذلك هما سواء وأمّا فى عالم العقود على اطلاقها من بيع وقرض ورهن واجارة ووكالة وما الى ذلك فهما سواء ايضا إلا فى النكاح فإن الايجاب وان كان منها إلا انها اذا كانت بكرًا فقد اوجب عليها اكثر الفقهاء مراجعة وليّها الشرعى ان كان موجودا من اب وجدّ لأب وسرّه ظاهر فان الولى اعرف بالمصلحة والمصلحة منها لأنّه مجرب مدرب بخلافها هى ولذلك اذا تمت المصلحة فى طرف القبول لهذه المرأة وعضلها الولى عن النكاح فإن منعه لا قيمة له شرعا وأمّا الطلاق فليس اليها لأن عقد النكاح الذى اهميته فى الأيجاب كان بيد يها نعم اذا تلوى عليها الرجل ولم يقيم بواجبها رفعت أمرها الى الحاكم الشرعى ليجبره على واحد من امرين أمّا الاعتدال فى السيرة او الطلاق واذا كان الزوج عنيّا او مجنوناً مثلاً فلها فسخ نكاحه بعد اثبات عيبه وأمّا فى الميراث فمن حيث الطبقيّة فهما سواء ومن حيث الاستحقاق فلا وذلك لأن الرجل فى الأعم الأغلب هو الذى يعول بالمرثّة وتكاليفه فى الحياة اكثر واوفر منها

بخلافها هي فأنها لا تعول بنفسها إلا اذا كانت منقطعة عن كل احد
وأمّا في القضاء فلا تصلح لذلك لما بينا انها تعيش على القشور
والعواطف فهي حتى لو كانت عالمة بارعة فأنها تملكها رقة النساء
وعواطفها والرجل ليس كذلك ومقام القضاء مهم فلا يجوز تخويله لكل احد
إلا بصفات قاهرات أهمها كونه مجتهدا مسلما الاجتهاد قوى النفس
فيه وثانيها ورعه ودينه واحتياطه حتى يكون ذلك وازعا له عن التصرف
التسامحي في دماء الناس واموالهم واعراضهم ونواميسهم والقضاء لا يقبل
النيابة إلا اذا كان النائب مجتهدا ورعا كالأصل الذي استنابه وذلك
لان الحوادث التي يختصم من اجلها ليست من رديف واحد في كافة
شؤونها وحيثياتها بل هي تختلف باختلاف احتفافاتهما فكلّ حادثة
تحتاج الى اجتهاد ولا يعقل في القضاء كما يعقل في غيره نقل الفتوى
فان ناقل الفتوى يقول ان المجتهد فلانا هكذا يفتي فيمن شك بين
الاثنين والاربعة والقاضي يقول حكمت ومصدر الحكم مباشر دائما لا
ناقل فليعرف ذلك، وفي عالم الشهادة لا تعدم المرأة اعتبارها ولكنها
لا تضاهى الرجل في النوعية فانه اثبت منها واكثر اطمئنانا وعيان ذلك
في الأثبات المتدينين نساء ورجالا اعظم كاشف وقد اشتبه واقع المطلب
على كثيرين من النساء والرجال الذين يحاولون مساواة الطرفين في كل
الأشياء ومنها النكاح التي تحدثنا عنها فأصدروا فتاواهم الزائفة بكذب
ما ينقل متواترا عن النبي والوصي بان المرأة اقل دينا من الرجل في
حال ان القضايا الواقعية تثبت ذلك ولم يقل النبي ولا الوصي بأنها لا
تملك الدين وليست من اهله بل يقولان انها في النوع لا تساويه في
النوع ايضا وهذا هو الحق لان دراسة الروحيتين تعطى ذلك المائز
بجلاء في نوعية الصنفين، وفي القصاص يقتص لكل واحد منهما واذا

كان في البين ارجاعُ وردُ مال منها عليه فُعِلَ ووجه ذلك ان ما ينقصه الأقتصاص منه في الأعضاء لا تلافى له وحتى بالمال لكنه عند ما يكون ذلك خطأ فان الدرهم الذي يستحصله دية يمون به عائلته بخلافها هي فانها في الأغلب لا تعول وانما تعال فناقصها يجبر بكّد وليها وكذالك يقال في الديات وان دية الذكر ضعف دية الأنثى واما الموارد الأخرى في تخلفها عنه وانها لا تكون امام جماعة للرجال وأنّ بدنها بجميعه عورة فسيبرها جدّ واضح وهي ان المرأة جنس لطيف وشهوة الرجال عالقة بها فاذا أبرزت بما هي عليه من لطيف خلقه حصل افتتاح والشارع لا يريد هذه الفتنة لأنها تورث ارتباكاً في المجتمع كما هو مشاهد محسوس والمتشكك في ذلك مكابر لا معنى لأطالة الحديث معه وبما ان الرجل اقوى منها واكثر شعوراً واحزم جعل قيماً عليها .

هذا والنبى (ص) راعى في سيرته العملية وهكذا الوصى عليه السلام ما تتقاضاه الطبيعة والشريعة من المرأة فقال النبى لحادى طعنيته يا أنجشة رفقاً بالقوارير وقال الوصى المرأة ريحانة وليست بقهرمانه وكلتا العبارتين تؤيدان معنى واحداً لان القارورة هي الزجاج والزجاج رقيق كما جاء في المثل من كان بيته من زجاج فلا يرم بيوت الناس بالحجارة والريحان عنصر طرى في اصله وفي ورقه وفي كل اشياءه اذا فليس بدن واجهزة المرأة قابلين للمضغط مادياً ومعنوياً بخلاف الرجل فانه يتحمل ضغوط الحياة ويكاتفها هذا من وجهة مادّية والمادة رصيد للمعنى فلا يتوقع من الزجاج أن ترتب عليه آثار الأجر كما لا يتوقع من الريحان ان ترتب عليه آثار الصريم فطبيعة الزجاج والريحان تقتضى استعمالهما بما هو من صلاحيتهما وهو الاستعمال الرقيق القائم على معنى اللطافة والظرافة وهذا الاستعمال هو التمتع بهما اذا فالمرأة

بحكم الطبيعة مخلوقة للمتعمق وكل من يستعملها خارج أطارها فهو ظالم لها متجاوز على حدودها سواء الحّ عليها بسوء السيرة وخشونة المعيشة كما هو ديدن المتوحشين من الناس او القى فى عاتقها سياسة الناس وتنظيم امورهم وشؤونهم وادارة اوضاعهم كما هو ديدن الجدد منهم بدافع التمدن كما يقولون، والشارع عندما اكنّها فى بيتها جعل لها كلّ الفراغ فى تهيأة موجبات الراحة لنفسها ولأطفالها ولزوجها الكادح حتى انه جعل محلّ عبادتها لربّها بيتها فقال مسجد المرثه بيتها ورتّب لها من الثواب على صلاتها فى البيت ما رتبه للرجل على صلاته فى المسجد وجعلها واحدا من المكلفين فى تكاليفها الخاصة بها بما هى امرءة فى قبيل رجل وانثى فى مقابل ذكر، واما فى معارفها العامّة فقد جعل زوجها قيما عليها ووسيطا بينها وبين مشافهة الرجال ولم يمنعها فى هذا الصدد ان تكون فى منتهى درجة من العلم والفضيلة اما من طريق الزوج او المعلمين من وراء حجاب او من مطالعة الكتاب او اية وسيلة اخرى مشروعة وان الفراغ المعيشى اذا مكّنها ان تخدم جامعتها بما هو من شأنها فعلت ذلك بتعليم النساء والأطفال فان الطفولة مقدّمة الرجولة وكلّ من صلحت طفولته كان الرجاء برجولته موفورا ومن هنا صحّ فى الحديث النبويّ الجنّة تحت اقدام الأمهات والمنظور بالأومّة امومة الحضانه والتربية لا امومة الحمل والوضع فقط فان الأمومة الثانية حاصلة لكل انثى تلحق وتطوى مراحل الحمل وتضع ولذ لك يثبت حق الحضانه للأم ولو لم تكن مرضعة لفرخها، هذا وقد برهن الخارج على عمق الأثر فى مقامى الأفراط والتفريط فى حق المرثه حيث الحّ عليها المتوحشون بالاستعمال فلا يستعملونها الاّ خادمة لمصالحهم وحيث اوسع لها المتجددون بما لم تعرف معه بيتا ولا طفلا بل ولا زوجاً

وبرهن الخارج ايضا انها عندما اختلطت بالرجال كتفا الى كتف ففضلا عن انها لم تقم بواجبها شغلت الرجال عن القيام بواجبهم بسبب الاختلاطات غير المشروعة وقصارى ما يتصور من استخدام المرأة استخداما في اطار خاص بها لا يشترك الرجل معها بالمرّة ونتيجة للعقم الذى اشرنا اليه اصبح الفرد البشرى فى الشرق الذى مارسناه يشتري حتى حقوقه القانونية بالمال فلا الرجال تقوم بوظائفها ولا النساء .

ويرى الجدد تعريزا لمقام المرأة حرمة تعدد الأزواج للزوج الواحد لان فى ذلك اغارة لها كما يرون حرمة طلاقها الا اذا رضيت هى وان ما عليه الشرع من تجويز تعدد الأزواج وان الطلاق موكول الى رغبة الزوج انقاص لحق المرأة بصورة جاهرة وجوابهم اما من ناحية تعدد الأزواج فقد تقدم ان المرأة ريحانة وانها من متع الحياة ولذاتها للطرفين فاذا قام الإنسان بواجب هذه الريحانة من عموم الجهات المادية والمعنوية على طبق المقاييس الصحيحة البعيدة عن الافراط والتفريط لا على ما تريد هوى او ما يريد ه هو مما فيه اشطاط وتطرّف فقد ادى وظيفتها فلو ان رجلا بقدرته المادية يودّ ربه الا اخلاقية ارضى اكثر من واحد ارضاء جذريا لا خداعيا وقام لهنّ بوظائفهنّ قيا ما آمنة من الحيف والأجحاف والخذيعه لما كان فيما يفعل متطرفا ولا مسرفا اذا كانت غلمته تدعوه الى ذلك وكان ماله مالا له بحق الكسب، وانما الممنوع هو المخادعة لهنّ بحيث لو علمت كل واحدة فى حينها كذبه وتدليسها لما قبلت به وكلّ من الخداع وما يمتّ اليه حرام عند الشرع .

والمسوغات المعقولة لتعدد الأزواج عدّة امور (١) العلمه الجنسيه بحيث لا تقوم الواحدة ببلغته بالشرائط السابقة (٢) كون المرأة فروكا لا

تهوى الرجال (٣) كونها عقيماً (٤) كونها مستمرة المرض (٥) كونها منقطعة عاجزة عن ادارة نفسها ماديا ومعنويا وهو يفى لها بهذه الحقوق من دون انقاص لحق غيرها من ازواجه ونظير ذلك من شتات المـــوارد والطوارئ التى لا يمكن ضبطها اذ لا ملاك لها والدواعى التى اهابت بالمتجدد أن يشكل وهو ما يراه من الخداع والأجحاف والتعدى بين المسلمين بالنسبة الى ازواجهم واردة على من تلبس بهذه الجرائم لا على الباقين المحسنين ولا على اصل الدين كما هو واضح .

وأمّا الطلاق فتحريره مطلقا وانه لا يجوز بالمرّة فهو ايقاع فى الاشكال واركاس فى الظلم حيث لا يحصل وتمام بين الطرفين فان ابقاءهما معلّقين ظلم فاحش لها لا مبرر له اذاً ففرضية الطلاق مع عدم الوفاق سواء كان من جانب احد هما او منهما معا بأىّ داع كان ذلك صحيحة وواقعة فى الخارج وهى من المن على الرجال والنساء فى مجارى حياة الطرفين ، نعم الطلاق الأعتباطى حرام سواء كان هو المتنزىّ عليها ام كانت هى المتنزىة عليه هذا من ناحية اصل تصوير الطلاق واما كونه بيد الزوج فلأنّ الايجاب فى الزواج كان بيدها فهى لما اعطت رسنها باختيار منها لطرفها لم يكن لها أن تأخذه منه بالقهر بل لها ذلك بالحق بعد اقامة الدعوى عليه بالتخلف عن المقررات .

وختاماً لهذه الفصول نستجلى بصائرنا وننور ابصارنا بذكر كلمة عن اعظم اسلامى بعد النبى (ص) شعشع الاسلام بعلمه وجلاه للخلق بعمله فكان اصدق ممثّل لأهمّ ممثّل .

(على فى اطباق البشرية وادوار التاريخ)

يقول الحسن بن هانى ابونؤاس :

ليس على الله بمستنكر
أن يجمع العالم فى واحد

وهو معنى مأخوذ عما قاله امير المؤمنين على عليه السلام :

أتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

ولكنه قاصر عن افادة معناه فان ابا نؤاس يريد انه لا مانع من ان يحقق الله في انسان واحد من الفضائل ما هو منتشر في العالم كله اما على فيقول قد حقق الله ذلك في كل فرد بشرى بزرع هذه الصلاحية فيه يعنى بالأمكان العقلى يستطيع كل فرد بشرى ان يكون مجمع الفضائل بريئا من كافة الرذائل لان اصل الخلقة منطوي على هذا الاستعداد بل لم يخلق الله الفرد البشرى الا لذلك اى ليكون فردا فاعلا للواجب تاركا للحرام متأدبا بأداب الشريعة وهو فى كل هذه المراحل انما يريد اسعاد نفسه واعلاء كيانه ولا منة له على احد فى كل خير يفعله وشر يتركه غاية ما هناك يطلع الفرد البشرى عند ما يطلع بعيدا عن ضميره الذى معه لصيقا بحيوانيته فقط حتى كأن الله لم يخلق له شعورا ولا ضميرا ولا وجدانا بل ربما يوجد فى الأفراطيين من يهزأ بالضمير والوجدان والانصاف وانما يتذكرها متى ابتلاه الله بساقت مثله يريد الأيقاع به فهناك يدرك ان الضمير نعم الرصيد للإنسان وان الوجدان خير هاد للآدمى وان الانصاف اقوم ميزان فى المجتمع ومثل هذا الكلام يأتى فى الأجهزة الانسانية من عين ناظرة واذن سامعة ومعدة تهضم وجهاز يعمل فان هذه الأجهزة فى البنية السالمة من طبيعتها ان ترى الباصرة منها البعيد والقريب وتسمع السامعة منها الاصوات القريبة والبعيدة وتهضم المعدة ما يدخل عليها من زاد الى ما سوى ذلك لكن الإنسان بجوره عليها بأسهارة للعين واغلاقه للأذن وادخاله على المعدة ما لا تقوم بهضمه واستعماله للجهاز الجنسى خارج محدودته يضعفها فتنهار فلا يرى الا بنظارة ولا يسمع الا بأذنيه ولا

يهضم زاده الآ بملين ولا يعمل جهاز جنسه الآ بمقويات ويعود الانسان وهو في هذه الحالة اذا وجد الآن من هو مثله فيما مضى عليه يعجب ويستغرب ويتمنى لو كان نظيره فعلا في حال انه كان يملك هذه الثروة وهو باختياره اعطاها من يده اذا فالنوابغ في البشرية انما اطلق عليهم هذا العنوان مع انهم لم يفعلوا شيئا خارجا عن مستدعيات شعورهم البناء لانحراف الباقين عن سنن الشعور الطبيعي وللمزاج الأعتدالى وقد ظهر العالم منذ البداية بنوابغ من صنفين فى الماديات والمعنويات فكافة القادة العالميين والمخترعين المكتشفين من رديف الماديين وكافة الانبياء اهل الدعوات العامة من نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والأوصياء المهمين كعلى امير المؤمنين والعلماء المثاليين الذين ألهموا ادوارهم بالحركة العلمية والزهد والتقوى من رديف المعنويين .

فلو توفى الزمان بقائد ذائد ومكتشف بناء وعالم مثالى فقد استوفى كماله وبنى كيانه وقل ما توفى زمان وحتى فى هذه الأزمنة التى ادعت لنفسها الكمال المطلق فى السياسة والاكتشاف والعلم للجمع بين تلك العناصر والمجامع الحاضرة قد تصدق بعض الصدق فى المطالب المذكورة الآ انها تفقد المثالية بطور مطلق وانما قام بناؤها على الماده السوداء فقط .

فلننظر اذا ماهى المثالية ولمثقلت وزنا فى الواقع وزهدت فيها الانظار عملا فى الخارج ، المثالية معناها هو التخلّق بخلق المجردات عن الماده يعنى ان الانسان يتخذ الطبيعة مطية لمقاصد اخرى هى التى يحق للعامل ان يتبناها كراكب الفرس الجواد فانه انما انتخبه - اذا كان عاقلا جوهرى المقاصد - لا لأن يتبجح به فيكون الجواد هو المقصد كما يتبجح الهمج بدورهم واثاثهم ودراهمهم ودنانيرهم بل لأن يكون

خير وسيلة لأيضاله الى مقصد ه وهروبه مما يشينه ، والمقاصد الأخرى المومأ اليها هى تحقيق معنى الشعور الأنسانى والذى يعنى الشعور هو رصف مجتمع فاضل لا يحسد فيه انسان انسانا ولا يعدُّ ربه ولا يكذب عليه ولا يخونه ولا يتجنى عليه ولا يذكره بسوء الى آخر رذيلة تتصوّر ليسعد الانسان بالأنسان لا ليشقى به ليسعد العالم بعلمه لا ليضايق عليه لانه عالم ويسعد الصادق بصدقه لا لأن يعود عليه وبالا، وليسعد المحسن بأحسانه لا لأن يخلق به اعداء الداء وقس على ذلك فان تنازع البقاء المذموم انما يتصور فى الماديات فقط ولا مجال له فى المعنويات فان الذى لا يحمل حسداً ولا حقداً ولا غدرأً ولا تكبرأً ولا يريد فى المادة توسعا لا يكون احد طرفى التنازع اصلاً اما لو كان حملاً لا لهذه الخلال فانه يكون طرفاً حاداً للتنازع ولا تراه يعيش الا مبارزا منا جزا فاتكا بالغير او مفتوكا به على ما لا طائل ورائه سوى التكثر من المادة فى حال انه يعطى القليل والكثير منها اذا ضايقت المنازعات وأطاحت به او ازعجته عنها بمواصلة المناورة صباح مساء ، وفى رصيد المثالية والمادية ما تقرؤه فى التوضيح التالى :

تقال المادية فى قبال المثالية كما تقال المفسدة فى قبال المصلحة لان المادة منبع كل شقاء فى الحياة اذا اتخذت اصلا برأسها فان كافه مساوى الأخلاق من حسد وحقد وغدر ولؤم وخيانه وتهتك وكذب وتزوير وظلم وتجاوز وارشاء وارتشاء وعمل للظالم منشؤها المادة لا غير والمراد بالمادة كل ما تدعو اليه الشهوة من مال وجاه ومضافاتهما فان الخلال المزبورة تنبع عن هذه العين فقط وعن هذه العين نشأت تحزيبات العالم شيوعية ورأسمالية وعن هذه التحزيبات هدمت دول وقامت على انقاضها دول اخرى وكل ما تطوّر فكر مادى جاء بجرائم وجنایات لا تحدّ

بحد ولا يأتي عليها عدّ وعلى هذه العين اعتركت البشرية منذ هابيل وقابيل وحدث فيها ما حدث ممّا تنبو العين عن مشاهدة آثاره والأذن عن سماع اخباره .

ولم نجد هذه الأمم والعناصر اعتركت يوماً من أيام الله على درس علمي له مساس بالروح وتربية النفس او على نظرية تبنى الصلح والصفاء بين الناس نعم ربّما يدعى المعتركان ذلك في أوّل بروزهما الى سوح القال ليصطادوا بذلك الأوهام والأفهام ولكنهما اذا أحرزاً شيئاً من المقصد انشمر كل منهما الى غايته التي يتوخاها .

أما علماء الروح ودعاة المثال فقد توجهوا الى نقاط ضعف البشريّة من قديم الزمن وحاولوا إخماد جذوة المادّة المشتعلة في قلوب الناس فما افلحوا الا في انصار قلائل وبقي الباقيون بحكم الفراش يعتركون على جيفة المادّة ويتهافتون موتى عليها فأمّا مقتولين بسيف الجسد او بخنجر الحقد او بسنان الظلم او بحربة التعدي الى ما شابه ذلك، ولا شك ان نظرية علماء الروح التي مفادها زرع اللا اقتضائية في النفس بأن المادّة اذا توفرت من طريق مشروع فلا مانع من الأقبال عليها والتنعم بنعيمها وان لم تقبل فلا يكن في النفس من لوعتها ألم وهذا هو معنى الزهد الواقعي وهو انك لا تعتدّ بالحياة المادّية اعتداداً متأسلاً بل تعتبرها إعداداً لمقاصد اشرف وأنبل - كما قيل كل الزاد ليحملك لا لتحمله - وتلك المقاصد هي تطوير الجامعة الى مجتمع هادئ يتحلّى بشرائف الأخلاق لا مجتمع صاحب يعترك على الخبز واللحم قلة وكثرة وتنوعاً، هذا هو الزهد والزاهد، لا ان معنى الزاهد من يمنع نفسه ممّا آتاه الله ويلبس الأسمال ويأكل فتات الطعام على وجود المأكّل والملبس عنده كما هو مغروس في اذهان العوام، ولأجل تثبيت معنى الزهد الواقعي في

ارواح المكلفين ندب الشرع الى الزهد وطلع دعاة الشرع به طلعة قهارةً ليبينوا للناس عملياً ما يدعون اليه قولياً و في الطليعة من هذه الأمة الاسلامية كان على عليه السلام فقد كان مثالا رائعا في الزهد لا يخدم نفسه فقط بل ليحيل المجتمع الى مجتمع هادٍ يعيش براحة وسكون ولكن الموانع القذرة لم تتشع امام عينيه ليتحقق مقصوده فان حرب الجمل لم تتوفر دواعيها الا من اجل المال فقد اثبت التأريخ ان جملة من اهل البصرة سألوا طلحة والزبير عما جاء بهما الى البصرة فقالا - على ثرائهما الطائل - بلغنا أن فيها اموالاً كثيرة ، كما اثبت التأريخ بصراحة ان سبب انحياز عبد الله بن الزبير بنفسه عن يزيد بن معاوية هو أنه رأى في المدينة يوم جاء اليها معاوية في دور خلافته بغالاً شهياً على غاية من الجمال والأبهة في جهاز هذا الخليفة فهز ذلك من نفسه ولم يتسن له الوقت حينذاك فأرجأ الامر حتى مات معاوية فظهر ابن الزبير مخالفاً ليزيد من اجل تلك الرغبة ومن هنا تعرف الفجوة الشاسعة بين هدف هذا المسكين وهدف ابي عبد الله الحسين بن علي وانه لم ينهض أشراً ولا بطراً وانما نهض لأحياء سنة جدّه رسول الله فعلياً اراد أن يبنى للجامعة كيانا شريفا متأسلا ولكن سيره الزمنى الذى حُفّ بمتنوع المشكلات عاق مقصوده عن التحقق .

ولزام علينا ان نبحث من هو على بن ابي طالب وكيف انصهرت نفسه بما طلع به من فضائل ، على عليه السلام ولد في بيئة وان لم تكن اعرابية في عرف الناس الا انها اشد ملابسة لاخلاق اهل البوادي لانها كانت ترتكب ما يرتكبه اهل البوادي من عبادة الأوثان واستغلال القسوى للضعيف والتجرد عن معاني الفضيلة بجرء وطغيان لكن هذه البذرة من أول سنّى رشدها دخلت في حضانه رسول الله قبل أن يبعث رسول

اللّٰه وتدرجت في احضان هذا الاستاذ واقتدت به في كل اشياءه ودافعت ونافحت عنه كل دفاع ومانفة حتى آخر نفس لفظه رسول اللّٰه وقد عرف رسول اللّٰه قدره منذ اول البعثة في قضية الأندار واخذ يواصل في تفضيله وتشريفه عند كل بادرة خيرة تصدر عنه وما اكثر بوار الخير صدوراً عن عليّ وذا هو عليّ في كثير من فصول نهج البلاغة أعرب عن تخصصه بالنبيّ ومسيرة النبيّ معه فكان من نتيجة انصهاره برسول اللّٰه انه نشأ متعبداً متهجداً وليس لزاماً على وليّ اللّٰه ان يجهد نفسه في هذا الطريق بهذا الأجهاد الذي كان فيه من مضارب الأمثال كما نشأ عاملاً كادحاً ليعيش بكّد يمينه ويواسى الضعفاء بعرق جبينه ونشأ ايضاً ناطقاً بما لا يدانيه احد بعد رسول اللّٰه في البيان والفضاحة والبلاغة والقدرة على الكلام كما نشأ ايضاً شجاعاً قهاراً دوخ الميادين وثلم السيوف في ذات الحق ونشأ زاهداً الى أبعد غاية واقصى نهاية حتى اتخذه زهاد العالم قبله لهم وقدوة وكان اعظم علماء الاسلام وافقههم واقضاهم واعرفهم بالكتاب والسنة وسائر المعارف وكان غاية في النزاهة والترفع بالنفس عن مدانة السفائف وكان مصداق الحاكم العادل حيث لا حاكم عادلاً سواه بعد الانبياء والأوصياء وكان اوفى الأوفياء لرسول اللّٰه ما بارحه طرفة عين حتى وسده في ملحودته معظماً لا بنته في زمان حياته وبعد مماته محترماً لذريتها غاية الاحترام بحيث كان يفدى الحسين بسائر اولاده وكان يحرض عليهما غاية الحرص اكراماً لرسول اللّٰه ويدفع بابنه محمد بن الحنفية في لهوات المنايا ويقول لمن يعترضه في ذلك ان محمداً ولده والحسنان ولدا رسول اللّٰه وان محمداً يده والحسنان عيناه والأنسان يدوده بيده عن عينيه وكان حراً صريحاً في كافة مشاربه الحيوية لانه يرى ان المجاملة بالحقائق اطاحه بها ولو كان

من اهل المخاتلة كشيخ السقيفة والشورى لا متلك الخلافة بادئ ذي بدء ولا استخف نفوس طلحة والزبير وابن العاص وغيرهم بكل منقود وموعود ولراض معاوية رياضة لا يكون معها معاوية الذي اطلعه التاريخ امام علىّ ولما كان في فعله هذا بدعاً في الخلفاء فقد فعل ابنا ابى قحافة والخطاب في السقيفة وما بعدها كل فعل يخدر اعصاب الناس لهما وحتى الرشا للنساء وجاء من بعدهما ابن عفان بأفعال نابية ادركها عليه حتى الحمقى من الناس وكان من علو النظر انه تسنح له الفرصة بأعدائه من طريق لا يرضيها فلا ينتهزها فلم يتعرض لابن العاص عندما كشف عن عورته في صفين ولم يحم الشريعة على معاوية وجنده عندما ملكها وبالأخير فقد كان على بن ابى طالب من معجزات الدهر ومفاخر البشرية لا يشابهه فيما كان عليه الا الانبياء العظام فهو حقا وان كان بشرا الا انه منقطع النظير بحق فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا .

وعلىّ هذا هو الذي تبنى شعاره من اتى بعده ممن درس على مكتبه واستسلم لدعواه الناس اعتمادا على الظاهرة الطافحة عليه ولكنه لم يستطع قرارا عليها ففرّ من المثالية الى المادية بأسرع وقت فكان كقسّ سلامة المغنيّة قضى عمره على الترهّب لان الصدف لم تساعد على اكثر من ذلك لكنها لما انفرجت له عن سلامة صار أحسّ منها فهذا مكتب الروح الذي شرع بعلىّ في عالم التشيع واخذ يواصل سيره في الزمان مع كل الموهنات فقد لا يس اذنان تلامذته كافة انواع الأعنات والاختناق من الحسن والحسين ومن بعدهم من الائمة وأبطال هذه الحركة كالمفيد والشيخ الطوسى والمحقق والعلامة والشهيد ————— والفحول الذين درجوا على هذا المدرج وقاموا بواجب رسالته المكتب

خير قيام مع ازعاج شديد وملاكمة للحوادث - هذا المكتب الرائع بعلميته ومثاليته وصدقه وورعه واخلاصه وصدوره امام الفتن ومضلاتها ، نراه في دورنا الحاضر يتبناه جملة خدمهم في بادء اعمارهم فأضرموا له كل سوء ليكافؤه على احسانه متى قد روا على المكافئة فقد روا عليها بسببه وها هم يجهزون عليه بالسيف الذي قلد هم به ليقتلوا مكان على معاوية وبدل الحسين يزيد وليأخذوا بثأر الشيخ الطوسي حين أزعج عن بغداد واحرقت كتبه ونهبت داره وبدم الشهيد بن حين اريقت دماؤهما على حساب هذا المكتب تعال وانظر كيف تجسمت الخواج في اجسامهم وطلعت القرامطة من بواطنهم واعيد شريح القاضي ويحيى بن اكرم في قضاتهم وابتعثت الفلاسفة الكلبيون في كتابهم واهل زعامتهم وزياد والحجاج والمغل من ولاتهم وكيف ساد الهرج والمرج وجرت الدماء تركض في مجاريها واستلبت الاموال وركدت الأشغال وعمم الخوف والوحشة والاضطراب اكناف ما وصلوا اليه بدبيب ارجلهم وامتداد ايديهم تعال وانظر كيف يهان محمد بن عبد الله بمسوخ شريعته ونسخ احكامه وكيف يهان على بهدم مكتبه القائم على الزهد والايتار والعدل الواقعي وكيف يهان الحسين الذي سقى في اخرج ساعات حياته خيول اعدائه بالماء الذي لا تكافئه الدنانير والدراهم في وقته فعل ذلك تكراً وعلوّ نظر وبعد همة واسداء للمعروف لانه من اهله وان لم يكن قبيله شريعاً ولا كريماً ويهان جعفر بن محمد بتغيير فقهه وهدم مدرسته ويهان الشيخ المفيد والطوسي والمحقق والعلامة والشهيدان بسببهم والحط من كرامتهم ورميهم بأنهم جبناء خرافيون اسقطوا الحياة عن مدارجها المرادة لها انظر اليهم كيف تبعث بهم الخواج بعد الف واربعمائه سنة اولئك الذين يلوكون كلمة لا حكم الا لله ويبقرون بطون الحبالى

ممن لا يعرفون حقداً على البشرية بما هى بشرية كما تبعث بهم القرامطة
والفلاسفة الكلييون الذين يرون من العار ان تقصر اليد عما باستطاعتها
ان تصل اليه من اموال البشرية واعراضها بل ودماؤها وبالأخير يبعث
بهم كل جلف ساقط وكل مهتوك سافل وترى الاخير بمضيعة من هؤلاء
السفلة الأشرار والناس فى مضايقه من هؤلاء النشالين الشحاذيين
الحيالين باعة الضمائر ومظلمى البواطن والوحش الكاسر فى القرن
العشرين لعنهم الله واخزاهم .

ونعود الى ما صدّرنا به البحث من آيات سورة الرعد فنقول كلمة تلك
اشارة الى ما استعرض فى هذه السورة من آيات والذى أوعى نزوله
اليك من ربك ليس هو ادعاء مجرد بل هو حق ثابت وانه ليس منك ولا
من انسان سواك وان كان اكثر الناس لا يعتقدون ذلك والذى يدل
على وجود صانع الكون والكائنات هو ما تراه العيون المجردة والمسوحة
من اجرام عظيمة تسبح فى فضاء لا حد له ليس لها ماسك من فوقها ولا
داعم من تحتها وهذا امر له من الدهشة ما لا تحيط به العقول وعرش
الله كل العالم واستواؤه على العرش حكومته واستيلاؤه وتصرفه وتصريفه
وتسخير الشمس والقمر اجراؤهما الى ما هما فيه من جريان معجب
مغرب والأجل المسمى تهافت جرميهما بوسائل التعرية تلك العوامل
المهمة التى تغير وتطور وتحذف وتتلّف وتدبير الامور اجراؤها على وفق
مصالح الخلق وتفصيل الآيات بيانها لأولى الألباب حتى يوقنوا أنّ
هناك صنعا حكيميا ومن حكمته ان يكون اليه مثاب وعليه معاد .

* (وهو الذي مَدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وانهارا
ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى
الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون :
وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب
وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون) *

الراسى الثابت والتغشية التغطية والصنوان هو ما يطلع في اصل
النخلة ويشعب بعد ذلك في فرعه وغير الصنوان ما كان منبته مستقلا
والأكل بضم الهمزة والكاف هو الطعام ومدّه سبحانه للأرض هو بسطه لها
وكثرة الأرض باعتبار اتساع ابعادها لا ينافى كرويتها اطلاق البسط
عليها والرواسى هي الجبال وهي مسامير للأرض تمنعها كثرة الميّدان
والحركة ويُنظر لذلك بالسفينة المملوءة والخالية بين الماء المتدافع
وهبوب الرياح فان المشحونة شحنا معتدلا اثبت على وجه الماء من
الخالية تماما والأنهار هي مسارب الماء ليستفاد منها للشرب والزرع
والازواج في الثمرات يكون بالذكورة والانوثة وبتعدد الألوان والأذواق
وجعل خلقه الأرض قائمة بالحركة حول الشمس كما جعلها في نفسها
متحركة أما حركتها في نفسها فليتولد منها الليل لاستراحة الانسان
والحيوان والنهار للأفاضة في العمل وأما حركتها حول الشمس فلتتولد
الفصول الاربعة الحرّ والبرد والأعتدال الربيعي والخريفي فأعشاء الليل
النهار معناه تغطية الظلمة بالضوء وعكس ذلك بالعكس ومن علائم
وجوده وحكيم صنعه انك ترى المسافة الواحدة في الأرض ذات قطع

مختلفة فى الخصوصية فسخة وتربة طيبة وما الى ذلك كما ترى كثيرا من وجه الارض مكسواً بخضرة يانعة من انتاج الطبيعة ومن عمل الانسان عنبا وزرعا ونخلا صنوانا بأن تكون نخلتان من اصل واحد وغير صنوان بأن تكون كل نخلة من اصل يسقى بماء واحد لكن انتاج هذا الماء الواحد انواع وفضل بعضها على بعض فى الأكل فيكون الحلو والأحلا ولكل خاصيته ان فى هذه الآثار المتعددة فى هويتها المختلفة فى خصوصياتها لآيات على وجود صانعها الحكيم لكن لمن أعارها عقله وهدايه لاللعابىر المستطرق الفاقد للتمييز .

* (وان تعجب فعجب قولهم إذا كنا ترابا انا لفي

خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك

الأغلال فى اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها

خالدون : ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنه وقد

خلت من قبلهم المثالات وان ربك لذو مغفرة

للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب :

ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما

انت منذر ولكل قوم هاد) *

المثالات بفتح الميم وضمّ الثاء جمع مثلة بفتح الميم وضمّ الثاء ايضا

وهى العقوبات والمنذر هو الواعظ بالتخويف والهادى اعمّ منه ، وان

تعجب يا محمد من شىء فاعجب من انكارهم للمعاد الجسمانى وانما

قال تعالى ذلك لان جملة من الأمور التى تستغربها النفس لو دقق

فيها النظر لكانت من ابسط البسائط واستغرب البسيط ممّا يثير العجب

قطعا وانما كانت الأعادة للموتى بسيطة لأن كل ذى عينين بعد ان يرى

ان خلقة الانسان والحيوان كانت من مادة منوية استحالت عمّا يأكل
الإنسان والحيوان ويشربان فالغرابية حقا هي ما كانت في مبتدأ الخلقه
لا في اعادةها ونرى القوم بالعكس لا يستغربون اصل الخلقه لأنه مألوف
لهم ويحيلون اعادة الموتى لانهم لم يشاهدوها في حال ان المشاهده
وعدمها لا مدخل لها في حقيقة الشئ كما هو واضح، واعتبر الله منكر
المعاد الجسماني كافرا بالله نفسه وقد حكم تعالى على الكافر بأنه
تغلّ عنقه يوم القيامة وانه من اصحاب النار الخالدين فيها ،
ويقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنه يثير في الأنسان
العاقل خاطرة جميلة هي ان دعاة الله يعدون الناس بالأثابة على
الطاعة ويوعدهم بالعقاب على المعصية سواء في الدنيا ام الآخرة فمن
حق العاقل ان يقول لنفسه دعيني أطع الرسول فيما اقول فأن لم اجد
للطاعة اثراً فلك حق الجفول عن قيود الطاعة حيث لا أثر يترتب عليها
لا أن يقول للرسول انا من ساعتى هذه معاند لك لاج معك فأسقط
علينا كسفاً من السماء كما تزعم فان هذه المقالة منه دليل حمقه وهذا هو
الأستعجال بالسيئة قبل الحسنه على ان هؤلاء المستعجلين بالسيئه
قد طرق أسماعهم ما أنزل الله بالأمر قبلهم من عقوبات في عراض هذه
الحياة ومع هذا كلّه فأنّ الله لذو مغفرة للناس على ظلمهم اذا نزعوا
أيديهم من الظلم وتداركوا منه ما هو قابل للتدارك كما ان ربك شديد
العقاب للمتعمّن المتفلمّ المتهمّج ويقول الذين كفروا تمسكوا لبقائهم
على الكفر هلاً أنزل على محمد ما اوتى صالح من الناقه وموسى من العصا
وعيسى من ابراء الأكمه والأبرص هنالك قل لهم يا محمد ربى اعلم بما
يصلح انزاله فى متشتت الأجيال فتاره عصى لموسى واخرى قرآن لمحمد
وكلاهما معجزان

بسرُّ على طريقك في التبليغ يا محمد انما انت منذر للناس والذي يوقفهم للهداية او لا يوقفهم باقبالهم عليه تارة وبأدبارهم عنه اخرى هو الله تعالى لا انت ولا غيرك ويجوز أن يطبق عنوان الهداية على متبعى الدعوة الإسلامية بأخلاق يعنى ان اصل الدعوة من الانذار والتبشير وبيان جعل الأحكام وتوظيفها عليك واليك لانك الحلقة الرابطة بين الناس وبين ربهم وأما تعبيد تلك الطرق وايضاها وتسهيل فهمها على شتات المكلفين فهو موكول الى الهداية الذين يتوزعون فيما بين الأمة لأرشاد ضلالها وتعليم جهالها وهنا آثار وردت عن لسان رسول الله في تطبيق هذه الآية عليه وعلى عليه السلام وانه هو (ص) المنذر وعلى هو الهدى .

* (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام
وما تزداد وكل شيء عند ه بمقدار :عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال :سواء منك من أسرّ
القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب
بالنهار :له معقبات من بين يديه ومن خلفه
يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا اراد الله بقوم سوء
فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال) *

غيض الارحام نقصانها ومعنى ذلك وضعها الحمل لدون اقصى
الحمل وزيادتها وضعها له اكثر من اقصى الحمل والغيب هو السرّ
والشهادة هى العلانية المستخفى بالليل هو السائر تحت حجاب
ظلمته والسارب فى النهار هو الطافح المكشوف بضوء النهار والمعقب
هو الذى يتعقب الطرف اى يسايره اينما سار والوالى هو الذى يلى امور
الشخص ويشرف عليه .

بحث هذه الآيات عن جملة من صفات الله فمن ذلك علمه الواسع
بسعة الكون والكائنات فيعلم عندما تتعقد النطفة فى رحم الأنثى انها
كيف تتعقد ذكرا ام انثى متعدد ا ام متحد ا ناقصا ام سويا وانه ولد
لأقصى مدة الحمل وهى تسعة اشهر على المعروف بين الناس او لما
هو اقل منها او ازيد كل شيء من ذلك ثابت عنده بقدره الذى قدره
عليه يعلم ما يغييب عن الحواس كما يعلم ما تشهد به كبير فوق كل كبير
متعال فوق كل عال تستوى عنده حالات الجهر والأخفات والمستترىظلمة
الليل والظاهر ببياض النهار لهذا السارب والمستخفى رصيد من ناحيه

الله يسأرونه اينما سار لحفظه وقوله من امر الله يحتمل فيه معنيان الأول ان الله يقدر على عبده قد را ويوعز الى ملائكته انكم اذا وجدتموه بعدما قدّرت عليه وصل رحماً او فعل خيراً فاصرفوا عنه امرى والآ فنفذه والثانى ان من تعليلية بمعنى انهم يحفظونه لان الله امرهم بحفظه ان الله لا يغيّر ما بقوم من نعمة وصحة وأمن حتى يغيروا ما بأنفسهم من ايمان وصدق ورفق وما الى ذلك واذا صوّب قضاؤه الى قوم فلا مردّ لقضائه ولا يستطيع ان يحول احد بينه وبينهم .

* (هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعا وينشئ)

السحاب الثقيل : ويسبّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال : له دعوة الحقّ والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الاّ كباسط كفيّ الى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الاّ فى ضلال : ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدوّ والآصال) *

البرق هو اللعان الذى يحدث من اصطكاك الغيوم والرعد الصوت الحاصل عند الأصطكاك ووصف السحاب بالثقال لانها تحمل ماء غزيراً والصاعقة شواظ من برق ينزل الى الأرض نتيجة لقوة الاصطكاك فى الغيوم والمحال هو القوة يقال ما حله اى قاواه والظلال هى الأفياء التى تحدث للشواخص القائمة على الافق والغدوّ هو الصباح والآصال جمع الأصيل وهو طرف العصر الى الغروب .

ومن صفات صانع الكائنات وادلة وجوده ان التبخيرات الأرضية
يجمعها بالرياح وعلى اثر تصاگها يحدث البرق والرعد والصواعق يفعل
ذلك تخويفا لكم حتى تقللوا من ارتكاب المفسد وتطميعا لكم بهطول
الأمطار التي تنبت الزرع وتدرّ الضرع وتملأ اوانى الأرض من نهر وعين
وبئر وغد يرأما تسبيح الرعد فهو شأنى ومعناه ان كائنات الكون لو كانت
لها ألسنة ناطقة تستمدّ من عقول راسخة لسبحت الله وخضعت له
خضوع تعبد لمعبود بحقّ أما الملائكة فتسبيحها حقيقى لأنها تخاف
مغبة المعصية وارسال الصواعق كما يكون احيانا للانتقام يكون احيانا
للابتلاء ومع كل هذه الآيات العظيمة ترى المتعطرسين من عباد الله
يجادلون فى وجوده ويكلون سير هذه الآيات الى الصدف ومحض
الاتفاق غافلين عن ان الصدف لا تكون على نظام وما اشار اليه الله
مجارى منظّمة مهمّة قهارة يستحيل حصولها لا عن سبب ومسبب سبب
حتى تصل النوبة الى علة كافة العلل والله اشدّ منهم محالا واعظم
بطشا هذا هو الله الذى يليق بالأنسان ان يدعوه فى سرائه وضرائه
ليفرج عنه ويديم له النعمة أمّا ما يتخذة الكثيرون شركاء لله فما هو الآ
وهم وخداع ولا يستجيب الوهم لداعيه وما مثاله الآ كمن يبسط كفيه للماء
البعيد التناول عليه ويدعوه ليقمز اليهما فهل يقمز الماء وهل يبلغ فاه
كل ذاك وهذا ما لا يكون اذاً فما دعاء الكافرين بالله لما يعتقدونه مؤثرا
وحيلة ووسيلة لأنجاح المقاصد الآ فى ضلال ومتاهة ولله يسجد كل مكلّف
سواء كان فى العوالم العليا ام السفلى طوعا وهو ظاهر فى المطيعين
وكرها فى العصاة المتمرد بين والجاحد بين ومعنى سجوده الأكرهى ان
عقله الواقعى خاضع ومتى خضع العقل فان الجوارح اذا لم تتابعه كانت
مكابرة والمكابرة محكوم وظل الشىء شخصه ولازم سجود الظل سجود

شاخصه فهو تعبير كنائى نظير طويل النجاد بالنسبة الى طول القامة وتخصيص الغدّ والآصال بالذكر لأنّهما مظانّ عبادة بلفّ خيمة الليل العظيمة بلحظات وانستار ضوء الأفق المستطيل بآنات وكلاهما عبرة وآثار قدرة .

* (قل من ربّ السموات والأرض قل الله أفاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرّاً قل هل يستوى الأعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهار) *

سل هؤلاء المشركين يا محمد فقل من هو صاحب هذه الأفلاك والعوالم العلوية ومن هو مالك هذه الآفاق الأرضية وما ترون فيهما من اجسام وأجرام وانسان وحيوان ونبات وجماد طبعاً لا يستطيعون ان ينسبوا ذلك لوثن او صنم اذ هو قطعة من حجارة او حديد اذ أفضاحب هذه العوالم والكائنات مبدأ كل مبدأ وهو الله واجب الوجود قل أمثل هذه الذات العالوية المقدار يتخذ من دونها وليّ ومن هو هذا الوليّ أليس هو ومهما عظم شأننا لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعا بمعنى انه عاجز يستمدّ حياته وموته من غيره فقل لهم اذاً نحن المؤمنون بهذا الصانع وانتم الجاحدون له او المشركون به مثلنا مثال الأعمى وهو انتم والبصير وهو نحن ومثال طريقتكم فى عقائدكم الظلمة ومثالنا فى طريقنا الى ما نعتقد هو النور ثم قل لهم أوجدتم لهؤلاء الشركاء خلقاً أصدروه وكائناتاً خلقوه فاشتبه مخلوق ذاك بمخلوق هذا عليهم فوجدوا الطرفين جد يرين

بالعبادة فعبدوهما معا - لا - ليس الأمر كذلك فأن خالق الجميع هو

الله الواحد عددًا وصفة القاهر لكل شيء بدون استثناء .

* (أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها -

فاحتل السيل زيدا رابيا ومما يوquدون عليه في

النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب

الله الحقّ والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما

ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله

الأمثال : للذين استجابوا لربهم الحسنى

والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض

جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء

الحساب وماؤاهم جهنم وبئس المهاد) *

ضرب الله في هاتين الآيتين امثلة للحق والباطل والأيمان والكفر واليقين الجازم والشكّ المحير فقال انزل الله من السماء ماء فسالت الجبال والسهول في منخفضات ما بين نهر كبير وجدول صغير كل بحسب ظرفيته فولد هذا الماء العارم بتدافعه زبدا منتفخا أما الزبد وهو الباطل والشكّ فلا ثبات له بل سرعان ما يتهافت وأما ما ينفع الناس لزرعهم وضرعهم وشربهم وسائر موارد استعمالهم وهو الماء فيبقى ومثله الحق والصدق واليقين الجازم والأول هو التذبذب والكفر والثاني هو الأيمان والاسلام والدين وكذلك خلق الله معادن منطبعة لحلية الناس وما يترفقون به من ذهب وفضة ونحاس وورصاص وما الى ذلك يأتي الصائغ فيضع العنصر المنطبع في بوتقة ويوقد تحتها فتري هنالك أن خبث الطبخ يعلو كالزبد والعنصر السالم يمكث في قراره

البوتقة فأما الخبث فيلقيه والخبث هو الباطل والعنصر السالم هو الحق فيلقيه فأما الذين استجابوا لدعاء ربهم عندما دعاهم للأيمان به وبكل واقع فان لهم الحسنى عند الله والذين لم يستجيبوا له تكبرا وتعنتا فلا ينفعهم شيء حتى لو ملكوا كل الاشياء وهذا هو سوء الحساب حيث لا يخلو المتعنت المتكبر المعاند في العقيدة بالله من حسنة يفعلها في دهره فلا تفيد هذه الحسنه لأن رصيدها ليس هو الأيمان ولا تغفر له زلة لان اساسها الكفر والمهاد ما يفرش للأنسان حين ينام * (أفمن يعلم أنما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الألباب: الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق: والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب: والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار: جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم يدخلون عليهم من كل باب: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) *

وكما اوقع تعالى المقارنة في الفصل السابق بين الحق والباطل اوقع المقارنة هنا بين المحق والمبطل وبين ملاكا من صفاتهما فقال ان هناك من امعن النظر ودقق في المطلب فعلم أن القرآن ليس من صنع انسان وانك نبي حق ولسنت بدجال وهناك من انكمش الى جهله وانزوى الى قومه وأعرض عن القرآن فلم يمارسه وابتعد عنك فلم يعرفك

فكان الأوّل هو البصير والثانى هو الأعمى وهذه التذكّرة وضرب الأمثال
 انما تؤثر فى اولى الألباب الذين بتنبّه عقولهم يوفون بعهد الله وهو
 التكليف الملقى على عواتقهم ولا ينقضون المواثيق التى يعطونها من
 انفسهم لغيرهم والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من رحم ومؤمن
 ويخافون ربهم ان يؤاخذهم على ارتكاب ما نهاهم عنه وترك ما أمرهم به
 ويخشون محاسبة الله الدقيقه لهم التى لا تخطأ من ناحية ولا يضلّ
 عنها شىء من ناحية ثانية والذين تعتورهم المشكلات فلا يجدون منها
 مخلصا عقلانيا فيصبرون مفوضين امورهم الى الله والذين لما تدبروا
 الصلاة لم يتركوها بحال وأقاموا لها بين الناس سوقا وانفقوا مما آتاهم
 الله سرا فان السرّ ابعد عن الرياء وعلانية حيث يريدون ان يتأسى بهم
 الأقران والامثال واذا بدرت منهم سيئة لاموا انفسهم عليها فتداركوها
 ان كانت قابلة للتدارك وجاءوا بحسنه مكانها لتسدّ فجوقها اولئك هم
 اهل العاقبة والعاقبة هى جنات عدن يدخلونها لأنهم من اهلها كما
 يدخلها من صلح من آباؤهم وازواجهم وذريّاتهم والملائكة يدخلون
 عليهم مرحبين ومهنئين بما حظوا به نتيجة لصبرهم على تكاليف الله
 وبلائه، فنعم عاقبة الدار ما أنتم فيه ايها الصالحون .

* (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه
 ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى
 الأرض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار: الله
 يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة
 الدنيا وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع:
 ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل
 ان الله يضلّ من يشاء ويهدى اليه من اناب:
 الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر
 الله تطمئنّ القلوب: الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 طوبى لهم وحسن مآب) *

وكما ذكر تعالى اهل البصائر بما هو وصفهم وأجرهم وما هى
 عاقبتهم ومتقلبهم ذكر عُمى القلوب قليلى التوجه بما يليق بهم وبما اتصفوا
 به فقال والذين ينقضون عهد الله من بعد ابرامه والتوثق منه ويغدرون
 بمن اعطوه ذلك من انفسهم ويقطعون الرحم ويجفون الحق ويبتعدون
 عن منطقة الصدق ويفسدون فى الأرض بأثارة الفتن بين الناس وتشتيت
 كلمتهم وبفعل المنكر والفحشاء اولئك نصيبهم من الله الطرد عن ساحة
 عزه والأبعاد عن رحمته ولهم سوء الدار وهى جهنم مأوى العصاة
 والجناة والأشرار، ثم ليس تحصيل الرزق بالمحاولة والمحايلة انما هو
 بيد الله يبسط رزقه لمن يشاء اما جزاء او ابتلاء، ويفرح الكفار بالحياة
 الدنيا ويحسبونها هى وحدها دار المعيشة والتمتع ولكن ما الحياة
 الدنيا فى مقابل الآخرة الا متاع قليل فى مقابل عيش جليل جميل
 ويقول الذين كفروا برسالتك ولم يتقبلوا منك القرآن الكريم معجزه

بل تعللوا بأنه لم تنزل عليه آية من ربه كنايةً صالح وعصا موسى قل لهم يا محمد ان القرآن بما هو كتاب لا شيء آخر لا يبعدكم ولا الناقصة المفروضة بما لها من سمات وصفات تقرّبكم انما يقرّبكم تحريك للحق وطلبكم له وهناك يهدىكم الله قطعاً والذي يبعد بكم هو جفاؤكم للحق واعراضكم عنه ونتيجة الجفاء والأعراض هو الضلال جزماً فان المتحرى للحق يؤمن به حتى من الطرف الخفى ويطمئن قلبه اليه ، ألا بذكر الله مبدء المبادء تطمئن قلوب المتوجهين المتذكرين الذين آمنوا بمبدأ القدس والطمهارة ومع ذلك لم يكتفوا بظاهر العقيدة حتى شفعوه بالعمل الصالح اولئك طوبى لهم اى الحياة الطيبة تكون نصيبهم دون الباقين وحسن المآب يكون عاقبتهم ولا افضل من حسن العاقبة .

* (كذالك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امام
لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت
واليه متاب :ولو ان قرآنا سّيرت به الجبال او
قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر
جميعا أفلم يبيس الذين آمنوا أن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا
يصيبهم بما صنعوا قارعة او تحلّ قريبا من دارهم
حتى يأتى وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد) *

يعنى كما ارسلنا غيرك فى امة قد خلت ومضت من قبلها اجيال وامم
ليبينوا للناس ما هو وظيفتهم امام خالقهم وان ذلك لسجادة انفسهم
كذلك انت فى دورك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها اقوام وقبائل
لتتلو عليهم القرآن الذى اوحينا اليك حتى يستشفوه ويعملوا بمضامينه
وان جحدوا فعلا بموحيه لكنهم ان اصاخوا لحججه ووقفوا على محكم
ادلته لزمهم الاعتراف به والاعتقاد بأنه لا اله غيره هو محلّ التوكّل
وموئل الأنابة وقابل التوبة ، ان هذا القرآن لقد سيته وبركته ومثاليته لو
دعى به لتسيير الجبال عن اماكنها وتفجير الأرض عيونا وانهارا وتكليم
الموتى الهامدين فى قبورهم لكان حريّا ان تستجاب الدعوة به ولكن
ابى الله الا ان تمشى الامور بأسبابها ، أفلم يعلم الذين آمنوا بالله
وعميم قدرته انه لو شاء هدى الناس بالتكوين لا بالتبليغ لهداهم بالقسر
والألجاء اجمعين ، هذا ، ولا يفلت من مؤاخذتنا اولئك الذين أصروا
على الألحاد والكفر عنادا بل ستصيبهم بما صنعوا من تشويش الأوضاع

على انفسهم وعلى الأغيار معا قارعة تطيح بهم كما سلتك عليهم فسى
اماكن كثيرة او تحلّ قريبا من دارهم كالايقاع الذى اوقع بمجاورى مكة من
الأعراب وسيتحقق وعد الله لفتح مكة نفسها او ميعاده بيوم القيامة فان
الله اذا وعد لا يخلف وعده .

* (ولقد استهزأ برسلك من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم
اخذتهم فكيف كان عقاب: أفمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سمّوهم ام
تنبأونه بما لا يعلم فى الأرض ام بظاهر من
القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدّوا عن
السبيل ومن يضلّل الله فما له من هاد : لهم
عذاب فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما
لهم من الله من واق) *

فى صدر هذه الآيات تسليّة لرسول الأسلام بما جرى على سلفه وانه
تعالى اطال للأقوام الذين كذبوا رسلهم آماذ الحياة ثم بعد أن أصروا
على الطغيان اخذهم اخذ عزيز مقتدر عجباً لحلوم هؤلاء المشركين كيف
ساووا بين من هو قائم على كل نفس يعلم بما كسبت فى سرّ وعلان فى
حقير وخطير وبين موجودات هامة او متحركة تفقد كل صلاحية فى نفسها
قل لهم يا محمد فليصفوا ما اتخذوه شريكا لله تعالى هل أنه يملك
الأزلية والأبدية فى الوجود وهل يملك الحياة الذاتية وهل يملك العلم
بسعة ما فى الكون والكائنات من امر خفى او جلىّ وهل يقدر على كل
مقدور طبعا ليس هنالك من يملك من هذا اقل شىء يا هل ترى
يخبرونك عن معبوداتهم بما لا يعلمه الله فى الارض او فى السماء ام

انهم يبارزون الله بما لا واقعية له وانما يدعونه لينحازوا من اجله فى جانب يقابلون به الله وهذا هو معنى تزيين الشيطان للذين كفروا مكرهم وصدّهم عن سبيل الله من يريد ها ليكثروا به جماعتهم واذا أضلّ الله احدا لانه جفاه واعرض عنه واعتدّ فى كل الامور بنفسه فانك لا تجد له هاديا يهديه مادام متبطنا لتلك الروح الفاسدة، لهؤلاء المغمورة عقولهم المرموزة قلوبهم عذاب فى الحياة الدنيا وعدم استقرار من ناحية ولعذاب الله فى الآخرة اشق وليس لهم واق يقيهم منه تعالى .

* (مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها

الأنهار اكلها دائم وظلّها تلك عقبى الذين

اتقوا وعقبى الكافرين النار: والذين آتيناهم

الكتاب يفرحون بما أنزل اليك ومن الأحزاب من

ينكر بعضه قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك

به اليه ادعوا واليه مآب: وكذلك انزلناه حكما عربيا

ولئن اتبعت اهوائهم بعد ما جاءك من العلم

مالك من الله من ولى ولا واق) *

قارن سبحانه بين العذاب الشاق الذى ذكره للكفرة أنفا وبين النعيم الذى أعدّه لمتقيه الخائفين له خوف عبد عارف بنعمة سيده وان هذا النعيم الموعود هو ما تقرّ به العيون وتتلجج به الصدور جنائنا تتسرب من تحتها الأنهار نعمتها موفورة ومعيشتها موفورة لا تحتاج الى كدح او بذل جهد هذه هى عاقبة الذين اتقوا ربهم وعاقبه الكافرين السار، والذين آتيناهم الكتاب وهم المؤمنون بك يا محمد يفرحون بكل ما انزل اليك لما يجدون فيه من شفاء صدر وعافية حياه، ومن الأحزاب

التفسير ج ٥ يؤمنون ببعض القرآن ويكفرون ببعض ٧٥

يهود ونصارى ومجوس من ينكر بعض هذا الكتاب وهو ما لا يلتئم مع ذوقه وما هو عليه ويستقبل الآخر لانه لا يزاحم مصلحته الشخصية وكل انسان مادى كذلك قل للجميع يا محمد انما امرت من ناحيه البراهيين القائمه لى ان أعبد الله وحده ولا أشرك به اى كائن كان ودعوتى هذه دائما اليه ومثأبى ومثأب الجميع عليه وكما انزلنا على كل رسول ما يقوم ببلغته الزمنية وبلسان جيله المبعوث اليه انزلنا اليك كتابا جامعاً للحقائق قائما بالواقع عربيا فى لغته لانك تتبطن فى حين بعثتك اممة عربية ومحيطا عربيا ثم ألزمه بلزوم خطة الحق وان لا تجرفه ميول الدنيا الى متابعة اهلها ومسايرة خطى جهلها وانه ان فعل شيئا من هذه الانحرافات لم يعد يمنعه من الله مانع او يقف امام مؤاخذه البارى له .

* (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا
وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن
الله لكل اجل كتاب: يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب: وان ما نرىك بعض الذي
نعدهم او نتوفينك فأنا عليك البلاغ وعلينا
الحساب) *

دفع تعالى بهذه الآيات وهما كانوا يرمون به ذلك مقام الرسالة
التي عزاها محمد لنفسه بأنه كيف يدعى النبوة وعنده ازواج والرسالة من
عالم الملكوت والازواج من عالم الناسوت فدحهم رب العزة بأنهم
مخطأون غاية الخطأ فان عنوان الرسالة منوط بالعقل السالم والعمل
الصارم والعصمة عن الموهنات والزواج والذرية والأكل والشرب والنوم
واليقظة منوطة بالطبيعة الجسمية والطبيعة تقاضى ما هو من شأنها
وكلما تمت الطبيعة كان ماتتقاضاه اشد ومتى كان مشروعا لم يكن موردا
للائمة ولا محلا لاستنقاص فأين هذا من ذلك ثم يا محمد لا تتأثر اذا
طلبوا منك ما ليس بقدرتك فانما انت مأور وايتاء الآيات والمعجزات
مربوط بالله يفعله طبق المصالح فلكل امر كتاب فى علمه يمحو الله ما
يشاء مما حفظه الحفظه حيث يكون ذلك حقا مربوطا به تعالى وحيث
يكون الطرف اهلا لأن يلفظ به ويبتقى ما اثبتته الحفظه على رسله اذا
كان مربوطا بالأغيار او بنفسه هو تعالى ولكن لا يجد الطرف اهلا
للألطاف وقرارة الثابت الذى لا يحول ولا يزول متوطدة فى علمه ، وان
اريناك فى حياتك ما وعدناك ووعدنا المؤمنين بك من انتصارات وفتوح
او توفيناك وأتبعنا ذلك بعدك ففى كلتا الحالتين انما عليك تبليغ

الرسالة وأما حساب انتصارها الى اى حد يكون ومن هو مؤيد لها او
مفد فهو علينا نقوم به متى وجدنا القيام به لا ثقا وحقيقا .
* (أو لم يروا انا نأتى الأرض ننقصها من اطرافها
والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب :
وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا يعلم
ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار
ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى باللّٰه
شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) *

انقاص الأرض يكون بالحوادث تطراً عليها فتقلل من خيرها عالم
يموت وعامل يرتحل ومتق يتوفى وقحط يمحق وزلزال يسحق وما الى ذلك
وهذه العوامل ليس حصولها باستطاعة احد انما هى بالقضاء والقدر
وحكم الله بذلك وليس هناك من به ان يتعقب حكمه ويصدّ قضاؤه ويقف
دون انجاز قدره وهو سريع الحساب فى اىصال الجزاء خيرا وشرا ثوابا
وعقابا لمستحقه وقد مكر الذين حادوا الانبياء قبلك كما مكر الذين
حادوك بخلق عواثر امام الدعوة الى الله فأبطل الله تدبيرهم ذلك
الله الذى يعلم ما تكسبه كل نفس من خير وشرفى سر او علانيه وسيعلم
الكفار غدا عندما يدخل اهل الجنة جنتهم واهل النار نارهم لمن عاقبه
الدار ويقول لك الذين كفروا لست مرسلا انما انت مدع للرسالة ولم
تعززها بما نعترف به قل كفى باللّٰه الذى عززنى بالمعجزات وايدنى
بالبينات شاهدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب من يهود ونصارى لا
يكتمون الواقع ويظهرون الحقائق فانهم قرأوا فى كتبهم من نعوتى ما لا
يدخلهم ريب معه ولكنهم هابوا الوضع السائد فانكمشوا لخاصتهم ولم
يتابعونى جاهرين بذلك .

* * (سورة ابراهيم) * *

مكية وعد آيها اثنان وخمسون آية وسميت بأبراهيم لورود هذا
الاسم فيها .

* (بسم الله الرحمن الرحيم : أل ركتاب انزلناه
اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور
بأذن ربهم الى صراط العزيز الحميد : الله
الذي له مافى السموات ومافى الأرض وويل
للكافرين من عذاب شديد : الذين يستحبون
الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل
الله ويبغونها عوجا اولئك فى ضلال بعيد) *

الأبتداء بالتسمية شعار التوحيد والحروف المقطعة تقدم موجز
القول عنها فى أول سورة البقرة ، هذا القرآن كتاب انزلناه اليك يا محمد
لتخرج به الناس من ظلمات الجهل الى تشعشات العلم والفضيلة
بأذن ربهم يعنى بأرادته السعادة لهم كما هو داعى اصل الخلقة
ذلك الربّ الذى لا يغالب لعزته والذى يشكر الصنيع من عبده المطيع
فيحمد ذلك الربّ الذى له مافى السموات والأرض بالمالكية الحقيقية
لانه المبدع للخلقة فويل لمن كفر به وآثاره شاخصه ووجد وجوده
وجوده قائم بالعالم كله وهل يستثمر الكافر بكفره الا العذاب
الشديد الذى يناقض مقصوده فى الحياة الحاضرة التى يدأب عليها
بكل مجهوده لأعتقاده ان لاشىء وراءها لأنه لا يعتقد بمبدأ حتى
يعتقد بمعاد ومن اجل نفسيته هذه تراه يصدّ كل من يراه على خط

الله بان ذلك منه خرافة وانّ الواقع خلوّ الواقع من هذا المبدأ المزعوم
تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

ولاشك ان التائه عن الخط هو لا الماشى عليه وان الضالّ عن
الطريق هو لا من استطرق هذا الطريق ومشى فيه قاصداً من سفره
الوصول الى خالقه .

* (وما ارسلنا من رسول الاّ بلسان قومه ليبيّن
لهم فيضّل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو
العزير الحكيم : ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان
اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم
بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور :
واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب
ويذبّون ابنائكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم) *

خصوصية ارسال الرسول بلسان قومه مهمة جداً لان تقابل
اهل اللسان الواحد لاتفيث عليهم متكلماً وسامعاً اقلّ معنى يتصور
مضافاً الى انها فاقدة لتغيير الترجمة وتهمتها نعم الرسول العام
للأقوام كلها لا يمكن فيه بطريق عادى ان يعرف الألسنة جميعها وانما
يرسل بلسان امه الذى تزرع عليه فى محيطه كنبىّ الأسلام بلسان
العربى واضلال الله من يشاء وهدايته من يشاء بعد بيان الرسول
حججه معناه انه ليس سامع الحجج يطيعها متى توفرت فى نفسه بل
من الناس من يطلب الحقّ فيقنع من د ليله بطرف خفى وبعضهم

لو وضعت الشمس بيمينه لما آمن بها أمّا الشخص الأوّل فمن الواجب على الله ان يعينه على نفسه وأمّا الثاني فهو منشر ضالّ قاصد للضلال فمن اين تأتي له الهداية، ولما بلغ الأضطهاد بني اسرائيل مبلغه قيضنا من بينهم موسى للقيام بهذه المهمة وشفعناه بآيات بينات مهمّات ان اخرج قومك من ظلمة الأسر الى نور الانطلاق والحرية وبلّغ قومك الدين الصحيح وذكّرهم بأيام الله التي كان ولها الآن ايضاً صيت معلوم مع الأقوام الماضين الذين اصرّوا على الكفر بأنعم الله وعلى الانحراف في مجارى الحياة وان في تلك الأيقاعات الموجهة آيات لكلّ من يفوض امره من المؤمنين الى الله ويصبر على طاعة الله حتى يأتيه الفرج ولكل شاكر لأنعم ربّه، واذكر - بتذكير من القرآن لك - حين قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم يا بني اسرائيل ان اناجكم من آل فرعون وهم الأقباط حين كانوا يسومونكم بأزهد الأثمان ويسيروا معكم في الحياة اسوء مسيرة يذبحون الذكور منكم ليأمنوا من اندفاعهم ويبقون الأناث ليستفيدوا من خدمتها وفي تلك الامور امتحان عظيم لكم واختبار لهمكم .

* (واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد : وقال موسى ان تكفروا
انتم ومن فى الأرض جميعا فأن الله لغنى
حميد : الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فـردوا
ايديهم فى افواههم وقالوا انا كفرنا بما
ارسلتم به وانا لفى شك مما تدعوننا اليه مريب :
قالت رسلهم افى الله شك فاطر السموات
والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم
الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا
فأتونا بسلطان مبين) *

التأذن مأخوذ من الأذان وهو الأعلام يعنى يا جماعة البشرية
ليذكر كل جيل منكم فى وقته حين اعلمكم ربكم بوساطة رسله لئن شكرتم
الله على انعمه لأزيدنكم ولئن كفرتم بها فأتخذتموها حربة تحاربون بها
الله ورسله وعباده الصالحين فان عذابي لشديد وان تأخر فى الزمان
وقال موسى وهو رسول من جملة الرسل لقومه وهم من بعض الأقوام ان
تكفروا انتم يا بنى اسرائيل ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى فى
الوهيته عن ايمانكم بها وانما يريد لكم الأيمان ليثبتكم به ويسعدكم
والله سبحانه محمود بلسان فيضه وان لم تحمدوه بألسنتكم انتم المفاض
عليكم وجاء فى مقالة موسى لهم يا قوم الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم

نوح وعاد وشمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الاّ الله - جملة والذين من بعدهم لا يعلمهم الاّ الله - مبتدأ وخبر ومعنى ذلك ان امم العالم ليسوا بمنحصرين في قوم نوح وعاد وشمود بل ما اكثرهم وكل قوم جاءهم رسول منهم فأشعرهم بما اشعرتكم به وادلى لهم بالبينات كما ادليت فما كان من الأقسام الاّ ان ردوا ايديهم في افواههم اشعارا لأنبيائهم بالسكوت كما يفعل الواحد منّا مع طرف خطابه يريد قطع كلامه فانه حينما يضع يده على فيه يريد به ان اسكت ولا تتكلم اى لا تطيلوا علينا بالسلام وسوق الأدلة فأننا كافرون بما ارسلتم به ، اى بما تدعون الأرسال به - وانا لفي شك مما تدعوننا اليه ربّا ودليلا قالت لهم رسلهم افي الله شكّ وهو فاطر السموات على ابعادها وباسط الأرض بقاراتها وما دعوته اياكم وتوظيفه بالتكاليف لكم ولمن سواكم الاّ ليحطّ من ادراجهلكم ويمدّ لكم في الحياة الى اجل لتستفيدوا من هذه الحياطة زادا لحاضرکم واعدادا لمستقبلکم فلم يكن جواب الأمم والأقوام الاّ ان قالوا تدعون هذه الدعوى وانتم بشر مثلنا ولستم ملائكة ولا جنّا او خلقاً آخر تمازون به عتّا نحن لانتابعكم على ما تريدون لانكم تريدون منّا ان تصدّونا عما كان يعبد آباؤنا وفي ذلك تخطأة لنا ولهم وعار علينا وعليهم طوال هذه الأزمان التي مرتّ بهم وبنّا فأتوننا بسطان اى بما تتسلطون به علينا فأن الذي جئتم به لا ينفعنا ولا يقنعنا .

* (قالت لهم رسلهم ان نحن الاّ بشر مثلكم ولكنّ
 الله يمينّ على من يشاء من عباده وما كان لنا
 ان نأتىكم بسلطان الاّ بأذن الله وعلى اللّٰه
 فليتوكل المؤمنون : وما لنا الاّ نتوكل على اللّٰه
 وقد هدانا سبلنا ولنصبرنّ على ما آذيتمونا وعلى
 الله فليتوكل المتوكلون) *

اجاب الرسل اولئك المتشككين فى نبوتهم لانهم بشر لالجهمة
 اخرى فقالوا لهم نحن كما تقولون بشر ولسنا خلقا آخر لان من واجب
 المعبود ان يرسل الى الأمم من يُسافحها ليفهم عنها وتفهم عنه نعم
 نحن مثلكم فى البشرية ولكن يفرق بين الفرد والفرد منا ومنكم العلم
 والجهل والمتانة والخفة نور الضمير وظلمته والحسن والقبيح فى
 الآداب والاخلاق الى غير ذلك من ملاكمت الفضيلة والرديلة وهذا هو
 معنى امتنان الله على الفاضل فى مقابل الجاهل وما كان لنا نحن
 جماعة الرسل ان نأتىكم بمعجزة لعجزنا نحن فى انفسنا عما دونها
 لكن اذا اذن لنا الله فسخر الطبيعة لارادتنا جئناكم بما تريدون
 وعلى الله فليتوكل المؤمن به فأنه حسبه ونحن مؤمنون به فهو حسبنا
 وكيف لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا فتركنا الباطل واخذنا بالحق
 ولنصبرنّ على اذيتكم لنا واستخفافكم بنا لان من لازم رياضة السائس
 صبره على ما يواجهه من المسوس حتى يرتاض .

* (وقال الذين كفروا لرسلمهم لنخرجنكم من ارضنا
او لتعودنّ فى ملتنا فأوحى اليهم ربهم
لنهلكنّ الظالمين : ولنسكننكم الأرض من
بعد هم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد :
واستفتحوا وخاف كل جبار عنيد : من ورائه
جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد
يسيغه ويأتية الموت من كل مكان وما هو بميّت
ومن ورائه عذاب غليظ : مثل الذين كفروا
بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم
عاصف لا يقدرنّ ما كسبوا على شىء ذلك هو
الضلال البعيد) *

دائما يثب الجاهل الى الكلمة الخشنة حين يعجز عن اجابة
العالم وهكذا قال الذين كفروا لرسلمهم عندما اخرجوهم فى الجواب
قالوا لهم انتم ضعاف امانا ولنخرجنكم من ارضنا حتى لا تتشتت
خواترنا بالحوادث او تعودون الى مانحن عليه من طريقة حينذاك
وعندما اعيت القوس منزعا اوحى ربهم اليهم لنهلكنّ الظالمين لكم
المتهجين عليكم ولنسكننكم الأرض من بعد هم فتكونون انتم الوارثين
لهم ذلك لمن خاف مقام ربوبيتى واعتقد بوعدى كما آمن بوعدى وانتم
يا جماعة الرسل على الملاك ، وطلب الأنبياء حينئذ الفتح من ربهم على
مناوئهم ففتح الله لهم وخاب كل متجبر فى الأرض بلا داع يعقل وكل
معاند للحق بلا سبب يدرك هذا من ناحية الدنيا واما من ناحيته
الآخرة فمن ورائه جهنم ويسقى من مائع هو صديد فى هويته اى قبيح

يسيل من الأبدان المحترقة يدعوه عطشه الى تناوله لكنه عندما يتجرعه لا يكاد يسيغه الى جوفه لقد ارته ونبؤ الذائقة عنه وبأتيه الموت من اسبابه المتنوعة النار والعطش والجوع وتكدّس بعض على بعض وما هو بميت لان الله يريد بقاءه حياً معدّ با ومن وراء هذا المسكين بحالته هذه عذاب غليظ باستمراره معه ودوامه له مثل الذين كفروا برّبهم ووجدوه أنّ اعمالهم الحسنة الصادرة في الدنيا كاكرام الضيف وصلة الرحم والأحسان الى الضعيف لما لم تكن عن رصيد ايمان بالله تكون كرماد اشتدّت به الريح في يوم عاصف لا يقدر ان يحتفظوا منه بشيء ذلك هو الضلال الساحق الذي اهلكهم واهلك كل ما كان معهم .

* (الم تر ان الله خلق السموات والأرض بالحق
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك
على الله بعزير : وبرزوا لله جميعا فقال
الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل
انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا
لوهدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام
صبرنا مالنا من محيض) *

الخطاب بقوله تر لكل من تتأتى منه رؤية البصيرة بعد رؤية البصر
وخلقة السموات والأرض بالحق عند التأمل معناه الحكمة العظيمة التي
رتبت هذه الكائنات على ترتيبها الخاص الكافل بالحياة السعيدة متى مشى
الإنسان طبقاً لخارطتها هذا هو الله الذي ان اراد محققكم وسحقكم
واحلال اقوام آخرين مكانكم لم يعجزه ذلك وبرز التابع والمتبوع من اغوى
قبيله ومن استغوى به يوم القيامة فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا
لكم تبعاً في دار الدنيا فهل انتم اليوم مغنون عنا من عذاب الله من
شيء فقال المستكبرون لوهدانا الله الى حيلة ووسيلة ننجو بهما
لهديناكم فنحن وانتم هالكون على كل حالة جزعنا ام صبرنا ليس لنا
مخلص مما يريد الله بنا .

* (وقال الشيطان لما قضي الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم) *

المراد بالشيطان هو المغوى ومن بعض جنوده النفس الأمارة بالسوء وقضاء الأمر هو تمام الحساب بدخول اهل الجنة جنتهم واهل النار نارهم والمصرخ هو المغيث يعنى حين يتم الحساب ويمتاز المطيع عن المجرم يقول المجرم حينذاك للشيطان انت اغويتنى فاستدرك ما اغويتنا به فيقول الشيطان لهم ان الله بلسان رسله وكتبه وعدكم وعد الحق الذى لا يشك فى تنجيزه وتنفيذه ووعدتكم تسويلا وتزويرا ومنيتكم بالأمانى والأعتبار العقلى يساعد على ما وعد الله به والتسويل النفسى يساعد على ما وعدتكم به ولم اقسركم على ارتكاب الجرائم وفعل المآثم غايته اننى دعوتكم الى ذلك فاستجبتم من طيب انفسكم فلا تلومونى لأننى لم اقسركم ولوموا انفسكم لانها هى التى اغوتكم ما انا بقادر على اغاثتكم وما انتم بقادرين على اغاثتى انتم جعلتمونى بالنسبة الى الله بمنزلة الرقيب والشريك فانتم الظالمون لا انفسكم، والظالمون لهم عذاب اليم .

* (وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بأذن ربهم تحييتهم فيها سلام : ألم تركيب ضرب الله مثلا كلمة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كلّ حين : بأذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار) *

الكلمة الطيبة هى كلمة الأيمان بفروعها والكلمة الخبيثة هى كلمة الكفر بانواعها والأجثثات هو القطع لما حكم سبحانه على الظالمين بأن لهم النار قابل ذلك بذكر ما هو حق المؤمنين عليه فقال وادخل الذين آمنوا وشفّعوا اعتناق العقيدة الصادقة بالعمل الصالح فانه لا اثر للأيمان من دون عمل بل ربما كان من اشدّ اسباب المؤاخذة ادخلوا جنّات تجري من تحتها الأنهار مع الحكم لهم بالخلود فيها وتحيية الملائكة لهم عندما يدخلون عليهم هى التسليم والتكريم ، مثل الأيمان النزيه كالشجرة الطرية المثمرة التى اصلها ثابت فى تربة صالحة وفرعها صاعد نمواً الى السماء تؤتى اكلها فى كل فصل مقرر لها لا انها تعقم مرة وتنتج مرة ، ومثال الكفر القذر وما يترتب عليه كالشجرة الخبيثة فى التربة الخبيثة ومع ذلك فيها انها اجتثت من منبتها فلا قرار لها ولا اثمار معها والتشبيه بالمحسوسات يساق لقليلى الحظ من العقل حتى تتجسم لهم المعقولات .

* (يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء : ألم ترّ الى الذين بدّوا نعمه الله كفرا واحلّوا قومهم دار البوار: جهنّم يصلونها ويئسّ القرار : وجعلوا لله اندادا ليضلّوا عن سبيله قل تمتّعوا فإنّ مصيركم الى النار) *

القول الثابت هو كلمة الأيمان بما معها من معانى وفروع والبائر هو فاقد القيمة المُبذَل المعرض عنه والأنداد الأمثال ، ومحصل الآية ان الذين آمنوا بالله واستقاموا على ايمانهم فان الله يعينهم على ما اختاروا ويثبتهم عليه فى الدنيا والآخرة واضلاله للظالمين بقطع لطفه عنهم لانهم انقطعوا عنه وفعله تعالى ما يشاء موزون بالمصلحة ألم ترّ الى اولئك الذين تمجّدوا بكفرهم على انه خطيئة ورديلة وهو من شأن الطواغيت الذين يتبحّجون بقتل الناس وغارة اموالهم واضلّوا غيرهم معهم كيف حلّوا هم فى انفسهم واحلّوا غيرهم دار البوار والأمتهان وتلك الدار هى جهنّم يصلونها ويئسّ القرار جهنّم اولئك المتجبرون بالكفر جعلوا لله نظائر وامثالا ليشوشوا اذهان البسطاء ويضلّوهم عن سبيل الله وهو طريق الحق قل لهؤلاء تمتّعوا فى مدة امهالكم فان مثآلكم الى النار .

* (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا
 ممّا رزقناهم سرّاً وعلانية من قبل ان ياتى يوم
 لا بيع فيه ولا خلال : الله الذى خلق السموات
 والأرض وانزل من السماء ماء فأخرج به من
 الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى
 البحر بأمره وسخر لكم الأنهار : وسخر لكم
 الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار:
 وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدّوا نعمة الله
 لا تحصوها ان الأنسان لظلوم كفّار) *

قل يانبيّ الأسلام لعبادى الذين تشرفوا بالأسلام وتدعوا بكلية
 الأيمان قل لهم يقيموا للصلاة سوقا بين الناس هذا الشعار الدال
 على الخشوع والتوجه المقرب منه تعالى الناهى عن الفحشاء والمنكر
 وقل لهم ينفقوا ممّا يسرنا لهم من الرزق على جهات البرّ والأحسان
 ويشاركوا فى بنيان المجتمع الفاضل القائم على التراحم والتواصل
 والتعاون والمواساة سرّاً ارادوا الأنفاق بحيث لا يشتهر لهم اسم
 ولا يكون لهم بين الناس رسم احرازا للأخلاص وابتعادا عن الشهرة
 والرياء ام علانية تذكر اسمائهم ويظهر عنوانهم من قبل ان يأتى يوم
 لا يملك فيه الأنسان شيئا حتى يتعاوض به كما ليست هناك صداقة تنفع
 وتشفع وتدفع، من هو ذلك الذى آمنوا به وامروا بأقامة الصلاة لله
 والأنفاق فى سبيله سرّاً وعلانية هو الله الذى خلق السموات والأرض
 وما فيهما من عوالم محيرة للعقول وانزل من السماء ماء فى الطقوس
 المناسبة فأخرج به من متنوع الثمرات غير القابلة للأحصاء رزقا لكم وسخر

لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره حاملة لكم ما لا يحمله ظهر حيوان
او انسان او اية وسيله اخرى وحتى فى هذا الزمن الذى كثرت وسائله
وتنوعت اعداداته وسخر لكم الأنهار لتمخر فيها الفلك وتجرى فيها
السفن وسخر لكم الشمس والقمر دائبين على ما هو وظيفة لهما من
صانعها متعاقبين على اناة وجه الكرة الأرضية وسخر لكم الليل
لا ستراحتكم والنهار لتبهاة معيشتكم وآتاكم من كل ما سألتموه طبق
المصلحة هذا الذى ذكرناه بعض من نعم الله عليكم وان تعدوا نعم
الله لا تحصوها لانتشارها وكثرتها ان الأنسان مع هذه النعم كلها
لظلم لنفسه بحملها على جود المنعم كقار بما انعم عليه يرى ان
ما وصل اليه اقل مما يستحق او انه استحله بسعيه وكده ولا منة لأحد
عليه .

* (واذ قال ابراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمناً
 واجنبني وبنی ان نعبد الأصنام : رب انهنّ
 اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فأنت مني
 ومن عصاني فانك غفور رحيم : ربنا انّی
 اسكنت من ذرّيتي بواد غير ذي زرع عند
 بيتك المحرم ربنا ليقموا الصلاة فأجعل
 افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من
 الثمرات لعلهم يشكرون : ربنا انك تعلم
 ما نخفي وما نعلن وما يخفي على الله من شيء
 في الأرض ولا في السماء : الحمد لله الذي
 وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربّي
 لسميع الدعاء : ربّ اجعلني مقيم الصلاة ومن
 ذرّيتي ربنا وتقبّل دعاء : ربنا اغفر لي
 ولوالدي يوم يقوم الحساب) *

واذكر يا محمد — بتذكيرنا حين قال ابراهيم مخاطباً ربّه بعد
 ان بنى بيته بمكة ربّ اجعل مكة بلداً آمناً له حرمة بين الناس وكذلك
 كان الأمر فكان يلتقي الإنسان بأعدى اعدائه فلا يتعرض له واجنبني
 بمعنى الطف بي اكثر ممّا انا معتمد على نفسي وهكذا الطف بيني حتى
 لا تتأتى عنهم عبادة صنم او وثن بأغواء عدوّ من داخل هو النفس الأمارة
 او من خارج وهي شياطين الأنس والجنّ، ربّ ان الأصنام وبالْحَقِيقَه
 الدعاء اليهنّ اضللن كثيرا من الناس اولئك الذين شرّوا بعقولهم
 واتبعوا تسويلات انفسهم فمن تبعني على طريقتي من ذرّيتي فأنت مني اي

تجوز نسبته الىّ ومن عصاني واختلط بالزائغين الضالّين فانك غفور لمن
 تاب رحيم بمن اناب، ربّنا انى اسكنت من ذريّتى وهو اسماعيل ومن يكون
 منه بواد غير ذى زرع وهو مكة عند بيتك المحرّم وهو الكعبة ليقيموا
 لدينك فى هذا المحيط الجاهل سوقا وللصلاة صرحا فاجعل افئدة
 من الناس تلك الأفئدة الحانية تهوى اليهم وتحبهم وتقصد زيارتهم
 وارزقهم من الثمرات حتى يشكروك اكثر ممّا هو واجب عليهم، ربّنا انك
 لسعة علمك تدرى بما نخفى وما نعلن وكيف يخفى على الله المحيط علمه
 بكائنا شىء فى الأرض او فى السماء، الحمد لله الذى وهب لى على
 الكبر وعجز البدن اسماعيل من هاجر واسحاق من سارة ان ربّى لسميع
 الدعاء من عباده حيث يرى الأجابة بمصلحتهم، رب اجعلنى مقيم الصلاة
 اى حببها الىّ والى ذريّتى وكلّ من اتبعنى وكان على طريقي ربّنا
 وتقبّل منا ادعيتنا لأنفسنا وللمؤمنين من اخواننا واغفر لنا خطيئة انت
 تراها كذلك حين تصدّر من امثالنا على عدم معرفة بها ولمن عاش ومات
 على الأيمان من آبائى وامهاتى وللمؤمنين برسلك وكتبك يوم يقوم
 الحساب وهو يوم القيامة يوم الجزاء على الطاعة والمعصية .

* (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار : مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء : وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل او لم تكونوا اقستم من قبل مالكم من زوال : وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) *

في هذه الآيات تهدد للظالم وتسكين للمظلوم بأن الظالم لا يحسب لنفسه هذا الحساب ولذلك تراه يعمل كلما اراد بلا ان يكون ضابط لأعماله يجازيه عليها ولكنه عاش على اشتباه نعم أمهل له في المدّة حتى يلاقى يوماً من شدّة وطأته وعظيم دهشته تظلّ الأبصار فيه طافحة تنظر فيما تواجه مد هوشة متحيرة دائمة النظر الى ماترى وهكذا يظلّ الظالم رافعا رأسه الى السماء لا ترجع اليه عينه وفؤاده طائر من الرعب وقلبه مضطرب، وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب ومن شدة هوله يقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل ولو كان قليلاً لتندارك فيه ما فاتنا في سالف اعمارنا لنجيب دعوتك التي وجهتها الينا اجابة صادقة وتتبع رسلك ونؤمن بكتبك فيقال لهم او لم تكونوا اقستم من قبل عند ما كنتم في دار الدنيا وارادكم الرسل لعمل الآخرة فحلفتهم ان لا آخره ولا حساب انما هي هذه الحياة فقط فاذا انقضت فليس من شيء فنحن لانزول من الدنيا الى اخرى حتى نشقّ على انفسنا بالصوم

أيها الإنسان ان الله يخلف رسله ما وعدهم به من انجاح طرائقهم دنيا
 وآخرة ان الله عزيز لا يقاومه ولا يقاويه احد ذو انتقام ممن يتعدى على
 جبروت قدسه ومقامه يوم تبدل الأرض عن صبغتها الفعلية وتغيّر
 السموات عن هيأتها الحالية ويخلقان مرة اخرى على شكل آخر لحياة
 اخرى وبرز الناس من اجداهم لله الواحد الذي لا ترى العيون فى
 حاكميته شريكا له القهار الذى يصغر عنده كل شىء وكل احد وتورى
 المجرمين يومئذ قد قرن المجرم منهم الى مثله فى سلاسل من حديد
 توهينا بهم وتحقيرا لهم والذى يتسر بلونه هذه المادة العفنة
 - قطران - التى يطفى بها البعير الأجرى وتغشى وجوههم النار اى
 تغطّيها كل ذلك يفعل بهم ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله
 سريع الحساب، هذا القرآن بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو
 إله واحد وليذكر اولوا الألباب .

* (سورة الحجر) *

مكية وآيها ٩٩ آية وسميت بالحجر لقوله تعالى فيها ولقد كذب

اصحاب الحجر المرسلين .

* (بسم الله الرحمن الرحيم : أدر تلك آيات الكتاب

وقرآن مبين : ربما يودّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين

: ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف

يعلمون : وما اهلكنا من قرية الآ ولها كتاب معلوم

: ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون) *

التسمية تفأل بالحقّ والحروف المقطعة اشير اليها آنفا وتلك اشارة

الى الآيات المستعرضة فى هذه السورة والكتاب والقرآن إسمان لمسمى

واحد وهو ما أنزل على نبيّ الآ سلام والمبين هو المفصح وربما هنا للتكثير

والتحقيق اى ان الكفار عند ما يرون نصيبهم من كفرهم ونصيب المسلمين

من اسلامهم يودون هناك لو كانوا مسلمين فى الدنيا ، دعهم يا نبيّ

الاسلام يأكلوا ويشربوا ويصيبوا ما تمنّيتهم انفسهم به ويلههم املهم

بالحياة فسوف يعلمون ما يحيق بهم من جرّاء ذلك ، وما اهلكنا فى الدنيا

ولا نهلك فى الآخرة من قرية الآ ولها كتاب معلوم تلى عليها وأوضح لها

ومع ذلك خالفته وعانده يعنى نحن لا نؤاخذ احداً بمعصية الآ بعد

ان توفّقه عليها ، وفناء الأمم والأجيال منوط بما أقتّ لها من امد فهى لا

تسبق أجلها كما لا تتأخر عنه .

* (وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر أنك لمجنون :
لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين : ما
ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين : انا
نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون : ولقد ارسلنا
من قبلك فى شيع الأولين : وما يأتيهم من رسول
الا كانوا به يستهزؤون : كذلك نسلكه فى قلوب
المجرمين : لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين :
ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون : لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم
مسحورون : ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وزيناها
لنناظرين : وحفظناها من كل شيطان رجيم : الا
من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) * °

وقالوا - اى الكافرون - لنبى الاسلام يا أيها الذى يدعى نـزول
الذكر عليه لانهم لا يعترفون بنزوله الواقعى انك لـمجنون اى تتكلم لا عن
رشد ولو كنت عاقلاً لما ادعيت هذه الدعوى وهى انك وسيط بين السماء
والأرض ، هلاً تأتينا بالملائكة يشهدون لك ويصدقونك ان كنت محققاً فيما
تدعيه ، ما تُنزل الملائكة الى الأرض الا للأحاطة بالأقوام المجرمين واذ
قد رنا ذلك لم نكن نمهل على احد منهم ، لا تكن يا محمد فى قلق وتحير
انا نحن أعطيناك هذه المعجزة المذكور معجزة القرآن الكريم وانا
له لحافظون من ان تناله يد التحوير والتطوير والتغيير لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه يعنى لا حين نزوله ولا من بعد اتمامه لا
حين انت موجود ولا بعد موتك ولا يصيبه تحريف او تشويش وكذلك

خارج الأمر فأن الكتب السماوية التي لامرية في نزولها - حين نزولها - من الله على انبيائه كالتوراة والانجيل نراها ونحن نستجليها - الآن متغلغلة بالهنات والمؤاخذات لما طرأ عليها في مسافة عمرها - من الزيادة والنقصان أما القرآن فعلى طول الشقة في عمره من لدن نزوله لحد الآن نراه مخفورا بالمسلمين جميعا لم يستطع احد ان يمد اليه يد التزوير على وجود المقتضى لذلك بكثرة والمسلم اليوم عندما يتناول القرآن يتناول عين السور والآيات الموجودة قبل الف واربعمائة سنة ومن هنا صينت احكام الشريعة الإسلامية المكفولة بالقرآن نفسه من كل تذبذب نعم نحن لا ننكر وجود اجتهادات زائفة تعتبر مصدرا لها نفس القرآن الا ان هذه الاجتهادات يضرب بها عرض الجدار وترد الى صاحبها وليس القرآن بمفرد به بقى محفوظا للاجيال بل الاسلام الاصيل بقى محفوظا على كثير ما طرأت عليه من طوارىء ونشأت فيه من فـرق تتطاحن على نيل سيادة الدنيا وحتى الساعة، ودونك فاقراً العنوان التالي .

* (الشريعة والطبيعة) *

تقال الشريعة على وحى السماء كما تقال الطبيعة على مواليد هذا الكون بشرط السير على ما تقتضاه وانما شرطنا هذا الشرط وقوف امام عرامة النفوس منها عن الطغيان فان الطغيان حتى في الطبيعه ليس من نواميسها سواء كانت مواليدها مسخرة ام مخيرة، فان كل مخلوق له طبيعته الخاصة فحيث يتجاوزها مسخراً كان ام مخيراً أفسد، والكونيات لها نظامها الذي به تستمر مع الحياة شعرت بذلك ام لم تشعر، وخرق النظام اذا كان متالياً أتلّف وأبطل والسير الكونى منذ العهود التى

لم تدرك له نظامه ولذلك استمر، ولو كان فاقدا للنظام لما كان الكون بهذه الصبغة المشهودة او المتحدث عنها بلسان التأريخ القاطع والآثار الجاهرة، اذاً فالطبيعة حتى لو فرضت لقيطة لا أصالة لها ولا نسب فانها بنفسها عصامية تدلّ بتحركها عن معنى عريق فيها هو طول البقاء ولا بقاء لفاقد النظام حجرا كان ام شجرا حيوانا كان ام انسانا والانهيارات التي تشاهد فيها من اعاصير ناسفة وطوافين جارفة وزلازل ماحقة وصواعق ساحقة انما هي كفترة كسل تكون في جارحة بطل ان تعق منه عضوه ففي فاصله لا يهتم لها لسلامة وجوده من كل لوث الا في مختصر هذه الفترة التي لا تذكر، ولولا النظام في الطبيعة لما رأيت اليوم ما ترى وحتى نفسك، وهذا النظام نفسه من اصلته وعراقته نراه يسخر من اعظم عظماء البشرية احيانا حيث يراه غير متزن مع طبيعة نفسه وغريزة فطرته بأكله اكثر مما يتقاضاه مزاجه مثلا وقس على ذلك كل شىء نبى عنها فان اندفاعه وراء هذا النبؤ انما هو خرق لنا موس الطبيعة وخارق ناموس الطبيعة هادم لها والهدم دائما اثر بطلان ما لم يتلاف بأعادة البناء ان امكنت الاعادة .

والشريعة لم تأت من نفسها ولا من غيرها بشىء جديد وانما جاءت معبرة عن ضمير الطبيعة وناشرة لكتابها الدفين وحاذقة لفضول ما طرء عليها من تطفل مواليدها فالتطويح بالنفس الذي هو هدم للطبيعة محرم في الشريعة وحافظ وجود الطبيعة من اكل وشرب واكنان وغيرها واجب في الشريعة، وتنمية الطبيعة بما يشعشعها ويظهر كنوزها من الرفاه المحبوب في الشريعة وهلمّ د واليك .

وما تناحرت الأمم فأطاحت بالقائم وابارت العامر وازهقت النفوس وأماتت الأحياء وعبثت بكرامة الوجود والموجود الا لانحرافها عن

المجرى الطبيعي لا أنّها سائرة على نهجه تريد تثبيته وتأييده وفتح الدرب امامه، وليست القصة في هذا التبعض براجعة الى نبيّ او وصيّ يستمدّ شريعته ممّا وراء الطبيعة لهدم الطبيعة كيف وهو يعتقد ان الطبيعة من صنع الله الحكيم وان آثار حكمته تعالى بارزة في كل خلية من خلايا الوجود وهو في دعوته انما يدعو له واعظم برهان يقيمه على مدّعا هو الطبيعة نفسها، أفيعقل في مثل هذا الداعية ان يجيىء هادما لما يدّعيه — من الواضح لا يعقل فيه ذلك وانما المعقول فيه تقديسه لقطرة الماء ونسمة الهواء وذرة الهباء لما يعلم ان في كل زهيد من الطبيعة في نظر الناس سرّا عظيما واثرا قهّارا فمن قطرة الماء ونسمة الهواء وذرة الهباء بالتفاعل الطبيعي والصناعي تبدو الى الوجود صورة، ما كان لها وجود جاهر ولا اثر سافر، وكذلك كان الأمر في كتب السماء وشرائع الانبياء فترى القرآن على عظمته يقسم بالليل وبالنهّار وبالعصر وبال فجر وبالتين وبالزيتون وبغير ذلك ممّا خلق .

ان الحديث في كونيّات الشرائع ممّا لا يأتي عليه بيان وقد كتب الكثيرون من الافاضل سلاسل كتب عن هذا الموضوع وما اتوا الا على طرف موجز لعجزهم عن احصاء ما يعجز العقل البشري عن فهمه والذهن الأنساني عن تدبره وكثرته في نفسه، والكتاب والسنة على مد يد السننهما لم يعبرا الا عن قليل للعبرة والتذكرة، وبعدُ فالشريعة كحارس مؤتمن على الطبيعة يريد من الناس حسن السلوك معها واستثمارها بعقل وتدبر حتى تبقى لهم بستانا مثمرا طوال الدهور وحتى يبقوا معها مستثمرين مانوسين، ولكن كل الويل للبشر نفسه هذا الوليد العاق الذي يسعى دائما في تخريبها وهو من جملة مواليدها أفيعقل خرابها وبقاؤه وحده عامرا بعد خرابها وهل يعقل تبدي

نظامها وجريه فى الوجود من بعض نظامها ، اذاً فليتدبر اهل الآراء والاهواء انهم فى تطاحنهم على تحكيم آرائهم واهوائهم فى انظمة الطبيعة انما يحاولون طحن انفسهم وتذويب وجودهم وانهيأر حقوقهم كما هو مشهود بالفعل اكثر واكثر مما كان سابقا وحصل سالفا .

فما مناهضة الموحد للملحد وبالعكس واليهودى للمسيحى وبالعكس وغير المسلم للمسلم وبالعكس وغير الشيعى للشيعى وبالعكس بسطوة اليد وحدّة اللسان وطرف السنان الآ محق للوجود وسحق للموجود وكذلك مناهضة الشيعى للرأس مالى وبالعكس هذه المناهضة القائم بالقبائل الذرية الآ تطويح بالعالم واطاحة ببنى آدم ، والحق فى ذاك وهذا هو لبحت الحرّ القائم بالنزاهة والشرف وخدمة الاجتماع من صميم القلب ومتى تجاوزت العقول وحتما تتجاوب فى الاصول الرئيسية وجب على الجميع تحكيمها والشاذ منها يجب عليه الهدوء لان الخلاف علمى واما حقوقه الطبيعية فيجب ان تجرى له كما تجرى لعامة الافراد ، نعم اذا استخدم المتفرعن قواه لتحكيم هواه بمجرد ان ينعكس هواه فى شاشه ذهنه وجب الوقوف امام عرامته فانه حينذاك لا يعود بشرا عاقلا بل وحشا كاسرا .

وهنا بجىء الاشكال بأن الاسلام الذى هو اعظم الأديان دويّا فى العالم نراه حين تمكّن افراده من حمل السلاح شنّ الحروب وجمع الجيوش وناهض عمراً مديداً فذهب منه ومن غيره بشرا وحيوانا ونباتا ومالا الكثير الوفير وما الاسلام الآ فكرة فعلام لم يقتصر على حجة البيان ولسان البرهان وترك الناس كلّا وما يهوى ويختار لنفسه من رأى وعقيدة .

وجواب ذلك ان المدعوين للاسلام لم يكونوا اهل فكرة او نظر علمى

او عقيدة لها نظامها حتى يرخى لأفكارهم بالتفكر ولأنظارهم بالتأمل
 ودليل ذلك ان القرآن من بدءه الى ختامه لا يوجد فى الأغلب منه الآ
 العظة وتشقيق الفكرة وسوق العبرة وسرد الأدلة بما يراد من كل ذلك
 محق الظلم وسحق التعدى وعدم التنزى وبناء الحياة وسعادة الأحياء
 وفى طليعة المستفيد ين هم المدعّون الى ذلك، كان المدعّون يأدون
 البنات وهو جريمة عظيمة وكانوا ينتهزون قواهم فى التعدى على اعراض
 الناس بالقهر والغلبة (واقراء عن ذلك دواعى حلف الفضول فى
 الجاهلية) وكانوا يوثقون الأحرار كثافا ويسوقونهم الى الاسواق
 ويبيعونهم فيها كعبيد باصطلاحهم (واقراء عن ذلك قصة زيد بن حارثة
 حدّ الاقل) وكانوا يكرهون فتياهم على البغاء وهنّ يردن التحصن
 وكانوا يقطعون الطريق ويغيرون على اموال الناس ويتلصصون بكثرة
 وكانوا يفعلون الداهى مما يثير غرابة الجاهلى نفسه هكذا كان
 المدعّون للقرآن ولنبيّ الاسلام .

ولا ريب ان امثال هؤلاء تجب مبارزتهم ومؤاخذتهم لانهم مفسدون
 للحياة على اهلها ومصرّون على هذا الفساد الى درجة يضحون فى
 سبيله انفسهم ونفائسهم وتاريخهم شاهد صدق على ذلك وكان من اهم
 الدواعى لارتكاباتهم هذه انكارهم ان يكون فى البين نظام يحرم هذه
 الامور او شارع يسدّ فى وجوههم هذه الابواب او خوف مؤاخذه ولو فى
 المستقبل على ما يفعلون من هذه الجرائم .

ودعوتهم الى الله والمعاد ونظم السماء كان على هذا الاساس لا
 على الصلاة بما هى صلاة او الصيام بما هو صيام لعلم الداعى ومن هو
 اعلم منه ان المستجيب الى الاعتراف بفريضة الصلاة والصيام لا يستدل
 من اعترافه على أنه يفعلها واقعا فكم من معترف من المسلميين

المتظاهرين بالقدس والتقوى لا یصلی ولا یصوم وباستطاعته ان لا یجعل على نفسه طریقا یفهم منه انه لا یصلی ولا یصوم وكم شاهدنا من ذوات تدعو بصرخاتها الملهبة الى اقامة الجمعة والجماعة وهی لا تشترك فی ذلك اصلا وما اكثر من لا یصلی ولا یصوم ولا یغتسل من جنابة او حیض او مس میت ومع ذلك لم یطلع علیه احد كما لم یؤثر فی ظاهرتة الاسلامیة بل قد سه وتقواه وشخصیته .

والشرع ان اوجب الصوم والصلاة فلدواعی صحیحة وحد الأقل منها فی الصوم حفظ الصحة للصحیح والمواساة للضعیف و فی الصلاة ردعها مع تفهمها عن الرذائل والموهنات وكل من أحب ان یقر الآثار الواردة فی علل تشریعها فهو مبسوط امامه فی كتب الحدیث والاحكام ویكفی الاسلام فخرا یسلمه انه یحترم المعاهد فی كل اشیاءه ویحسبه حساب المسلمین مع انه كافر فی عقیدته .

واما قیامه على اليهود و غیرهم فلأنه وجد فیهم من الأصرار على المناوأة عملا والعداء والمقاومة فعلا و حیاكة الدسائس بالوان شتى بما یثیر الغرابة والعجب ولم یقاتل اليهودی لیهودیته والمنافق لنفاقه والكافر لكفره وهو یجد فیهم مسالمة فی عمل وهدوء فی فعل وكل من یتهمه بذلك فهو كاذب یقول خلاف الواقع والسیرة النبویة وما اكثر آثارها واخبارها ورواتها وكتابها تفند هذه المزاعم وتؤید ما قلناه بمئات الشاهد والتاریخ العمومی البریء من التحیيز من اعظم الدلائل على ما نقوله نحن وعلى ما یزوره الكذبة .

وهذا على لم یتقدم الى حرب الجمل الا للوقوف امام ما عاث به اصحاب الجمل قبل انحدار الامام الیهیم راجع لذلك كتب التاریخ وهكذا له بتقدم الى حرب صفین الا اخماداً لدسائس معاویة هذا المفسد

الذى (بعد صفين ايضا) كان يرسل الغارات لقتل الآمنين فى اوطانهم وسلب اموالهم والتجاسر على نواميس المسلمين وقتل الاطفال الصغار فضلا عن الرجال الكبار وكتب التأريخ طافحة بكل ذلك ، وهكذا المقاوم اهل النهروان الآ بعد اقامة الحجج عليهم مضافا الى انهم هم الذين قتلوا انفسهم بأيد يهم فقد ارحصوا دماء الناس فى صفين بانتكاشهم عليه مع انهم كانوا يقاتلون بين يديه وهم الذين اجبروه على الحكومة وهم بأنفسهم حتموا عليه نقضها فعلى لم يُرق محجمة دم الآ فى هذه السبل المكشوفة له ولغيره على تبحره فى الدين وتحرجه احيانا حتى من الاقدام على الامور المباحة وهذه كلها جبهات حرب أشعلها اهلها للأفساد فى الارض واشاعة الفحشاء بين اهلها واخراجهم من نور الاسلام الى ظلمة الكفر والحيونة والجاهلية كما بدا ذلك جليا من اعمال زياد بن ابيه وعبيد الله ابنه والحجاج بن يوسف ومصرف بن عقبة ويزيد بن معاوية والوليد بن يزيد وما اكثر هذه الذوات العفنة الساقطة فى انفسها المسقطه لكيان المجتمعات البشرية .

ولا جرم أن تقدس على عن كل مشينه فى الحياة والاخلاق والمثل العالية فهو تلميذ محمد الذى كان يمشى وحده ويعمل فى صالح الانسانية جهده ويجلس جلسة العبد اذا جلس ويموت عن لا شى من حطام الدنيا وهكذا عاش على ومات كما عاش مربيه ومات ، عاش هذان الرجلان أبر بالبشرية حتى من المفاهيم التى يُنطق بها ولكنها لا تتحقق فقد كانا فى التواضع ونكران الذات والمواساة والاحسان والحلم والعفو فيما يخصهما والزهد والتقوى مثلا رائعا للبشرية ومصادقا متفردا فى الانسانية ، وقد شهد اعداؤهما فى حقهما بكل ما يعطى التجليل والتبجيل لهما وكيف لا يشهدون بذلك وقد عاشا مع مناققين

متحرقين لا تحصى عدتهم بكل اغماض وكرامةٍ وخذ لك مثالا اباسفيان هذا الذي ناوء رسول الله واحدا وعشرين سنة حتى عام الفتح فلم يترك مظنّه في التخريب عليه وعلى اصحابه ودعوته الاّ وسلوكها ومع كل هذه الجرائم عفا عنه واعطاه هو واولاده الوافر من غنائم حنين وجعل بيته مأمنا لمن يستجير به وقس عليه الاشعث وامثال الاشعث مع امير المؤمنين على عليه السلام ومثل هذه الروح لم توجد في بشر اصلا فالاسلام دين حياة لا دين فتك وابداء والاسلام دين مثاليات لا دين انانيات وحب ذات والاسلام دين ثقافة لا دين تعنت واستكبار والاسلام دين تثبت وحائطة فلم يقبل على الجرائم الاّ شهادة العدول والعدالة عزيزة الوجود في البشر على طول ادوار البشرية فلم يرحم محصنا او محصنة الاّ بشهادة اربعة عدول يعرفون معنى الزنا ومعنى الاحصان في الشريعة ويشهدون على ما رآته احد اقمهم متحققة مما رأت وانه كالميل من الرجل الزانى المحصن في المكحلة من المزنى بها المحصنة بالشرائط المدونة في الفقه الاسلامي وقس على ذلك بقية الجرائم من لواط وسحق وقيادة وسرقه وافساد في الأرض .

فويل للخوارج والقرامطة والاسماعيلية ومن حذا حذوهم ومشى على طريقتهم مستبيحا لدماء الناس على حساب الغرض الشخصي والهوى النفسى او جهل في العلم وقلة في الدين ولا ابايية تامّة في شؤون المسلمين وغير المسلمين وبلا شك ان امثال هذه الجسارات العظيمة تدلّ بقاطعيتها انها لم تصدر الاّ عن كفر في الباطن وعقد نفسه في الظاهر اعاد الله العباد والبلاد منها ومثل هذه الانتسابات للأسلام وهى في واقعها وظاهرها بريئة منه بعيدة عنه هى التى شوّهت منظره الاسلام بين الناس واطاحت بالمسلمين وخففت من وزنهم وشأنهم بين

العقلاء بل وحتى الجهلاء ولا شك ان هذه النزعات فى السابق واللاحق
انما اثيرت لكى ان الحق وازهاق الحقيقة سواء كانت من داخل
المسلمين ام من خارجهم وسواء كانت بعمالة ام بجهالة .

ان فقه الاسلام اوقفنا بقاطعية على ان محمدا (ص) قال لمن اعترف
امامه بالزنا لعلك قبّلتها يريد ان يستر على هذا النادم بعدم تكراره
باعترافه فيأتى من يدعى التفقه بعده حاكما بشراسة ان يقتل من شهد
عليه طرقي لا يعرف مدى دينه او معرفته بمعنى الزنا والاحصان فى
الشريعة فهل ترى هذا القماش من ذاك واذا كان قتل الناس هذا
سبيله فأجدر بالاندفاعات ان تفعل كل عجيب ما دون القتل، وهنا يجب
علينا ان نبحت عن نقاط ثلاث عليها يقوم بناء المجتمعات
ومقياس العلم .

(١) حكم العقل القاطع فى الاشياء من دون ملاحظة الشرائع .

(٢) الرأس مالية فى عرف اهلها ما هى .

(٣) وما هى الشيوعية .

فأما بالنسبة الى الأول فان العقل البشرى يرى ان الطبيعة كمال
مباح التناول لمن يريد الاستمتاع بها على ضوء العقل فمياها مباحة
للواردين ونباتاتها للأكلين وأراضيها للعامرين والساكنين فمن اخذ من
الماء ما هو حاجته ومن النبات ما هو بغيته ومن الارض ما هو لازمه كان
تصرفه مشروعا وآثار زحماته محترمة لا يجوز ان تمد اليد اليها الا
بالمغالبة الوحشية وهكذا يرى ان الجهود المبذولة من اهلها لا تبرعا
للآخرين محترمة لا يجوز تسخيرها الا برضا اهلها فمن ملأ قربه من
الماء المباح كان ماء القرية له يجوز له ان يبيعه بمال وركيزه ذلك هو
مراعاة اثر زحمته لا ماء الشط وهو فى الشط ومن احتش من النباتات

الطبيعيه شيئا كان ما احتشّه له يجوز له ان يبيعه ايضا وركيزة ذلك بذل جهده في الحشّ لا النباتات قائمة على اصولها في الصحراء ومن جاء الى ارض موات فعمرها بسعيه كان له ان يعامل عليها لا بما انها وذرّة من الطبيعة الملقاة بل لما فيها من آثار العمران من نهر وساقية وحرث وتصفية للارض وما الى ذلك ممّا صيرها عامرة بعد البوار او جاء الى ارض موات فبناها مسكنا او احتفر فيها بئرا او استنبط فيها عينا فان كل ذلك محفوظ له من اجل جهوده واتعابه وما لهما من آثار شاخصه، ومن حمل على ظهر انسان او رأسه ثقله بغير رضاه كان مسؤولا عن اجرة مثله او استغلّ مواهبه الفنية والفكرية فانه كذلك مسؤول عن حقه بما يقدره العرف فالعقل بما هو عقل يبيّن احكامه المذكورة في هذه القضايا بلا موارد ولا خشية وعلى غرار حكمة الشريعة في كل ذلك وامثاله وما ذكرناه من بدائه الفقه الاسلامي

وامّا بالنسبة الى الرأس مالىّة فان كان المنظور بها عدم تحديد الكمّ في الاستثمارات وعدم تحديد الكيف ايضا كالكسب من طريق الربا والزنا والقيادة واعانة الظلمة وما كان من هذا الرديف الذي ملاكه عدم مراعاة المفاصد ولا حقوق الاغيار او التجاوز عن الحق نفسه فذاك من الاغلاط الواضحة وقد ارتكب الكثير منها بعلانية في الدول الرأسمالية وان كان المراد بها التحديد في الكيف دون التحديد في الكم فذلك ممّا لا مانع منه عقلا وشرعا فلو ان فلاحا يستغلّ جهوده في الفصول الاربعة ويستثمر منها مالا طائلا بحيث لو قارنا بينه وبين الفلاحين العاديين لكان دخله بالنسبة اليهم اضعافا مضاعفة لما كان الفلاح المشار اليه معتديا على الغير او على الحق نفسه فيما اكتسب ولكن كسبه مشروعاً وحقه محترماً وقس على ذلك كل من يستخدم مساعيه ومواهبه

ويستثمرها من طريق لا مفسدة فيه فلو اثرى هؤلاء لكان ثرائهم مشروعاً معقولاً .

وأما بالنسبة الى الشيوعية فان كان المنظور هو جعل المواهب البشرية والمساعي الانسانية مشتركة بين الناس جميعاً كما شترآكهم فى مياه البحار والانهار فهو من الظلم الفاحش والتجاوز المقيت واى منطق يجيز اغتصاب مساعى اهل السعى واخذها منهم بالتسخير وجعلها مشاعه بين الناس ، وان كان امرا غير ذلك ولا نعهد فيها غير ذلك - فلا بد من تطبيقه على الموازين العقلية الشرعية ان امكن تطبيقه .
وفى نهاية المطاف ليست الطبيعة ولا الشريعة بمؤيدة للرأسمالية المومأ اليها ولا للشيوعية التى تحدثنا عنها وانما الحق هو تحديد الكيف فى المكسب لا الكم لتفاوت العاملين فى الجد والكسل والاقتصاد والسرف والمواهب واستخدمها والافكار الصحيحة وتصريفها .

وأما هذه الثروات الهائلة التى توجد عند جملة من الناس والاراضى الزراعية العظيمة التى توجد فى قبضة من لا يعرف الزراعة الا بصرف الانتساب اليها فليست على حد الميزان الطبيعى الشرعى قطعاً وانما هى اعمال نفوذ وتزوير وتسخير فلا بد من النظر فيها بدقه وارجاع واقعها ان امكن تشخيصه الى اهله الواقعيين ان امكنت معرفتهم والا رجعت الى بيت المال لتصرف بحق على المصالح العامة وكل نقطة من هذه النقاط يجب الفحص عنها بدقه ومراعاة للذمة اخذاً وصرفاً .

هذا كله من الوجهة البشرية بطور مطلق وأما الحد يث عن الممالك الإسلامية سابقاً ولاحقاً فخلاصته ان الاسلام لم يعهد له التأريخ تطبيقاً الا زمن نبيّه (ص) وذلك فيما تمكنت يده من ضبطه والاستيلاء عليه استيلاءً

تماماً وهذا الشرط قد لا يتجاوز المدينة نفسها وأما دور علىّ عليه السلام فلم يكن دور حاكمية بل كان سلسلة مناهضات يريد من أجلها احقاق الحق وابطال الباطل فلم يحصل ذلك الا في اماكن خاصة كانت ولايته عليها ثابتة قاطعة وما سوى ذلك فقد كان منسعثا يعيث فيه العابثون كلاً ومبلغ نفوذه وفيما سوى هاتين النقطتين كانت دنيا الاسلام دنيا مهازل يخجل الانسان بما هو انسان من شرح اوضاعها وسرد تأريخها حتى كان المنتقد النزيه ان حصل له وجود في تلك المضامين مخاطرا على حياته لا لأنه يريد شيئاً ولكن لأنه يقول قوله الحق ، دع عنك امسك الدابر وخذ اليوم في دنيا الحضارات والثقافات رأسالية وشيوعية واسلامية تجد الوانا شتى من المخازى الكبار والجرائم العظام والتفسخ القذر حتى فيمن يدّين بالله رباً ويعتقد ان له عليه معادا وان فى المعاد حسابا وكتابا ونعيما وجحима

ويكفى فى دنيا هذه الثقافات الاسلامية سقوطا وامتهانا انها تجهل مقدسات دينها علماً وتبتعد عنها بمسافات طوال عملاً كان تأريخ دولنا الاسلامية فى الماضى اسود ولكنه ازداد اليوم خزيا وعارا كانت الدعارات عزيزة الوجود على المفلسين ولكنها اليوم ليست بعزيزة عليهم لانتشارها وابتذالها فى كل مكان وكان الباطل له هيمنة بقedar سطوة سلاحه وكان سلاحه محدودا للغاية أما اليوم فسلاحه فى الأرض والسماء والماء غير محدود وكانت عمليات القنص والخطف والاعتقال قليلة منزورة واصبحت اليوم فى كل مكان وكانت دنيا امس قائمة بالغلبة المحضه واعمال النفوذ فقط أما دنيا اليوم ففيها من شكليات الانتخـاب والانتداب والشورى ما يخيل معه ان السماء هى التى تحكم الارض لكنها فى الحقيقة محكومة لمزيج من الدجل والتطميع والأرهاب بشتى محققاته

المفقودة بالمرّة في الأمس الدابر .

ومن دواعى العجب انصافا ان الممالك الاسلاميه بعد أن أصلت وجودها بالنسبه وهى كثيره اليوم كانت قبل يومها الحاضر احسن حالا منها بالفعل مع ماكانت عليه من دور طفولة بالقياس الى دورها القائم حاليا فكانت لجوامعها العلميه الاسلاميه آثار بارزه فى فاس والقاهره وجبل عامل والنجف وغيرها من المدن المذهبيه فى العراق وكثير من مدن ايران والبحرين الكبرى واليمن والهند والباكستان وغير ذلك من شتات البلاد الاسلاميه أما اليوم فهذه كلها بين منحلّ متدوّب و ضعيف فى الجريان فاقد للجوهر .

فى حال اننا نجد فى السابق واللاحق فخر الأمم وعزّتها منوطين بجوامعها وكثرة علمائها ووفرة انتاجها فعلامّ تجاهلت هذه الممالك وهى تعتبر نفسها اسلاميه بهذا الفخر العظيم والاعتزاز المهيب ، صحيح ان الاستعمار غزاها بكل ما عنده ليستثمرها من ناحيه ويقتادها الى جانبه من ناحيه ثانيه فهل تراها انها فقدت كلّما لديها من احساس وشعور - الى هذا الحدّ قد لا نؤمن بذلك - ولكننا نؤمن باستردّها الى أبعد غاية ، ثم اين ذهب حسّ الاعتزاز بالنفس من الأمم المسلمة وقادتها المذهبيين والثقافيين حتى اخلدوا الى هذا الهوان الماحق والسكوت المفتضح .

واننى عند ما نشأت فى النجف ادركت حوزتها يومذاك تعجّ بالكثيرات من الافاضل والاعداد الوفيره من المجتهدين والشخصيات الفذّه الاسلاميه وكان لدين محمد بن عبد الله (ص) رونق ولمثاليات الأعظم من سبق هذه الطائفة تجليات و اشراقات فكانت لنظم الدين حكومه بلا سيف ولا سنان وكانت الجوامع والمجامع تزخر بأهلها ما بين حلّ مشكله وبيان

معضلة ودعاء اخاذ بالقلوب وجماعة تستأسر المتعطرس فتخضعه و فى هذه المجالى القائمة بنفسها يدرك كل انسان حكومة الدين الواقعى على القلوب بلا أن يحامى عنه جندى ولا شرطى ولا تألف بمال ولا خوف من احد وكان الناس المتدينون يحلون مشكلاتهم وخصوما تهم عند المجتهد بين بطيب من انفسهم وحقا ان كان للدين معنى يراد تجسيمه وعرضه للمجامع فهو بالصورة التى طرحناها على ان المجتمع الذى شاهدته مجموعة من عناصر شتى من شتات ممالك العالم وكان هذا المجتمع العلمى الزخار يعيش افراده على لا ضمان الا من رزق الله غير المحتسب فقد كان اهل الخير والصلاح يواصلون المراجع بما تسخو به انفسهم والمراجع كل بدوره يقوم بتفقد من يعرف من خاص وعام وبالأخير لم تكن معيشتهم الا على القناعة التامة وكان الى جنبها دين متين وتوجه الى الحق عميق ورضاء بقضاء الله وقدره وهذه الروح هى التى انتجت افاضل من طراز عال حقيقة لهم آثارهم الراقية وثمراتهم الباقية وكان الحاكمون يهابون مواقفهم اعظم هيبة بل كانت الملوك تأتيمهم الى بيوتهم او ما هو فى اقصاها وتقبل ايدىهم اجلالا لهم واکراما لتعففهم وايمانهم الصادق وكانوا يقفون امام الدواهى وقفة الأبطال فلا يستطيع تقنين قانون يخالف تعاليم الشريعة خصوصا فى المطالب الحساسة كما لا يستطيع التوهين بنظم الدين ولم يجسر الا جانب على شدة شكيمتهم على الأطاحة بالمسلمين فكم لأعظمتهم من وقفات فى صدور هؤلاء المردة جرت الى تبعيدهم احيانا وبالنتيجة أرغم العدو على التنازل لهم لانه يجد ظاهرة لها جذور فى قلوب الناس من افراد غير انتهازيين ولا نفعيين وانما سائقهم الأخلص والايمان وحفظ الناس عن الانهيار والانجراف مع الموبقات هكذا عشت هذا الدور وكنت فيه طالبا بدائيا .

لكن لما تذبّوب الايمان الصادق من منتسبى هذه الحوزات و اقبلت الدنيا بأموالها الجمة و ابنييتها الضخمة و البستها الفخمة و مآكلها الدسمة و لوازمها غير القابلة للاحصاء خفت كفة الدرس و التدريس و ضعفت الواقعيات و زمت النفوس عن قرارها الواقعى و استخدمت الدول بما لها اعناق الرجال هناك خف كيانهم و هزلت شخصياتهم حتى آل الوضع بجملة منهم الى تأييد مبانى الشيوعية تحت ستار البرزة الدينية و الشعار الروحى و اخذوا يكتبون لهم كتباً تؤيدهم و تسدّ خطاهم و تجعل اعمالهم شرعية و يستشهدون لتبرير ضلالاتهم بآيات الكتاب المجيد و السنة المحمدية .

وقبل عشرين سنة تقريبا استخدم سلطان وقته لما اراد تنفيذاً مخططة الأحمادى فى مملكة اسلامية انتجت الوفاً المجتهدين و فى مجتمع اسلامى تكرر على سمعه حديث الدين و المتدينين احد من يدعى الفضيلة ليحوك له مبررات تخرجه من كونه مبدعاً الى كونه متشعباً فكتب له رسالة وزّعت بالملايين على الناس مضمونها ان كل آخذ هوية و جنسية من اية حكومة تفرض معناه أنه قد اعطى وكالة لتلك الحكومة ان تتصرف به كلّ ما تراه من صلاحه فالسلطان المزبور موكل عن جميع رعاياه بأن ينظر لهم ما يصلحهم و قد فعل ذلك فأى محذور عليه .

واستدلّ هذا الشيخ و امثاله على سلب اراضى الناس و اموالهم بقوله تعالى و الأرض و وضعها للأنام و ان ليس للانسان الا ما سعى و معنى ذلك عندهم ان الارض المحروثة المحياة المجدولة المبدورة لا تختص بحارثها و محيبيها و شاق جد اولها و باذرها بل هى للناس جميعاً مع اعترافهم بان الله عند ما وضع الارض للأنام لم يضعها محروثة محياة

مجدولة مبدورة او مغروسة وان الحرث والأحياء وشق الجد اول وبذر
 البذر وعملية الغرس قام بها الانسان بمساعيه مساحيه او جراراته وان
 نبى الاسلام وائمة اهل البيت قالوا من احبب ارضا مواتا فهى له وهم لم
 يسوقوا قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى الا ليحولوا بين
 المال واهله فلا يعترفون بحقانية غير العامل بعضلاته ونحن نماشيهم
 الى هذه المرحلة ونقول لهم ان هذا العامل الذى يتقاضى فى مقابل
 عمله كذا دينار يتعمد الى ان يدخر منه شيئا فشيئا حتى تجتمع له
 كمية من مال يشتري بها لوازم بناء ويعطى منها كراء العملة والبناء وهو
 لم يباشرفى تهيئة هذه اللوازم ولا فى نضد الاحجار حجرا فوق حجر
 اقل مباشرة ولم يسع فى ذلك اقل سعى ولازم هذا ان البناء الذى
 بناه بمال عمله ليس له وانما هو للساعى من محضر اللوازم والعمل
 ومباشر البناء أتراهم يحكمون على هذا العامل ان البناء ليس له لا -
 لا يحكمون، هذا مضافا الى أن الآيه المستشهد بها لا ربط لها بهذا
 الباب بالمرّة وانما هى مربوطه بعمل الآخرة وان الانسان لا يحمل وزر
 غيره كما لا يؤخذ اجره منه اعتبارا .

وطالما تغنى الجهلاء المرجفون بالتمول والأدخار بما جاء فى
 (سورة التوبة ٣٤) والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل
 الله فبشرهم بعباب اليم، غير مقارنين بينها وبين آية سورة الكهف (٨.٢)
 وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان
 ابوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من
 ربك، وفى الآيه اعجاز بيان حيث جاء فيها وكان ابوهما صالحا ومع
 ذلك ادخر كنزا لأولاده حتى يكون لهما كفاف معيشه وماء وجهه اذا
 فالتمول ولو كان كثيرا اذا كان عن صلاح فى الكسب لا مانع منه وادخاره

للمصالح العقلائية لا محذور فيه ، هذا وروى فى الأمالى عن الرضا عليه السلام انه قال قال رسول الله (ص) كل مال تؤدى زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لا تؤدى زكوته فهو كنز وان كان فوق الأرض (وسائل ابواب ما تجب فيه الزكوة وما تستحب الباب الثالث الحد يث ٢٦) .

ومن المؤسف جداً ان هؤلاء اللقطاء كثروا فيما بين الناس وعاشوا فى الشريعة الاسلامية اى عيبت لانهم وبالأسف يواجهون شعوبا بسيطة غاية البساطة تقبل كل ما يقال لها وتندفع وراء البزة وستار التعمية اكثر مما تندفع وراء الحقيقة ومن هنا طمع بها كل احد حتى على محمد الباب الشيرازى والبهاء القزوينى وقرّة العين واحمد كسروى وكل من لفّ لفه بلا فرق بين عوام الناس ومحصلى العلوم الجديدة ومن المؤسف ايضا ان الفقهاء المؤمنين بواقعية الدين الاسلامى انجحروا لانفسهم واخلوا الميادين لهؤلاء الطرقية الجهلة .

وليست تعاليم الاسلام من اصل وضعها قاصرة عن القيام بواجب البشرية فهى من الأول وقتت امام التسخير والتزوير واعمال النفوذ والمكسب الحرام فكل ارض سخّر لأجل اعمارها ضعفاء الناس فهى ليست للمسخر لأن الأحياء ليس له وكل مال اخذ من طريق خيانة الضعفاء فهو ليس لآخذه وانما هو للمأخوذ منه وحيث يجهل عامر الارض المأخوذ منه المال بالخيانة فهو مجهول مالك له نظامه الخاص فى الشرع وحصيلته جعله تحت نظارة حكام الشرع بحقيقته هذه الكلمة ليصرفوه فيما تساعد عليه الموازين الشرعية .

مضافا الى ان هذه الازمنة بما راج وكثر فيها من الآليات فى كل وجهة توليدية تستطيع الدولة مسلمة كانت ام غير مسلمة شيوعية كانت ام

رأسمالية ان تهياً من دخلها العظيم وسائل لأعمار الاراضى الموات والأكثر فى المعامل وتضع الناس فيما يرغبون من زراعة او عمل فانه خير من هذا السلب والقمع والقلع الذى يقومون به تجاه الزارعين العامرين والكسبة الشرعيين .

ولم تقتن الاحكام الأوليه الا لانها وفق الطبيعة ولا مضايقة فيها لكل احد فالقادر على الصلاة من قيام وهم الاكثرية الساحقة يجدان هذه الهيئة اولى به من الصلاة مضطجعا او مستلقيا على قفاه كما يجدان الطهور بالماء انزه وانظف واليق به من التيمم بالتراب وهل ترى احدا يجد اللحم الطرى المذكى ومع ذلك يعدل عنه الى الميتة وقس على ما ذكرناه موارد تشريع الاحكام الاولية وموارد الاحكام الثانويه القائم اغلبها بل كلها على العسر والحرج والضرورة .

هذا وايه ضرورة تدعو الى استلاب الارض العامرة من محيبيها والمال الشرعى من كاسبه وتوزيع ذلك على من لا يجد ارضا عامرة حتى يستثمرها ولا مالا حتى يتكأ عليه .

أفى الأرض الموات قلة وهل هناك عجز فى دخل الدولة لا هذا ولا ذاك خصوصا اذا راقب الحاكمون مخارجهم الزائدة فحذوها وتوجهوا الى مزارعهم ومنابعهم وصنائعهم فاستثمروها فهناك ترى النعمة لا تحصر بحاصر ولا تفى بحسابها الاقلام والدفاتر فليقت المسلم ربّه وليخدم نفسه وشعبه وأما كثرة التبليغات وصرف المال الطائل عليها واستيجار الاقلام والأفواه بنفعها فذلك كله دجل وتزوير على انه لا يعود بعائدة ملموسة لانه زبد والزبد يذهب جفاء وما ينفع الناس هو الذى يمكث فى الارض وليس ذلك الا العمل المثمر والاخلاص فى العمل أعان الله المسلمين عليها .

ومسأله أخرى قد ابتلى بها المسلمون في بعض جماعاتهم وعلى طول ازمانهم وذلك انهم يوجد فيهم من يعتنق مشربا خاطئا في نفسه وفيه افراط على الناس ولولا جنبه التوحش التي فيه لهان محذورها الآخر وهو الخطأ في المشرب العلمي وذلك اننا نرى اخواننا الواها بيين يسمون بالشرك اغلب اخوانهم من المسلمين ويعاملونهم معاملة المشرك المحارب فيستحلون دمه وماله وهذه بليّة كبرى سبق لهم ان اعملوها في اول نهضتهم فأراقوا من الدماء وسلبوا من الاموال ما هو محفوظ في زبر التاريخ مسجّل عليهم ولو ان مجارى الزمان اليوم تساعد هم على ما ساعد هم به الأمس لفعلوا في الحاضر نظيرا لما فعلوه في الغابر كأنهم لم يقرؤا قوله سبحانه مخاطبا لنبيه ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك وبادر الخشونة هذه فيهم وفيمن يسلك مسلكهم قد زمت بكثيرين عن تبني هذا الدين المبين كيف لا وهم يرون ان العامى البعيد عن ثقافة الاسلام ومبادئه الاصيله ربما ترائى له ان يندب بعض من يعرفه بالقدسية والمثالية ويجعله واسطه بينه وبين ربه في صميم عقيدته لكنه انما يبرز بلسانه ذكر المقدس فيخاطبه يا احمد مثلا بجاهك عند الله نجزلى هذه الطلبة او يا فلان خلصنى من هذه الورطة بدون ان يذكر اسم الله يرون ان نفس هذه الندبة من هذا الشخص البسيط عادات عليه وبالا فصيرته مشركا من ناحية العقيدة مهدور الدم مباح المال من ناحية الحياه الدنيوية وهم يدركون ان الاكثريه الساحقه في البشر عوام من هذا الطراز أفترى هذه المجموعه العظيمة من البشر كلها مهدوره الدم مشرکه لأجل امثال تلك الكلمات تصدر من افواها فكيف لا يزم العاقل العارف عن مثل هذه الخطط الخشناء ان القوم كان ممن وظيفتهم ان يتعقلوا هم انفسهم روحية الدين وروحانيته قبل كل شىء

وانه انما شرع لسعادة البشرية وسعادة البشرية مقرونة بالعلم الناجع والتربية الصحيحة واللفظ بالبسطاء جهد المستطاع لا ان يكون عباد الله السدج دريئة لرماح هؤلاء المتزمتين الذين لم يعرفوا الشرك ولا التوحيد ولا المقاييس العلمية ولم يشموا رائحة ذلك ولم يرتاضوا بالرياضات اللازمة فى سياسة مخلوقات الله التى لم يصنعها حتى يوقع بها ويفتك بدمائها وزحماتها حكمة الله اجل ورأفته اعلا ما عليه هؤلاء المغلوبون على عقولهم هداهم الله الى سواء الطريق، وليست هذه العجالة ما تسعنا لتدوين نقاط ضعفهم علمياً والرد عليهم بالمنطق الشريف، وقد منى الاسلام منذ اوله بأمثال هذه الفرق الحاقدة على الناس كالخوارج والقرامطة والاسماعيلية ومن حذا حذوهم حتى فى هذه الازمنة، وان الاسلام اليوم ليرثى له من داخله وخارجه والمسلمون بين ذلك وهذا كالواقع بين طابقين من نار، وهذه الهنات هى التى فصلت اولاد المسلمين عن مواكبة آبائهم وانشمرت بهم عن اصل الدين فترى الشاب المسلم فى عنصريته اليوم ما يساريا حاداً ماركسيا فى قلبه وسحنات وجهه واما يمينيا افراطيا فى اللأبالية، أفليس لهذه الناشئة المستعدة لأن تقبل المعقول من يغذّيها بمعارف القرآن التى ملأها حنان ورأفة ورحمة بالناس، ما لهؤلاء المتنزين على البشرية لا يعرفون الا سفك الدماء والفتك بالأحياء والأطاحة بالقائم وتخريب العامر نعم هى امراض وعاهات توارثوها عن مسرف بن عقبة المرى وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف المحسوبين على المسلمين ومن لينين وستالين وهتلر المحسوبين على البشرية المترقية فأنا لله .

واصولا كان الشرق ونريد منطقة واسعة من آسية وافريقية قبل الحرب العالمية الأولى مسلما فى اصل منبعه وان كانت فى اهله هنات لا تحصى

من بدع وضلالات فى العقائد وفسق وفجور وفساد فى العمل وكان فى الداعى والمدعو منهم دجل وتدليس وشيطنه فى قطع اشواط الحياة الا ان الركيزة القاطعة كانت هى الاسلام فى رأس مخروط العقيدة والنزعة والسر فى ثبات هذه الركيزة وجود الحد الفاصل بين الشرق والغرب فمثلا الخلافة العثمانية كانت تتمتع بثمرات هذه الحدود وتعتبر نفسها فى الشرق فصيلة مستقلة عن الغرب بما فيه ومع وجود الدعوة الدارونية والماركسية وما اليهما يومذاك لم يكن لها ولا لحكومات الغرب تفوق وهيمنه وآمرية وحتى فى الخفاء على الشرق المسلم نعم لماطافت الحرب العالمية على ابعاد الكرة فلم يبق مكان لم تتسرب اليه وانهارت الخلافة العثمانية المهلهلة واقتسم الغربيون ممالك الشرق اخذ الاسلام بنحو جدى جذرى يجمع نفسه للانزواء والانفصال عن الناس لعدة عوامل :-

(١) ان ابعاد المملكة الاسلامية المؤتلفة تحت سيطرته واحدة توزعت الى حصص ووذرى يرثى لها فترى الاردن مثلا مملكة بحيالها ولها كثرة فى النظائر وعلى هذا الغرار قول من قال :

اوطاننا لو جمعت لم تكن دويلة فكيف صارت دول

(٢) ان الذين تولوا هذه العروش المتكثرة بالأسرعلاء يستمدون وجودهم من دول الغرب وحتى تركية الأم بعد الحرب صارت كذلك فقد حكمها يهودى من يهود سلانيك يدعى اتاتورك وفعل بها الأفاعيل وعلى الاخص فى ذلك عقائدها وسوقها الى الخلاعة حتى قال شوقى فيها وفيه :

يا اخت اندلس عليك سلام هوت الخلافة فيك والاسلام

(٣) تطور معارفها الى الحاد محض وانكار لكل شىء حتى لبدائه

الفترة وهذا التطور كان الزاميا على وزارات المعارف التى تتخذ على

عاقمتها تعليم الاطفال والكبار الذكور والأناث فابن المسلم ابن لسه بالنسب فقط وأما فى العقائد والعمل والعادات والسنن فهو ابن دارون وماركس ولينين لانه لا يعرف غير هؤلاء فى مدرسته وهو ابن مدرسته وانما يذهب الى امه وابيه ليقيتوه ويخدموه لا اكثر .

(٤) تقصير او قصور رجال الدين عن التوجه الى هذه المحاذير العظيمة التى نهبت منهم مواليدهم بالأسر من ذكر وانثى رجل وامرأة واقتصرهم على تقاليدهم التى ورثوها من سلفهم وسلفهم كان معذورا ان لم يواجه شيئا من ذلك فى ادواره وهذا الخلف الذى واجه هذه الادوار لم يتخذ لها عدتها اصلا بل فقد مواليدهم كما فقد الباقون مواليدهم .

(٥) تكثر المشكوكين فى رجال الدين اولئك الذين استخدمتهم

الاستعمارات لتنفيذ مقاصدها حتى فى كبار الأعمار حتى تستولى على الجميع فى اقصر مدة ممكنة وكم غزا المسلمين وعقائدهم امثال السيد على محمد الباب الشيرازى واثراثره الواضح فى اقتطاع جماعات عظيمة عن عقائدها وانزالها الى اسفل سافلين فى اخلاقها واتخاذاتها .

(٦) عامية افراد المسلمين فى الأغلب بصورة يمشى عليها كل شىء حتى عادات اضحوكة لأهل الحيل والخدع واليرنجات البسيطة فضلا عن المغلقة فهى تجهل من دينها كل شىء وحتى انها لتدعن لمن قال لها ان هذا القول :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا

هو آية من القرآن وكم اذعنت لهذا ولأمثاله بالأمس واليوم لكل من يريد او اراد الاستحواذ عليها واستخدام دمائها واتعابها واموالها فى الصد الذى هو جاد فيه ، مسكين انت يا مسلم اينما تكون اناموك الى الجهل ليتخذوا منك مضية توصلهم الى شهواتهم ولو كانوا ابناء

ثمانين او تسعين سنة .

(٧) ان المنتسبين للدعوة اليه تغلب على اكثرهم العامية من حيث التحصيل واللا ابالية من حيث المسير والمادية من حيث الهدف وهذه الكثرات لم تواجه من ينتقد عليها ذلك او يعيب عليها هذه الهنات لا من خيار صنفهم ولا من العوام ولما وجد الانتهازيون سعة الميسدان امامهم عبثوا وعاثوا واستمروا في الضلال واضلوا الباقين وصاروا جندا لكل من يحثو لهم بالمال ولا شغل لهم الا ذلك ومن هنا كثرت البدع والاهواء فيما بين المسلمين لوجود هذه الكثرات المخفورة بزيها وانتسابها حتى لو اراد العامي المخلص لدينه ان يستشف السيرة النبوية وما كان عليه اهل بيت العصمة وكيف عاش ومات مترسما خطاهم من فقهاء متقين واولياء صالحين لما تسنى له ذلك لان اهل الفضيلة والصفات النبيلة بعيدون عنه والذين يماسيهم ويصاحبهم في الشارع والمجالس العامة والاجتماعات وفي المدينة والقرية ويبراهم يحتكون بكل احد ويمازحون كل انسان ويتطفلون على كل مائدة ويشتركون في كل محفل ولو من غير دعوة هم هؤلاء النفعيون الذين يتاجرون بظاهرتهم ليقتنصوا ما يريدون من جاه ومال وتمشية هدف .

وليس على اهل الفضيلة والصفات النبيلة من ذم اذا ترفعوا عما يلابسه هؤلاء الطريقون فان نفوسهم لا تنقاد لهم الى هذه المراتع الوبيلة والمواطن القذرة ، بل من وظيفة العامي ان يتوجه اكثر مما هو عليه من استرسال مع عاميته فان استرسالاته هذه ذاق من جرأئها كل ضيم وضرر بل وسحق ومحق ، فالعامي وان كان اسمه شعار انهياره الا انه ذو عقل ومهما كان في صغره وقلة دريته فلا بد له ان يتحذر شيئا ويتوجه توجهاً ما لا ان يخلد الى جهله حتى يكون فريسة الأوغاد ، ثم

العامة مقولة ذات تشكيك فنحن ان عذرنا القصى البعيد عن مظان التعرف لا نعدر من ليس كذ لك فامثال هؤلاء يجب ان يكونوا حماة المحقين والافضل المتقين الذين ان ارادوا من الحياة شيئا فانهم لا يريدون اكثر من ضروراتهم مضافا الى ما يبذلونه من علم مفيد وعمـل يسعد على ترويج الحق وسلوك طريقه .

هؤلاء نحن الشرقيين تكثر فينا المجالس بطور اعتيادى يفقد اغراض الشخصية فى عقد ها ويملك قالة ووعظته قد يفقدون المناسبات التى تجرهم الى اغراض خاصة فتراهم يعظون ويرشدون وللعظة والارشاد وهذه المناسبات كم اسمعت حضارها سيرة النبى الاكرم وسيرة اصحابه منذ أن دعى للاسلام وان الذين استجابوا لدعوة الحق اناس عوام يجهلون كل شىء ثم بعد ممارستهم للنبى صاروا يعرفون كل شىء وان التراث الاسلامى الحاضر من حديث وتفسير وفقه ومعارف اخلاقية انما تنزل الى مجامع المسلمين من ناحية اولئك الممارسين للنبى واهل بيته وهذا كله حجة على المسلم بينه وبين ربه وبينه وبين دينة وبينه وبين معاصريه الذين قد يكون فيهم الفاسد المتختل الراصد لصيد هذه الطبقة العامة التى يجد فيها متى صاها جندا يضحى بنفسه مجانا وخزانه لا تنغد من المال وخدمته تتعالى فى الطاعة الى درجة العبيد الاقزام .

فيا اخى المسلم تنبه من غفلتك واشمر عنك شيئا من غطاء التعمية حتى تقل الولايات فى وجهك فانك انت والغربى تعيشان فى زمن واحد فعلام هو مرتاح وانت معذب وعلام هو سالم من الاذى والقتل والأسر والنهب وانت على طول الخط متأثر مقتول مأسور منهوب ذك وبلاشك ان وعيه للحياة اكثر منك ولذ لك تراه لا يعطى على نفسه طريقا للأطاحة

به وانت من بساطتك كنت وحاضرك مثل سابقك العوبة يعبث بك كل فاسد
النوايا خبيث الطوايا كثير البلايا .

الغربي بالأمس كان مثلك اليوم يعبث به منتسبوا الكنيسة أيما عبث
ويحملون عليه من العقائد المرموزة ما ازرى به طيلة قرون واجيال ولكنه
على مرور الزمن فز من غفوته العميقة نسبة ما عاد يرضخ لكل ما يقال
له لانه تميز غبنة الفاحش فيما مر عليه وانت يجب عليك ايها المسلم ان
تتوجه لنفسك كما توجه ذاك لنفسه من الاستبدا به نعم ليس مع الكنيسة
ما عند الاسلام من معارف فاضلة ومعالي شاملة ونظرة واحدة الى ما
تبتطنه الاناجيل الرائجة و الى يتبتطنه القرآن من واضحات ظواهره
المكشوفة لكل احد سواء في العبادات ام المعاملات ام العادات
والمعاشرات تكفى الحرّ اليقظ الى الفروق الواضحة بين العقيدتين كما
نظرة واحدة الى ما عليه قادة المسلمين المجمع على علمهم وتقواهم من على
امير المؤمنين ومن ترسم خطاه من سابق ولا حق كافية للمتفهم ان الاسلام
دين حق بسيط لا يريد من المسلم دمه ولا درهمه الا للدفاع عن نفسه
او بناء مجتمعه وان الاسلام بمعزل عن الشيوعية والاشتراكية والقرمطية
والاسماعيلية وانه يحترم دماء الناس واموالهم واعراضهم ونواميسهم ويعفو
عن الكثير من جهل جهالهم اذا كان عن قصور ويقبل توبة المنيب ولا
يعرف حاكمية الا لله سبحانه ويعتبر الناس احرارا كما ولدتهم امهاتهم
احرارا يجوز لهم ان ينتقدوا من به عيب اخلاقي وان يظهر الجاهل
جهله حتى يملأ مكانه بالعلم والمعرفة وليس للتعزيمت عنده مكان ولا
للتفرغ من مجال ولا للهيمنة على الخلق محل ولا يرى لأحد اجتهادا في
قبال احكام الله الموحاة توسط نبيه وان كل من يحاول التفلت على
الناس مريداً بذلك خلق شخصية ورفعة مكانة وابداع رأى فهو شاق لعصا

المسلمين يجب عليهم دّغه واخراجه من مجموعتهم حتى لا يحوك لهم
الدسائس ويغيّر دينهم وديناهم .

اخى المسلم من بساطة الاكثريّة فيك جلوت نفسك للانتهازيين جلوة
السفيه حتى اصحروا للعالم بأنك لا تعيش الا بقيم والقيم الانتهازي كالحرباء
يطلع لك فى كل يوم بشكل خاص كما طلع ابو زيد السروجى بطل مقامات
الحريرى فى كل مقامه من الخمسين مقامه بشكل فمرة ابن سبيل يتسوّل
واخرى سائحا يتجول وثالثة مظلوما يتوسل وهكذا تراه من حالة الى
اخرى يتحوّل حسب ملابسات الظروف .

ويا ليت ان هذه القيمومة التى فرضت عليك من هؤلاء الانتهازيين
لزمت خطة واحدة ورتعت فيك من طريقها فكانت حياتك على منوال واحد
مع كتاب الله وسنة رسوله فى حال ان القضية لم تمش معك على هذا
المنوال فمرة اطلعوك خارجيا واخرى قرمطيا وثالثة اسماعيليا ومرة تعتقد
بعلى محمد الباب انه الباب الى المهدي المنتظر واخرى هو المهدي
نفسه وبعد ذلك انه نبيّ ذو كتاب ورساله سماوية ويذهب دور ويأتى دور
الكنسروية ويتهافت ويأتى غيره وانت تعلم على طوال اربعة عشر قرنا ان
كتاب الله واحد هو هذا الموجود بين الدفتين وان نبيّ الاسلام واحد
وان تعاليمه الصادرة عنه المتواترة النقل او المستفيضة مضبوطة عنه فى
كتب حدِيثية بما تسالم عليه الخاصة والعامة ولا يهمنّا ما شدّ وندر او
اعترف به بعض دون بعض فأننى انما اكلّمك بما هو اسلامى بالمائة مائة
وهذا متوفر فى اصول العقيدة وكلّيات فروع العمل ، كما تعلم ايضا ان
الدين ليس رهن آراء الرجال ولا هو من ابحاث اهل القرائح ولا هو
من خيال الشعراء او من خرافات الصوفية ونسج اهل العرفان او من
حيكات القصاصين او نظريات الفلاسفة او من جيوب المجتهدين — لا —

كل هؤلاء ليس لهم من امر الوحي وشريعة السماء شيء لا فى قليل ولا فى كثير وكل من يتقول على الله بعض الاقويل فانه يؤخذ منه بالوتين ، نعم ليس للبشرية امام خالقها الا ان تأخذ ما شرعه الله فى حقها والذى شرعه لا يتجاوز كتاب الله وسنة رسوله القاطعة التى هى وحى يوحى وضمانها العصمة ولا ضمان مع غير المعصوم وايا كان فكيف اذا كان انتهازيا مبدعا يخرج المتاع من كيسه وينسبه لله ترويجا له بين عباد الله البسطاء وتحكيما لهواه او قياما بواجب العمالة التى استؤجر من اجلها وما اكثر هؤلاء فى حاكة الحديث والفتاوى ولا بسى الخـرق وهازجى العرفان قاتلهم الله انى يؤفكون بما اضلوا عباده وافسدوا بلادهم لوييل عيش لم يكن عزيزا عليهم من طريقه المشروع ولصباية من جاء لم تكن مفقودة لديهم من طريق الفضيلة .

اخى المسلم كم قرئت فى كتاب الله من الذم للتقليد وسره ان كنت لا تعلم أنه من الطرق الملتوية لاستحمار الآدمى وجعله آله جمادية يسخرها مسخرها كيفما اراد فأعط شعورك بعضا من وقتك حتى تربيه وتنميه فانه اذا نضج يكون نعم الناصح لك والذائب عنك والصابغ لدملك والحافظ لمالك والمحصن لنا موسى ولا تسقط المسؤولية عنك بتقليد الاغيار فليس كل جاهل بمعذور امام الله سبحانه ولو كان اخذك التعبى عن انسان معصوم لكنت عصمته خفيرا له ولك جميعا وعذرا عند الله سبحانه بأنك اتبعت الرسول بعد قيام المعجزة على صدقه لكن ليس الأمر كذلك لبعده الشقة الزمنية بينك وبينه وانك الآن لتتعبد احيانا برأى من انت اصدق لله منه وأوفى ذمة وأشدّ خوفا وقد تتعبد بمن اتخذ علمه اداة لدنياه وهو فى قرارة نفسه من ملاحده العالم وزنادقة بنى آده فار كثيرا ممن عرفوا بالابتعاد عن الاسلام كانوا ممن

اعرف الناس بأحكامه إذا فليس كل عالم بواقعي فيما تظاهر به هذا اذا كان من اهل العلم حقيقة وقد يكون حتى فى نسبة العلم اليه كاذبا ومكذوبا فيه وان وجد له اسم فى معجم او نسب اليه كتاب وكان الكتاب كتاب علم فان التحريّيات اوقفنا على تزوير الكثيرين ممن دونت اسماؤهم فى صفوف اهل العلم وعلى تأليف الكتب من العارفين وعزوها الى غيرهم من الجاهلين برضيخة مال رضخت واجرة فرضت وكل هذه المفاسد لا ينجو منها الانسان الا اذا ملك شعوره وخرج من ربة التقاليد ولو بالنسبة .

ثم اعلم ايها الأخ المسلم ان الجنة والنار والنعيم والجحيم بيد الله سبحانه كأحكام الدين ومقررات الشريعة وان الذين يتاجرون بذلك شحاذون يفقدون كل بضاعة يكتسبون بها سوى هذه التخرصات الاجرامية فكما ان احكام الله مربوطه به وكل من سواه ممن يملك صلاحية التكليف عبد من عبيده موظف بأطاعته وليس له من الأمر شيء كذلك ثوابه وعقابه منوطان به ليس لأحد التحكّم فيهما عليه وكل استغلال ابتليت به من هذا المنفذ هو كالاستغلال الذى استغلته ممن حكم لك بأستحلال مال غيرك واستغلاله من دون رضاه سحت فى سحت ومعصيه فى معصيه اعادنا الله من جميع هذه التهجمات على الله وعلى احكامه وعلى عبادته وعلى دماءهم وعلى اموالهم ، واذا كان الله سبحانه يأخذ للجماة من القرناء بمقدار هديها فى فعلها فأجد ربه سبحانه ان يأخذ منك لصاحب الحق حقه ولو اباحه لك من يدعى القيمومه عليه . ومن المهازل انصافا ان نرى اناسا يعطون لأنفسهم من الحق والجبروت ما لم يدعه الله وهو مالك الكون والكائنات لنفسه فان الله يقول ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا ولم يجعل السلطان فى ذلك لنفسه مع انه هو

خالق المقتول ورازقه لا ابوه او وليه الآخر .

ولا تنس ، ايها الأخ المسلم ، اننا دعوناك لطلب العلم حتى تنمى شعورك وتتعرف على الواقعيات حتى تنجو من فخاخ التقليد فـأذا وردت فى هذه المشرعة فتميز بجهدك كدر الماء وصفاءه وخذ حذرك من كل احد ومن كل شىء حتى لا تختلس من عرض الطريق ولا تكن كالجمل المغشوش سيّقة تنتحى كل ناحية وجّهت اليها بل يجب عليك التحقق من هذا وذاك فان فى التسرع آفات و فى الركض وراء حسن الظن مآهات وكن متأملاً متعقلاً حتى لا تقع فى التناقضات ، ولم يخطأ من قال ان سوء الظن من حسن الفطن فى مثل هذا المجال .

أخى المسلم ان السير فى طريق الدين واخذ احكامه والتنور بنور علومه ليس هو كالسير فى طريق العلوم الأخرى كالحساب والهندسة وسائر الرياضيات والطبيعيات ان طريق الدين طريق مثالية وتصفيه وتحلية بالاخلاق والآداب الربانية التى ابلغها الانبياء علما وتلبسوا بها عملا فهى تحتاج الى صدق ووفاء واحتياط وتحذر من الموبقات واخلاص فى التعلم والتعليم وتقربا الى الله عزوجل بقصد الخدمة لعباده على وفق مراده هو تعالى وانت اذا استعرضت تأريخ الفقهاء المتقين ممن ترسموا خطة سيدهم امير المؤمنين عليه السلام وقفت على جميع السوان المثاليات الحقّة فى شراشر وجودهم فعلم متبحر وورع جرى فيهم مجرى الدم فى عروقهم اعزة على الكافرين ومن كان على نمطهم اذلة على المؤمنين كل واحد منهم خفيف المؤنة فى الحياة شديد الوطأة على الجبناء بحر فى علمه غوّاص فى تحقيقه خائف لربه فقد بيدو له وجهه المسألة من النظام العلمى والمقياس الغنى ولكن ربما تلوح له احتمالات عقلائية فيحتاج مع احتمال الألتزام بالفعل ومع احتمال الحرمة بالترك

ويوصى كل من يعول عليه بذلك ليقينه الجازم بانه ليس بناكب عن الصراط من سلك طريق الاحتياط، فويل لأولئك الذين ختموا اعمارهم بمرامعة الله والأفتاء بالمتناقضات فى الفواصل القليلة انجرافا مع الباطل والمبطلين ردكاً لمقامات المرسلين والأوصياء المطهرين والمجتهدين المتعهدين وانتصاراً لزافة الزمن وطغمة الناس ومرجى الفتن وليقال من ذا قالها، وان تكن فى البين خيانة لله فى عباده فهى من هذه الطرق التى لها مساس بعقائد الناس واعمالهم وحيوياتهم وملابستهم بعضهم البعض وأما فنون الرياضيات والطبيعيات فهى بمعزل عن هذه الشؤون ولا ربط لها بالعقيدة ولا بالعمل فالسائر فى طرقها بما هى هى لم يأخذ الله والوجدان والضمير البشرى عليه واحداً بالمائة مما اخذه على الفقيه المتصدر للفتيا والقضاء وفتق ورتق امور الناس وكم فى الكتاب والسنة من آيات وروايات تلعن العالم المنحرف المداجى المنجرف مع ميوله غير المتقى لله البائع لأخراه بدنياه .

اخى المسلم ان مدرسة الروح ليست فقط ليقف الانسان منها على مدلولات الكتاب والسنة وآراء اهل العلم من هذا الرديف فيقال فى حقه انه يعرف التفسير ويجيد معرفة الحديث ويحسن الترجمة عن الرواة ويشخص موارد الخلاف والاجماع فى الموارد الفقهية ويفهم مداخل المسألة الشرعية من مخارجها وليست هى ايضا لأجادة النقد والرد وتحصيل التلميذ اجازة من استاذه بفضاه او اجتهاده كما ليست هى للتسلط على التدوين والتأليف والنقاش والحدال والتدريس والسطوة فيه فان كل هذا وذاك اذا لم يكن رصيده الأيمان المكين فى القلب الطافح على الجوارح الآخذ بمخنق الانسان الذى عنه يتحرك ولأجله يفعل ويترك كان مادة فساد وشيطنة وهتك للمجامع وسفك للدماء وانك

فى الاقوال وشرك فى العقيدة وتهجم على عباد الله وارتكاب جرائم ومآثم وخيانات وجنایات ولذلك مصاديق وفيرة على طول الاجيال وفى دنيا العقائد والملل ولا يروق لنا التحدث عن مصاديق ذلك بالفعل تصريحاً ومكاشفةً ولا ريب ان كل من يتخذ هذه الطريقة ملاك رزق واستفادة فإنه يكون افسد من الزانية والمغنية والراقصة فى نفسه ويكون درهمه اشد حرمه من درهم هاته المهتوكات ذلك لان الزانية لا تتدخل فى عقائد الناس ولا المغنية لها ربط يد بين الناس ولا الراقصة لها مساس بالرابطة بين الخالق والمخلوق من الناس اما من هو فى خط العقيدة ويعرفه الناس او هو يعرّف نفسه للناس بهذا الشأن فانه اذا لم يكن واقعياً فى خطته وكان مرموزاً فى هدفه مادياً فى مقاصده كان العايب بالبعيدة المفسد للدين المشوش على الناس ما عرفوه او يريدون ان يعرفوه من رابطتهم بما وراء الطبيعة بل ربما قادهم الى ان يكونوا قطاع طرق وقانصى بشر ولصوص نواميس واعراض وفتاكين بالآمنين فى ديارهم كما حصل كل ما ذكرناه وصورناه فى جملة من مرتزقة العقائد ومردة المنتسبين للدين ومن نماذجهم الخواج والقرامطة والاسماعيلية والبابية والبهاية وغيرهم ممن لا نريد استعراضهم فى هذه العجالة .

اخى المسلم ما اكثر الزافة التى تنطق بكلمة الاسلام وتلهج باسم الله والقرآن ولكن واقعها فى ممارساتها الاجتماعية ومعاملاتها المعيشية ومسيراتها الحيوية وظاهرتها العمومية شاغرة من كل حسنة مليئة بكل سيئة طافحة بالشور والويلات اخس واتعس فى تلصصها وكذبها وادجلها وخيانتها من البيئات الغربية الملحده بكثير لان تلك بقاطع الحس تتمتع بالأمن وبالصحة ورخاء المعيشة وقله الاستبداد والاعتدال النسبى فى القضاء وتعيش عيشة عادة او على مقربة منها فى حال انها لا تعرف

شرعا ولا حاكم شرع ولا تزن الله الآ طرفاً خفيفاً خفياً ربّما تتوجه له فى بعض الاحيان ومن بعض الناس لا الجميع، أفترى العقيدة بالله تدعو الى التوحش والتحرّش والألحاد به يدعو الى السلامة والطمأنينة، وأترى العقيدة بالدين السماوى شعارها البطش واختل والغدر ونكرانها يستشعر التوازن والصراحة وأترى الاسلام والقرآن لا يعرفان غير الهرج والمرج ونفوذ بعض الى بعض من نفق الخديعة والحيلة والتزوير واعمال النفوذ حاشا وكلّا فان عليّا وعمّارا وابدان من قدامى المسلمين والشيخ المفيد والطوسى من الجيل الوسط والشهيد الاول والثانى والشيخ الانصارى من المتأخرين لم يكونوا خدّاعين غدارين بل كانوا فوق ما يتصور من حدود القدس والتقوى والورع والنزاهة والثقافة والاحسان لبنى الانسان ذاهلين كلّ الذهول عن الأنايات وعن جوالب الحياة الدارجة بين الأحياء فلم لم نترسم خطواتهم حتى نُعلو مقاماً ونكبراً سماً ونذلّ من صعوبات الحياة ونعود لا يطمع فينا المتربصون ولا يقرب منا الانتهازيون ولا تتلاعب بنا اطفال الزمان وتعبت بكرامتنا اذال البشرية وتفسد علينا حياتنا اعداء الانسانية كما نحن بالفعل مائة لكل سخيمة وهدفا لكل شتيمة يعبت بنا حتى الذباب ويرتع فبى حيثياتنا شرّ الدواب .

اخى المسلم ان الحقيقة ليست بفرضية لاتعرفها الا الازهان بالنقش والصياغة وليست هى من عوالم الألفاظ حتى يجلوها اللسن بحلاوة نطقه ولطافة لفظه وخياليّ تعابيره ولا هى من النظريات الفلسفية حتى يبيد سوق الادلة والكّر والفرّ فى المجادلة بل هى من الاعيان الملموسة تدركها حتى الحيوانات كما كان يدرك وحش الحرم وطير المسجد الحرام الأمن الجاهر لما تكرر على حسّه من عدم التعرض له

من كل احد فكان يواكب الناس ويماسهم كأنه احد الناس الآمنين فى موضع الأمن، الحقيقة هذا معناها فهى بنت العمل النزيه لا البزة واية كانت ولا اللسان وكيف كان فى قهاريته ولا السيف ومهما كان فى قاطعيته ومن هنا تدرج بجلاء ان هذه البزات التى تتراوح على جنبات الحياة الفاشلة وان هذه الألسنة التى تتفتق بمعسول الكلام بين مسجد وآخر ومحفل وثنان، والخيانات كما هى والتموجات طاغية، وان هذه السيوف التى تقطّ الرؤس باسم العدل، والجنايات تزيد ولا تنقص - كل هذا وذاك وذياتك - كذب وسراب لا يحكى عن حقيقة ولا وجود للحقيقة معه اذ لو كانت فى البين حقيقة لما فشلت الحياة ولما فشت الجنايات فحيث فشلت تلك وفشت هذه فأعلم ان السوق سوق عيارين شحاذين لا سوق واقعيات وصراحات وصدق وحقيقة .

انا لا اريد بكلامى هذا ان أبغض اليك ازياء الملائكة ولا وعظ الناطقين ولا سيوف العدالة بل لألفت نظرك الى انه ليس من طلع بزى الملائكة فهو ملك ولا كل من وعظ فقد صدق ولا كل سيف حشّ الاوداج باسم العدالة هو حق فأمعن النظر فى ما يصد رعن مدعى الملكوتية وطبّق عمل الناطق على ما نطق وتعرّف على العدالة حتى تعرف ان سيفها المعلق عليها سيف الحجاج وچنگيز او سيف علىّ وعمّار وهذه التشخيصات ليست بعسيرة على الملتفت ولا بطيئة الحصول على المتوجه، وان ميزان الصادق هو عمله ومعيار الكاذب ما يصد رعنه وهما من الامور الملموسة والشىء الملموس لا يحتاج فى دركه الى درس ومدرسة وكتاب واستاذ .

وكلّما لقيت دنيا المسلمين منذ يوم السقيفة والنبيّ بعد لم يدفن الى يومها هذا باسم الاسلام لا بلسان القدرة فأنما هو نتيجة للغفلات

التي لا يعذرون عليها وياليت هذه الغفلة لم تتجاوز المسافة بين لسان الناطق وسمع المخاطب وبزة المشعوز وحدقة الناظر وان كان ذلك مأسوفاً عليه ايضاً حيث تختلس الاسماع بالشيطنة والأبصار بالشعوزة قبل هذه الغفلات اطارت الرؤس عن رقابها والأيدى عن مناكبها والأرجل عن محالها وكثرت المعلولين وناقصى الخلقة فى احناء البشرية واطراف الحياة ونهبت الأموال التي كدّت العضلات فى تأمينها واطاحت المساكن وهدمت المواطن وغيّرت العقائد وسلكت بالناس دور بآلم تكن بالحسبان وفرقتها فرقا لا تعدّ ومزقتها فى ارض الله الواسعة بلاهوية ولا رغبة وعاثت وعبثت بما يحار لها اللب بعد تأمله فيها هكذا فعلت الغفلات بأهلها فى حال ان التفاتة واحدة تقف امام ذلك كله ومسكين القضاء والقدر حيث يحال بكلّ هذا عليه حتى كأن الله خلق الخلق ليجعله اداة يتداولها الدجالون ولعبة يهزء بها ويسخر منها اللاعبين هذا كلّه وراء انهياره بالبراكين تتفجر والصواعق تتحدّر والسيول تجترّف والاعاصير تلتهم والطواعين تهلك والأوبئة تفتك والمجاعات تبديد الى ما سوى ذلك ممّا هو بعيد عن مباشرة الانسان وتسببه ، ان الذى يعاين دربه قد يعثر ويعدّر بانشغال باله ولكن متى تكررت منه العثرات او استمرت كان ذلك منه عمى فى البصر والبصيرة معا فى حال انه ليس كذلك فى ظاهر القضية وواقعها ، ايهاً يا شرق الاسلام والمسلمين كيف يؤل بك المصير وكيف تكون عاقبتك وهل نرى لك يوماً ابلج وبالنا بالمسرات يبهج ام تركض بك السخافات الى موت شامل وانقطاع عن الدنيا كامل فتعود يبابا وسرابا بعد ماكنت حيناً من الدهر شيئاً مذكورا ، الى موعد آخر فى تتمة هذا البحث .

وليست أمّتك يا محمد بدعا فى الأمم والأقوام حين ارسلنا اليهم

رسولا فلقد ارسلنا من قبلك فى شيع الأولين جمع شيعة وهى الفرقة والطائفة من الناس ، تسلّ واصبر يا نبيّ الاسلام بأنك لست بدعاً فى الرسل فان من تقدمك من الأتوام والأمم لم يأتهم رسول ليعد بهم عن الرذيلة ويقربهم من الفضيلة الا كانوا به يستهزؤن ، وكما سلطنا كتب الأنبياء السابقة فى قلب كلّ من تلاها او تليت عليه وان جحد ها بلسانه كذ لك نسلك هذا القرآن فى قلوب المجرمين من قومك وان لم يظهرُوا الايمان به كغيرهم من المجرمين الذين يعقلون الحق بقلوبهم ويجدونه بظاهر سنتهم .

ولو اننا استجبنا لما يتحكّمه هؤلاء المردة على رسلنا ففتحنا عليهم بابا من السماء فظلّوا فيه يعرجون ويرون من قريب ويتحقق ما ابدعنا خلقته لما اعترفوا بحقيقة ما رأوا بأعينهم ولمسوه بأيد يهم ولقالوا انما سكرت ابصارنا وسجرنا من قبل هذا الرسول .

ولقد جعلنا فى السماء بروجاً وكواكب ومنظومات شمسية ومجرات لا ينهيا عدّ ولا احصاء وزيناها بالنجوم لكل ناظر وحفظناها من تدخل كلّ شيطان الا من استرق السمع منهم فانه يطرد بشهاب ثاقب يقذف به حتى لا يعود لمثله .

* (والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون: وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين: وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم: وارسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما انتم له بخازنين: وإنا لنحن نحيي ونميت ونحسب الوارثون: ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين: وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم) *

مدّ الأرض بسطحها وهى وان كانت كرية الشكل إلا ان جوهها لكبر حجمها تُرى مبسوطة مسطحة والقينا فيها رواسي هى الجبال لتمنعها من كثرة الميّدان وانبتنا فيها من كل شئ موزون مقدر على حسب مصلحة الكائنات المستفيدة فما كان لأكل الإنسان يؤكل وما كان لحيوانه يعلف وما كان لمرافقه الآخر من دواء وعطر وغيرها يستعمل فى موارد المذكورة وجعلنا لكم يا بنى آدم فى الأرض معاش من نبات وحيوان ومن لستم له برازقين وان انتسب لكم كحيوانكم الذى يرتع فى الأرض ولكم منافع وما من شئ فى السموات والأرض إلا عندنا منابعه واصوله ولكننا ننزله بقدر معلوم ولمصلحة مقتضية وارسلنا الرياح اى اجريناها لتلقح الأناث من ذكرانها ولتجمع السحاب المتقطع فتصيره مجموعة واحدة وحينذاك ينزل من السماء بأذن ربه فيسقيكم فيكون مادة حياة لشركم وزرعكم وحيوانكم وما انتم بخازنين لهذا الماء الوفير او جامعين له وانما خازنه وجامعه هو الله ونحن نعطي الحياة للأحياء ونسليها من الحي فيموت ونحن وارثوا هذا الكون على ابعاده ولقد علمنا من تقدم فى

الحياة من الأحياء ومن تأخر عنه ما كان عنه وما يكون قبل أن ننشأه فنحن محيطون بكم يا بنى آدم لا يشدّ منكم ومن احوالكم عنّا شيء وان ربك هو يحشر الجميع اليه ويكون حسابهم بين يديه ويجازى كل ذى عمل على ما عمل انه حكيه فى خلقته عليم بما يصد ر عن عباده .

* (ولقد خلقنا الأنسان من صلصال من حمأ مسنون

: والجان خلقناه من قبل من نار السموم : واذ قال

ربك للملائكة انى خالق بشراً من صلصال من حمأ

مسنون : فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا

له ساجدين : فسجد الملائكة كلّهم اجمعون الا

ابليس أبى ان يكون مع الساجدين : قال يا ابليس

مالك الا تكون مع الساجدين : قال لم اكن لأسجد

لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون : قال

فاخرج منها فانك رجيم : وان عليك اللعنة الى

يوم الدين) *

جعل الله بذرة وجود الانسان فى الأرض من طين يابس لـه صلصلة وصوت اذا قرع والحمأ هو الطين المتغير لطول مكثه والمسنون هو المفرغ على قالب وشكل مخصوصين والجان خلقناه من قبل خلقه الانسان من مادة حارة مشتعلة والغاية من خلقه الطرفين اسعادهما فى الحياة متى سارا على النظام المحدد لهما واذ قال ربك للملائكة قبل خلقه الانسان انى خالق بشرا من المادة التى اشعرنا عنها فاذا تم تخطيطه وتشكله واجريت فيه الروح فقعوا له ساجدين تقد يسا لى واحتراما له فلم يتخلف احد من الملائكة عن السجود الا ابليس ابى ان يسجد كما امره

ربّه فقال له يا ابليس ما الذى منعك عن امتثال الوظيفة التى قام بها
الملائكة شركاؤك فى التكليف قال لم اكن لأسجد لمخلوق اصل خلقتة من
الطين الذى هو ازهد ما يكون انما يسجد لما هو عظيم فى عنصره اصيل فى
اصله قيم فى بذرته فقال تعالى حين اذ تكبرت على امرى واعتددت
بنفسك امام مولاك الذى خلقك وبيده ناصيتك فاخرج من الجنة فانك
مرجوم مطرود عن رحمتى وعنايتى الى يوم القيامة .

* (قال ربى فأنظرنى الى يوم يبعثون : قال فأنتك من

المنظرين : الى يوم الوقت المعلوم : قال ربّ بما
اغويتنى لأزیننّ لهم فى الأرض ولأغوينهم اجمعين
: الآ عبادك منهم المخلصين : قال هذا صراط
على مستقيم : ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
الآ من اتبعك من الغاوين : وان جهنم لموعدهم
اجمعين : لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء
مقسم) *

قال الشيطان لربّه بعد أن حكم عليه بالطرد المؤبد رب اريد منك
ان تنسى فى حياتى الى يوم القيامة قال لك ذلك قال ربّ بما اغويتنى
اى صار تكليفك لى بالسجود لآدم سبب غواية لى لازيننّ للناس السيئات
حتى يتلوثوا بها جميعا الآ من ملك رشده وامسك عليه عقله فانهم
معصومون منى فقال تعالى ما ذكرته من ان الرشيد لا تستطيع ان تسفّهه
والجافى لشعوره هو طعمتك مطلب حق وانما كلفتهم لأزیننّ بهم هذا
الميزان اذاً فهذا صراط مستقيم على اى عندى وملاك تام العيار به اثيب
وبه أعاقب ان عبادى الذين ادركوا جهة عبادتهم لى ليس لك عليهم

سلطان الآ من اتبعك من الغاوين وهذا الاستثناء منقطع بتقدير ان عبادى وغيرهم وان جهنم لموعدهم الغاوين اجمعين تلك جهنم التى لها سبعة ابواب باعتبار تعدد طبقاتها ولكل طبقة باب من الغاوين جزء مقسوم باعتبار اختلافهم فى درجات الغواية ومحكوميتهم بدرجات العذاب .

* (ان المتقين فى جنّات وعيون : ادخلوها يسّلام آمنين : ونزعنا ما فى صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين : لا يمسهّم فيها نصب وما هم منها بمخرجين : نبىّ عبادى انى انا الغفور الرحيم : وأنّ عذابى هو العذاب الأليم) *

ويحكم المقابلة بين الغاوى الضالّ والمتقى لله فقد حكمنا للمتقين بأنهم فى جنّات يانعة ورياض مزهّرة وانهار جارّية ومتعلّقات العين والأنف يسّخاطبونهم ملائكة الله بأوقر خطاب ادخلوا الجنة سالمين فى ابدانكم وحيثياتكم آمنين من كل سوء يراد بغيركم ولأجل تحقّق اسعادهم نزعنا ما فى صدورهم من غلّ كان فيها حينما كانوا متعاشرين فى الدنيا وكانوا قد يقودهم ذلك الى أن لا يرضى بعض منهم على بعض بما لا يوجب معصية ولا فسقا ومثل هذه الحالة قد توجد فيما بين المتقين لاختلاف الانظار والسلائق ، اخوانا على سرر متقابلين وجه البعض لوجه الآخر لا يمسهّم فى الحياة الأخرى ما كان يمسهّم فى الحياة الدنيا من تعب ونصب واقلاق واضطراب وما هم بخارجين من الجنة بل حياتهم فيها حياة ابدية يا محمّد نبىّ عبادى الذين اسرفوا فى حق انفسهم ان الله يقبل التوبة من عباده اذا قاموا بها على الشرط ويلطف بهم اذا خطبوا

ودّه ويعطف عليهم اذا تقاضوه عطفه وان عذابه للعصاة الجافين له
عذاب اليم .

* (ونبئهم عن ضيف ابراهيم : اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما قال انا منكم وجلون : قالوا لا توجل انا
نبشرك بغلام عليم : قال ابشروني على ان مسني
الكبر فبم تبشرون : قالوا بشرناك بالحق فلا تكن
من القانطين : قال ومن يقنط من رحمة ربه الا
الضالون : قال فما خطبكم ايها المرسلون : قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين : الا آل لوط انا
لمنجوهم اجمعين : الا امرته قد رنا انها لمن
الغابرين) *

ونبأ يا نبي الاسلام امتك عن ضيف ابراهيم والضيف يطلق على
الواحد والجمع والمراد به هنا الجمع بقريظة قوله اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما وهو شعار انهم ضيوف سلم لا انهم اصحاب سوء لأن الداخل
بسوء لا يسلم وفي الكلام حذف يدل عليه ما اقتضه الله عن هذه القضية
في غير هذه السورة فقد يره فرحب بهم ابراهيم وعجل لهم بطعام فلما
قدمه اليهم وجد أيد يهيم لا تصل اليه فارتاب لذلك وقال انا منكم وجلون
لأن امتناعكم من اكل طعامنا يُعَلّل بعدة عوامل توجب الاضطراب فقالوا
لا توجل انا جنناك اولا لنبشرك بأن الله سوف يؤتيك غلاما يكون من
العلماء الصالحاء فيما يأتي عليه من الزمان قال أتبشرونني مع كبر سنّي
وفي زمن شيخوختي بما هو بعيد في ظرفهما الطبيعي قالوا نبشرك
عن الله القادر على كل شيء فلا تكن من القانطين أمام قدرته تعالى

قال ومن يقنط من رحمة ربه الآ الضالون عن معرفته الزائغون عن طريقته ، وما الداعي الذي أهاب بكم أن تأتوا الى هذه الديار أهو داعي البشارة او شيء آخر قالوا أنا أرسلنا الى اهلك قوم مجرمين قد اعجزوا رسولهم نصحا وارشادا الآ لوطا ومن آمن به فأنا لمنجّوهم اجمعين واما امرته فانها وان كانت في قرارة بيته الآ انا قد رناها من الهالكين لأنّها تعين قومها عليه .

* (فلما جاء آل لوط المرسلون : قال انكم قوم منكرون :

قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون : واتيناك

بالحق وانا لصادقون : فاسر بأهلك بقطع من

الليل واتبع أدم بارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا

حيث تؤمرون : وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر

هؤلاء مقطوع مصبحين : وجاء اهل المدينة

يستبشرون : قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون :

واتقوا الله ولا تخزون : قالوا او لم ننهك عن

العالمين : قال هؤلاء بناتى ان كنتم فاعليهن :

لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) *

ولما انفصل الرسل من ابراهيم وجاءوا آل لوط وكانوا على هيئته

وجمال ولم تكن له سابق معرفة بهم قال انكم قوم منكرون نخاف منكم كما

نخاف عليكم قالوا بل نحن رسل ربك جئناك لنخبرك بأن الله حقق نزول

العذاب على قومك اولئك الذين كانوا يمترون فيه ويزيفونك عندما كنت

تتهدد بهم به وقد اتيناك بالأمر المحقق وانا لصادقون فيما نقول فتهيأ

لتسرى بأهلك فى هزيع من الليل وكن انت خلف القافلة ولا يلتفت منكم

احد الى ورائه بل جدّوا وامضوا الى حيث تأمركم به لتقيموا هناك
وتبعدوا عن منطقة العذاب فإن دابر هؤلاء القوم مقطوع بحيث لا يبقى
منهم ديار متى أصبحوا من هذه الليلة وأما ما كان من امر قوم لوط عندما
سمعوا ان هناك اضيافا نزلوا عنده فانهم جاء يبشر بعضهم بعضا بأنهم
سينالون من الأضياف بغيتهم فجاءوا يهرعون فقال لهم لوط ان هؤلاء
ضيوفى قد تحرّموا بدمامى فلا تفضحونى فيهم وخافوا الله من هذا
الفعل الشنيع ولا تدخلوا على الخزى والعار بما انتم قادمون عليه فقال
قومه ألم نسبقك بأننا لانطيعك فيما تنهانا عنه فكم نهيتنا عن التعرض
لمثل هذا فلم نجيبك، وهدفهم من العالمين الناس، فقال لهم هؤلاء
بناتى تزوجوا بهنّ ان كانت فيكم حاجة جنسية فأبوا ذلك، لعمرك يا
نبيّ الاسلام انّ القوم بقوا مترددين فى غيهم عمياً فى بصائرهم لم تنههم
تلك الاقوال عن خطّهم ولا يتراجعون عن فظيخ عملهم .

* (فأخذتهم الصيحة مشرقين : فجعلنا عاليها سافلها
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل : ان في ذلك
لآيات للمتوسمين : وانها ليسيل مقيم : ان في
ذلك لآيات للمؤمنين : وان كان اصحاب الأيكة
لظالمين : فانقمنا منهم وانها لبأمام مبين : ولقد
كذب اصحاب الحجر المرسلين : وآتيناهم آياتنا
فكانوا عنها معرضين : وكانوا ينحتون من الجبال
بيوتا آمنين : فأخذتهم الصيحة مصبحين : فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون) *

ونجزّ الرسل ما أمروا به في قوم لوط فاجتاحتهم صيحات مذهلة
مد هشة قطع نياط قلوبهم عند شروق الشمس من الصباح وخرّبت
ديارهم بهزات عنيفة واطتها الى الأرض وامطر الله عليهم حجارة
تساقط عليهم من السماء من طين يابس متحجر ان فيما فعلنا بهم من
هذا الانتقام المذهل لآيات للمتوسمين اى الناظرين الى آثارهم ومواقع
اخبارهم نظر معتبر متعرف على الشئ ليقف على كنهه وحقيقته ، وان
ديار هؤلاء الاقوام واقعة في مكان مطروق للناس وبقيام آثارها يراها
كل عابر ومستطرق فهي عبرة للمعتبر ، وعلى مثل ما كان عليه قوم لوط من
العتوّ والطغيان كان اصحاب الأيكة وهم قسم من قوم شعيب كانوا
يسكنون منطقة فيها ايكة فسمّى المحلّ بالأيكة فانقمنا منهم كما انتقمنا
من قوم لوط وكلتا المنطقتين في محلّ يؤمه الناس للتفرج عليه ، ولقد كذب
اصحاب الحجر وهو بلد ثمود قوم صالح صالحا ومن قبله من الرسل فان
دعوة الانبياء واحدة وآتيناهم آياتنا من الناقة وغيرها فكانوا عنها

معرضين وكانوا من عظيم قوة ابدانهم ينتحون من الجبال بيوتا آمينين
فيها مطمئين اليها فلما تجبروا واستكبروا على رسل الله وآياته اخذتهم
الصيحة صباحا فما اغنت عنهم قوتهم وما كانوا يكسبون من مال وأولاد .

* (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما الا بالحقّ

وان الساعة لا تية فاصفح الصفح الجميل : ان ربك

هو الخلاق العليم : ولقد آتيناك سبعا من

المثاني والقرآن العظيم : لا تمدن عينيك الى ما

متّعنا به ازواجنا منهم ولا تحزن عليهم واخفض

جناحك للمؤمنين : وقل انى انا النذير المبين :

كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن

عضين) *

يقول سبحانه ان خلقنا للسموات والأرض وما بينهما من عوالم لم
يكن امرا اعتباطيا بل كان عن مصالح مهمّة لو حقّقها البشر بسيرته
العملية لكان للخلق رونق عظيم اخاذ ولكنه بأنحرافاته شوّه منظّمه
العوالم وان الساعة لا تية لمحاسبته محاسبه دقيقه فاصفح الصفح الجميل
عن المنحرفين عنا وعنك فأننا لهم بالمرصاد متى اغدّوا فى غيهم ساد رين
ان ربك هو الذى خلقهم وهو يعلم جميع ما تكذّب قلوبهم وتأتى به
جوارحهم ، ولقد انزلنا عليك سبعا من المثاني وهى سورة الفاتحه وآيها
سبع آيات وتثنى فى كل صلاة كما آتيناك القرآن العظيم بمعانيه ودقائقه
المنطوية فيه وعطف القرآن على السبع المثاني من عطف العام على
الخاص لان سورة الفاتحه من جملته ، لا تمدن عينيك مستكثرا ومستغربا
مما آتينا هؤلاء الكفرة من متاع مكرّر متنوع وانتصب ازواجنا على الحال به اى

حال كون ما متّعنا به مزدوجاً متكرراً في كثرته ولا تأسف على كفرهم
ومبايعة غداً بالخسران فتؤذي نفسك من اجلهم وتعطف على المؤمنين
بك فانهم يواجهون جهداً من مناويك وقل للعالم اجمع انا النذير من
عذاب يوم عظيم وكما خصصناك بالسبع المثاني والقرآن العظيم فقد
انزلنا كتبنا من السماء على ما تقدم جيلك من يهود ونصارى اولئك الذين
اقتسموا كتابهم فما وافق هواهم اخذوا به وما ثقل على اذواقهم نبذوه
وكذلك اقتسموا القرآن فما كان منه موافق لهم اعترفوا به وما خالفهم
انكروه .

* (فو ربك لنسئلنهم اجمعين : عما كانوا يعملون :

فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين : انا كفيناك

المستهزئين : الذين يجعلون مع الله الاهـ

آخر فسوف يعلمون : ولقد نعلم انك يضيق صدرك

بما يقولون : فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين :

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) *

أقسم تعالى لنبيه انه ليسئل المكلفين العصاة والمطيعين عما كانوا
يعملون في دار التكليف وان كان سؤاله للعصاة هو المركز من دائره
الحساب لان المطيع بفرض اطاعته كان قد ادى وظيفته التي اريدت منه
بخلاف العاصي فاصدع بما تؤمر من ابلاغ الرساله بعد التخفي بها فقد
ان ظهورها ولا تهتم لمعارضه المشركين لك وتحديهم اياك فاننا قد
كفيناك اولئك الذين نصبوا انفسهم للاستهزاء بك وقيل وكانوا خمسـه نفر
من قريش هم العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وابو زمعه والأسود
بن عبد يغوث والحارث بن قيس وقيل كانوا ستة وسادسهم هو الحارث بن

الطلائع قضى الله عليهم في فترة من الزمن فأريح النبيّ منهم اولئك الذين كانوا يجعلون مع الله الاها آخر فيمليون للصنم ويتركون الخالق فسوف يعلمون مغبة اعمالهم في الآخرة فضلا عما لقوه في الدنيا ، ونحن نعلم ان ما كانوا يهزؤون به منك يحزّ في نفسك فاصبر وسبّح بحمد ربك واسجد له تكن في راحة ممّا يشق عليك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين بفرغك من التكليف وذلك هو نهاية حياتك في الدنيا .

وهنا يأتي البحث عن موضوع - الصبر وسعة الصدر - الصبر هو مقاومة الحوادث والمصائب والمصاعب بالتسلط عليها تحملا وهضما وهو من شيم الشجعان وابطال البشرية وهؤلاء بالنسبة الى غيرهم قلائل ولو كان الأكثرون بهذه الروح لهانت مصيبات العالم ولقل وجودها ايضا والصابرون في الدنيا هم أباتها واسخياؤها واتقياؤها وصلحاؤها وشريعة السماء طالما اكدت على هذا الخلق العلي واصرت عليه بالنسبة الى الأنبياء وكل من خطا خطوهم واتخذ طريقتهم و في طليعتهم نبي الاسلام (ص) فقد جاءت في الكتاب العزيز توصيات عديدة ومهمة في الزامه (ص) بالصبر وتحليته بسعة الصدر - منها -

(١) قوله (النحل ١٢٧) واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم

ولا تك في ضيق ممّا يمكرون .

(٢) وقوله (الحجر ٩٧) ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون .

(٣) وقوله (هود ١١٥) واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين ،

و(٤٩ منها) فاصبر ان العاقبة للمتقين .

(٤) وقوله (يونس ١٠٩) واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين .

(٥) وقوله (الانعام ٣٤) ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما

كذبوا وأوذوا .

(٦) وقوله (المائدة ٤١) يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون

• فى الكفر

(٧) وقوله (الكهف ٢٨) واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بللغداة

• والعشى يريدون وجهه

(٨) وقوله (الانبيا ٤١) ولقد استهزأ برسلك من قبلك فحاق بالذين

• سخروا منهم ماكانوا به يستهزؤون

(٩) وقوله (النمل ٧٠) ولا تحزن عليهم ولا تكن فى ضيق مما يمكرون

(١٠) وقوله (الروم ٦٠) فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين

• لا يوقنون

• (١١) وقوله (ص ١٧) اصبر على ما يقولون

• (١٢) وقوله (المؤمن ٧٧) فاصبر ان وعد الله حق

• (١٣) وقوله (الاحقاف ٣٥) فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل

• (١٤) وقوله (نون والقلم ٤٨) فاصبر لحكم ربك

• (١٥) وقوله (المزمل ١٠) واصبر على ما يقولون

• (١٦) وقوله (الدهر ٢٤) فاصبر لحكم ربك

(١٧) وقوله (الحج ٤٢) وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد

• وثمود

(١٨) وقوله (الرعد ٣٢) ولقد استهزأ برسلك من قبلك، الى غير

• ذلك

* (سورة النحل) *

مكية فى اكثرها واختلفوا فى مدنيها وآيها ١٢٨ آية وسميت
 بالنحل لقوله تعالى فيها اوحى ربك الى النحل .
 * (بسم الله الرحمن الرحيم : اتى امر الله فلا
 تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون : ينزل
 الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده
 أن انذروا أنه لا اله الا انا فاتقون) . *

اتى امر الله بمعنى قريب عذابه الذى لا تزالون تطلبونه من النبى
 والمراد هنا دحر الشرك من جزيرة العرب وقمع مناوى الاسلام من
 مشركين ويهود واذا كان امر الله قريبا فلا معنى لاستعجاله تنزه الله
 عما يشركون به ينزل الملائكة بالروح من امره اى بالوحى بداعى امره
 الصاد رعه اليهم ليلقوه على من يشاء من عباده حيث يختاره للرسالة
 أن انذروا أيها الأنبياء اقوامكم أنه لا اله الا انا فاتقون أيها الناس
 ولا تشركوا بى ولا تعصوا لى امرا .

* (خلق السموات والأرض بالحقّ تعالى عمّا يشركون :خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين :والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون :ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون :وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤف رحيم) *

ذلك الله الذى يجب ان تتقوه وتوحدّوه هو خالق السموات والأرض بدواعى لها اهميتها الواقعية يتنزّه بعلوّ مقامه عمّا تشركون به من اصنام واوثان هذا الانسان الذى يخاصم فى وجود ربّه و يتجاهر بالعداء له ولدعاته انما خلقه ربّه من نطفة قدرة لا اهمية لها و انما اهمية الانسان بفوائده المفقودة فى المشركين بخسائس الامور، و الانعام خلقها لتكون اصوافها و اوبارها و اشعارها دفئا لكم و منافع تستدرونّها فى معاشكم و لكم فيها ابهة و اعتبار و جمال و زينة حين تأوى هذه الانعام الى معاطنّها ملأته مرتاحته و حين تسرحون بها و تنتشر بين يديكم فيقول القائل هذه سارحة فلان و تلك ابل فلان وهلمّ جرّاً، و تحمل اثقالكم و امتعتكم الى بلد لم تكونوا بالغيه على ارجلكم الا بشق الأنفس وهى تطوى بكم المراحل الطوال مرتاحين من عبثكم مأنوسين من وضعكم ان ربكم بكم رحيم بأقوياءكم و ضعفاءكم فلا تقابلوا نعمه بالكفران و رحمته بالعقوق و العصيان .

* (و الخيل و البغال و الحمير لتركبوها و زينة
 و يخلق ما لا تعلمون : و على الله قصد السبيل
 و منها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين : هو
 الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه
 شجر فيه تسيمون : ينبت لكم به الزرع و الزيتون
 و النخيل و الأعناب و من كل الثمرات ان فى
 ذلك لآية لقوم يتفكرون : و سخّر لكم الليل
 و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرات
 بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون : و ما ذرأ
 لكم فى الأرض مختلفا ألوانه ان فى ذلك لآية
 لقوم يذكرون) *

و خلق لكم الخيل و البغال و الحمير لتأمين منافعكم و تحصيل
 حاجاتكم كركوبها لقطع المسافات و التزين بها فى البيوت و الفلوات
 و يخلق لكم فيما يأتى عليكم من الأزمنة و الأجيال ما لا تعلمون اسمه
 فعلاً فضلاً عن حقيقته الكامنة فى الطبائع وهو اشعار قوى بهـذـه
 المعدّات المستحدثة التى ما كان يحلم بها الأسبقون ، و على الله بيان
 القاصد من السبل المؤدى الى النجاة و من السبل معوج و جائر و لو اراد
 هدايتكم بالقسر و الألباء لفعل و لكنه مناف لحكمة التكليف و اصل
 الخلقة و الله هو الذى انزل من السماء ماءً ثجاجاً لكم منه شراب فى
 غد ير او عين او بئر او نهر و منه شجر فيه تسيمون دوّابكم من دون ان
 تتكلفوا بها، ينبت لكم بهذا المطر الزرع بجميع انواعه و الزيتون و النخيل
 و الاعناب و من كل الثمرات بلا خصوصية للمذكور منها ان فى تفحص

ذلك لآية على وجود الخالق و قدرته و حكمته و عظيم سلطته لقوم يتفكرون فيما يأكلون و يلبسون و يشربون و يسيمون من كافة هذه الاشياء و غيرها ، و سخر لأجلكم الليل ليكون لكم سكنا و النهار ليكون معاشا و الشمس و القمر و النجوم لتكون لكم ضياء و هداية و مواقيت و سخر لكم ما خلق فى الأرض مما اختلف لونه و تفاوتت خاصيته و تعددت فوائده ان فى كل ما مر ذكره وما لم يذكر لآية لقوم يذكرون اى يرجعون الى ذاكرتهم و دعّ عليهم و رشد هم .

* (وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا و تستخرجوا منه حلية تلبسونها و ترى الفلك مواخر فيه و لتبتغوا من فضله و لعلكم تشكرون : و القى فى الارض رواسى ان تميد بكم و انهارا و سبلا لعلكم تهتدون : و علامات و بالنجم هم يهتدون : أمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) *

و الله هو الذى سخر البحر اى ابدعه و اوجده لان البحر من بعض الكائنات لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك و تستخرجوا منه حلية هى اللؤلؤ و المرجان و غيرها تلبسونها و من مهام البحر و عوائده لبنى آدم فى كافة الأعصار سير السفن العظيمة فيه شراعية كانت ام بخارية لتقل الجماهير من الناس و تحمل تجاراتهم من ابعد نقطة فى الارض الى مقابلها فى البعد وهو الله الذى ثبت اركان الأرض بأرساء الجبال فيها حتى لا تميد بكم و شق لكم انهارا لشربكم و زرعكم و ضرعكم و مد لكم

فى الأرض سبلا لتصل بين بلدانكم وجعل الجبال والودية وغيرها من الشواخص والامارات علائم على النواحي التى تقصدونها حتى لا تضلّوا فى هذه الأرض الواسعة كما جعل النجوم لكم علامات لاوقاتكم فى الليل ولمجاريمكم ايضا أفمن يخلق امثال هذه الكائنات العظام كمن لا يخلق افلا ترجعون الى مشاعركم ايها الناس وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لغزارتها وكثرتها ان الله غفور لمن تاب رحيم لمن طاع الحق واطاع .

* (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون : الذين

يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم

يخلقون : اموات غير احياء وما يشعرون ايّان

يبعثون : الالهكم الاله واحد فالذين لا يؤمنون

بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون : لاجرم

ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب

المستكبرين) *

هو الله الذى يعلم سرّكم وعلانيتكم لسعة احاطته بكائناته واما ما يتخذه المشركون فى قبال الله فانه لعجزه حتى عن ادارة نفسه ليس بمقدوره ان يخلق شيئا بل هو فى نفسه مخلوق له سبحانه والذين يتخذونه ربّا فى الحقيقة هم اموات غير احياء لا يعرفون ما هو البعث ومتى يبعثون الالهكم الخالق لكم ولعموم الكائنات الاله واحد لاكثره فيه فالذين يكذبون بالبعث والنشور قلوبهم منكرة لأصل وجود الخالق وهم مستكبرون على دعوة الانبياء لما استقر فى نفوسهم انهم لاخالق لهم وكما ان الله يعلم ما تكفون من سرّ لا يحب المستكبرين على الحق .

* (و اذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا اساطير
الأولين : ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة
و من اوزار الذين يضلّونهم بغير علم الا ساء
ما يزرّون : قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله
بنيانهم من القواعد فخرّ عليهم السقف من
فوقهم و اتاهم العذاب من حيث لا يشعرون : ثم
يوم القيامة يخزيهم و يقول أين شركائى الذين
كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان
الخزى اليوم و السوء على الكافرين : الذين
تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فألقوا السلم
ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم
تعملون : فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين) *

و اذا قيل للمشركين ما هذا الذى يدعى محمد نزوله عليه قالوا
اساطير الأولين اى اقاويص مزعومة مكذوبة ليحملوا بسبب غوايتهم فى
انفسهم و اغوائهم للناس ذنوبهم بأسرها يوم القيامة كما يحملون من
اوزار الذين يغوونهم و يضلّونهم بغير علم من هؤلاء البسطاء الذين
قعوا تحت تأثير مرموزين متحيزين للأساء ما يزرّ اولئك المرموزون
المتحيزون فانهم اهلكوا انفسهم و الأعيار معهم بدون ما يؤمن لهم
سعادة او يحصل لهم فائدة ، وقد دبر قبل هؤلاء المشركين من كان
قبلهم لتشتيت كلمة الدين و تكذيب الرسل و ابطال الدعوة فردّ الله
كيدهم فى نحورهم و هدم بنيانهم من قواعد ه فانهارت سقوفه على

رؤسهم فأتلفتهم كما تلفت هي و اتاهم هذا العذاب من حيث لا يشعرون لانهم لا يعتقدون بالغيب و تأثيراته فباتوا آمنين من هذه الناحية ، ما جرى عليهم في الدنيا من تعذيب و تنكيل بحسابه و يوم القيامة يخزيهم الله و يقول لهم اين شركائى الذين كنتم تنازعون الناس فيهم فتكونون انتم فى شق و المؤمنون فى شق آخر فنهنا لاجواب نعم اجاب عنهم الذين اوتوا العلم من ملائكة و بشر فقالوا ان الخزي اليوم و السوء على الكافرين الذين عند ما تتوفاهم الملائكة تتوفاهم ظالمين لانفسهم و هناك يستسلمون لبارئهم ولا يستطيعون التمرد عليه نعم يتصلون من التبعات التى وجهت اليهم ويقولون ما كنا نعمل من سوء ، لا تتصلوا ايها المساكين ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا ابواب جهنم كلا و ما اعد له خالدين فيها و لبئس مثوى المتكبرين على الحق المعرضين عنه الجافين له .

* (وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة و لدار الآخرة خير و لنعم دار المتقين : جنّات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤون : كذلك يجزي الله المتقين : الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون : هل ينظرون الاّ أن تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله و لكن كانوا انفسهم يظلمون : فأصابهم سيئات ما عملوا و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) *

و بحكم المقابلة للمتكبرين عن قبول الحق يقال للذين اتقوا الله يعنى خافوا ضمائرهم فخافوا الله بوحى منها ماذا انزل ربكم على هذا النبىّ أهو اساطير الأولين كما قال الملاحدة ام هو الحق قالوا خيرا انزل ربنا وهل هناك خير من ان يكون الإنسان حسن السمعة فى هذه الدنيا و عقباه من احسن العواقب تحتويه جنّات سرمدية البقاء انهارها مطرودة و نعمتها غير بائدة ، اولئك هم الذين تتوفاهم الملائكة طيبين لا اخباثا منكودين يسلمون عليهم بالتّحيات و يدعونهم الى ما مهّد لهم من جنّات ، هل ينظرون ، هذا سياق عام لكافة المكلفين فى اواخر اعمارهم - الاّ ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم او يأتي امر ربك وهو الفناء العام و كل الاجيال هذا شأنها و ما ظلم الله من حكم عليه بالعذاب انما كان هو الظالم لنفسه و كلّمّا يصيبه من الم و عذاب فهو بسبب ما عمل

ولزمته آثار ما كان به يستهزء فان لازم السيئة العقوبة ولازم الاستهزاء
بغير حق استهزاء بحق .

* (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من
دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم
فهل على الرسل إلا البلاغ المبين : ولقد بعثنا
في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت
عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين : ان تحرص على هداهم
فان الله لا يهدي من يضلّ و ما لهم من ناصرين) *

وكان من منطق المشركين عندما يُلامون على شركهم وامتيازهم عن
الموحدين ان الله اذا كان كما يقول رسله و تنطق عنه كتبه قادراً على
كل شيء و يريد تركيز التوحيد فيما بين الناس فما باله لم يمنعنا بالقسر
و الألجاء عن الشرك به و المخالفة له و هكذا لم يمنع آباءنا و اسلافنا
عن ذلك ولو كان كما يقال عنه لما حرمنا باختيارنا و حللنا ما نريد
تحريمه و تحليله من دون ان نأخذه عنه توسط كتبه و رسله و بمثل هذا
نطق من قبلهم عندما ليموا و فندوا لكنهم اشتبهوا اشتباهاً واسعاً فان
عالم التكليف ينافي عالم القسر و التكوين و ما الرسول إلا مبلغ عن الله
ما يأمر به الله و ما ينهى عنه و ما يعظ به و يرشد اليه ، و نحن من أول
نشوء البشرية على وجه هذه الكرة لم نزل نبعث في كل أمة و الى كل قوم
رسولا منهم يدعوهم الى عبادة الله و اجتناب الطغيان و التمرد فمنهم

من أثرت فيه الموعظة و اقنعتة النصيحة و منهم من زاد ه البيان طغيانا و عتوا و عصيانا فسيروا ايها العقلاء في الأرض التي كان يسكنها هؤلاء فانظروا كيف كان عاقبتهم ديارهم مهدومة و عروش عظمتهم ساقطة لا طئة و لا تحرص يا نبي الاسلام على هداهم فأن الهداية لا تحلّ القلوب بالقسر ولا الصلاح يتبنى الأفتدة بالقوة و الله لا يهدي من يتقاضى الضلالة لنفسه و يستوحى الحيرة من شكوكه و ليس لهؤلاء غداً من ناصر ينصرهم على الله او ينتشلهم من عذاب واقع .

* (و اقسما بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من

يموت بلى و عدأ عليه حقاً و لكن اكثر الناس

لا يعلمون : ليبين لهم الذي يختلفون فيه

و ليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين : انما

قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون) *

و اقسما اي الملاحظة بكل ما يعرفونه من قسم انه لا بعث ولا نشور و انما هو تمويه ممن يقول به ، بلى هناك بعث و نشور و حساب و ثواب و عقاب و عدأ على الله حقاً لا ريب فيه و لكن اكثر الناس لا يعلمون الحكمة في البعث و لذلك ينكرونه طرداً لقاعدة ان المجهول لا تحقق له ولو كان له تحقق لعلم و هذا من اعظم الأغلاط بين الناس و واحد من دواعي البعث و النشور ان يريهم الحقائق التي كانوا بزعمهم يجهلون بها شاخصة قائمة و من جملة ذلك البعث نفسه و ليعلم الذين كفروا اي يحصل لهم العلم يومذاك انهم كانوا في دار الدنيا كاذبين في نفى البعث و النشور ، وما البعث علينا بأهم من اصل الخلقة فأننا في تحقق هذا الأصل اذا اردناه قلنا له كن ولا يحتاج الى مؤنة اكثر من ذلك

وعند هذه الأرادة يكون بلا تمهل .

* (و الذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا
 لنبوئتهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة اكبر لو
 كانوا يعلمون : الذين صبروا و على ربهم
 يتوكلون : و ما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى
 اليهم فسللوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون :
 بالبينات و الزبر و انزلنا اليك الذكر لتبين
 للناس ما نزل اليهم و لعلهم يتفكرون) *

الذين آمنوا بالله يارسول الله و ضويقوا على عقائد هم فقروا بها
 و هاجروا اما الى الحبشة او المدينة من بعد ما ظلمهم عتاة الناس
 بلا داع يتعقل لنحققن لهم فى الدنيا مباءة تؤويهم و يرضون بها و اما
 اجرهم فى الآخرة فهو اكبر مما رأوه فى الدنيا من عزة و كرامة اولئك
 الذين صبروا على ما أودوا فى جنب الله و وكلوا امورهم الى الله ، كثيرا
 ما يقول المشركون و المنافقون لو كان ما يدعيه محمد حقاً و انه رسول من
 الله و ان الله على كل شىء قدير لما عانى هو و اصحابه من مشاكل
 الحياة ما عانوا فأجبهم يا محمد ما انا الا كعيسى و موسى و ابراهيم و
 نوح و نظرائهم و كما ان هؤلاء كانوا رجال وحي و رسالة تبليغ فقط
 فانا مثلهم رجل وحي و رسالة اليكم لأنتقل بكم من الجهل الى الفضل
 و من الرذيلة الى الفضيلة فسللوا اهل الكتاب من يهود و نصارى عمّا
 اقول لكم ان كنتم لاتعلمون ذلك ، ارسلنا من سبقك بالبينات و الزبر
 و انزلنا اليك القرآن لتبين للناس ما يريد الله لهم و لعلهم يتفكرون
 فى براهين الله و حججه و ما يسوقه من قضايا فى الأدب الرفيع و الخلق

الانسانى العالى و فى العقيدة و الدين .

* (أفامن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم

الأرض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون

او يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين : او

يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم : اولم

يروا الى ما خلق الله من شىء يتفيثوا ظلاله عن

اليمين و الشمال سجدا لله وهم داخرون : والله

يسجد ما فى السموات و ما فى الأرض من دابة

و الملائكة وهم لا يستكبرون : يخافون ربهم من

فوقهم و يفعلون ما يؤمرون) *

أبان سبحانه جهات الغفلة فى المكلفين العصاة الذين يبارزون
الله و دعائه فقال أفامن الذين يدبرون السوء و ايصاله الى الأعزاء
عند الله أن يخسف بهم الأرض فيحطمهم تحطيمًا لا تدارك معه او
يأتيهم العذاب من حيث لم يحسبوا له حسابا او يأخذهم وهم فى
مآربهم و مقاصد هم آمنون من كل ناحية او يأخذهم بعد ما يوقع بأطرافهم
و اكنافهم ما يتخوفون معه الاستئصال ومع كل هذه الجهات المعقولة
التي غفل عنها العصاة المستحقون لها فان الله لرؤف بالجميع لا يبادر
المعصية بالجزاء و اما الطاعة فهي مرصودة منظورة بعينه التي لا تنام
رحيم لا يبخل برحمته على من تقاضى ذلك منه او لم يتقاض ، اولم يراهم
البصائر الى ما خلق الله من شىء و من هنا تفيد التعميم ولم يرد بالشئ
امر معهود بل اى شىء كان يتفياً ظلاله اى يتمايل من جانب الـ
جانب حسب جري نور الشمس من جانب الى جانب فتارة عن يمين

الشخص وفى وقت آخر يكون عن شماله سجداً بصيغة الجمع حال من شىء لان المراد به الجمع فان كل شىء باستثناء المجردات له ظل يكسره لله و سجدوا تكوينى معنى اى ان الاشياء بلسان خلقها تدل على انها خاضعة لخالقها ساجدة له وهو مهيم عليها و لله يسجد ما فى السموات و ما فى الأرض من دابة كسجود تلك الأشياء اما الملائكة فمن جملة المكلفين لها عبادة و سجد و ركوع و هم لا يستكبرون عن الخضوع لمولاهم و يخافونه و يعتقدون انه قاهر فوقهم مسلط عليهم و على كافة الكائنات و يفعلون ما يأمرهم الله به ولا يعصون له أمراً .

* (و قال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله

واحد فأياى فارهبون : وله ما فى السموات

و الأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون :

و ما يكمن من نعمه فمن الله ثم اذا مسكم الضر

فأليه تجزؤون : ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرق

منكم بر ربهم يشركون : ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا

فسوف تعلمون) *

ذكر الأثنين من الآلهة فى مقام النهى عن اتخاذها من باب

المثال و المراد النهى عن الشرك بشتى صورته و اشكاله لان واجب

الوجود لا يجوز ان يكون الا واحداً فارهبوا ذلك الواحد و خافوه فأن

له جميع ما فى السموات و ما فى الارض ولا يجب الدين ولا يثبت و يدوم

الا له و حده - و الوصوب هو الوجوب و الثبوت و الدوام - أفغير واجب

الوجود تخافون و ليس ما سواه اهلاً لئن يخاف منه و كل ما تتمتعون به

من نعمه فمن الله المنعم ان لا تمنع سواه وهو الذى اذا مسكم الضر

توجهتم اليه و رفعت اصواتكم مستغيثين به فاذا انكشف الضرّ عنكم
و زال الخوف منكم اذا فريق منكم يعودون الى ما كانوا عليه من الشرك و
العصيان و التمرد و الطغيان يفعلون ذلك ليبرزوا كوامنهم و مافيها من
خبث و يجحدوا ما آتيناهم من نعمة فليتمتع هو لاء بما زوروه لانفسهم
من حياة حاسبين انفسهم انهم من اهل اللياقة و اللباقة فسوف يعلمون
ما يحلّ بساحتهم من عذاب يتكافأ مع معصيتهم .

* (و يجعلون لما لا يعلمون نصيباً ممّا رزقناهم

تالله لتسئلنّ عما كنتم تفترون : و يجعلون لله

البنات سبحانه ولهم ما يشتهون : و اذا بشر

احدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسوداً وهو كظيم :

يتوارى من القوم من سوء ما بشرّ به أيمسكه على

هون ام يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون

: للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء و لله

المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم) *

يقول تعالى نحن الذين نرزقهم و نوفر المادّة لهم ومع ذلك تراهم
يقربون القرابين للاصنام ممّا آتيناهم تالله ليستلنّ عن هذا العمل
الظالم ، و يجعلون لله البنات فيقولون الملائكة بنات الله و امّا لأنفسهم
فينسبون ما يشتهون من البنين ، ومن حماقتهم ان احدهم اذا بشرّ
بالأنثى تولد له ظلّ وجهه مسوداً من شدة الحزن و ان كان لا يبوح
بحزنه ، يتوارى من الناس كأن عاراً دخل عليه و يبقى فى تحير و تفكر ماذا
يصنع أيمسكه حيّاً ذليلاً صاغراً ام يدفنه وهو حيّ ليميته تحت التراب الا
ساء الحكم الذى يحكمونه بالنسبة الى خالقهم و مواليدهم ، للذين

لا يؤمنون بالمعاد مثل السوء من الجهل و الانحطاط و التوحش و لله
المثل الأعلى من العلم و الفضيلة و الصفات البارزة وهو العزيز الذى
لا يذل و الحكيم الذى يوقع الأشياء مواقعها .

* (و لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها
من دابة و لكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا
جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون :
و يجعلون لله ما يكرهون : و تصف السننهم
الكذب انّ لهم الحسنى لاجرم ان لهم النار
و انهم مفرطون : تالله لقد ارسلنا الى امم من
قبلك فزيّن لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم
اليوم و لهم عذاب اليم : و ما انزلنا عليك
الكتاب الاّ لتبين لهم الذى اختلفوا فيه و هدى
و رحمة لقوم يؤمنون : و الله انزل من السماء ماء
فأحيا به الأرض بعد موتها ان فى ذلك لآية
لقوم يسمعون) *

يريد سبحانه انّ الله لو قرن معصية العبد بالمجازاة فورا لما ترك
على ظهر الأرض من دابة الاّ من عصم الله و لكنه يمهل لهم فى هذه
الحياة و يؤخرهم الى اجل مسمى عنده ليس فيه ترديد و لا تبديل ،
و يجعل المشركون لله ما يكرهون و هى البنات فيقولون الملائكة بنات
الله و يكذبون على الله فى ذلك كما يكذبون فى انّ لهم عنده الحسنى
و المثوبة لاجرم ان لهم مكان الحسنى التى يدعونها لأنفسهم النار
المحرقة و انهم لمعجلون اليها و كما ارسلناك الى امتك فناهضوك و آذوك

و اتبعوا فيك خطى الشيطان فقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم وصاحبهم اليوم فى الدنيا ولهم عذاب اليم فى الآخرة، وما هذا القرآن الذى انزلناه عليك الا بيان للناس يعرفون به الحق من الباطل كما انه هاد يهيم من الضلالة و مرشد لهم بالتوجيهات الحية و العظات الناجعة، و الله هو الذى انزل من السماء ماء طهورا فأحيى به الأرض بعد موتها وانبثها نباتا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله فيعقلونه .

* (و ان لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم ماء فى

بطونه من بين فرث و دم لبنا خالصا سائغا

للشاربين : و من ثمرات النخيل و الأعناب

تتخذون منه سكرا و رزقا حسنا ان فى ذلك

لآية لقوم يعقلون : و اوحى ربك الى النحل ان

اتخذى من الجبال بيوتا و من الشجر و مما

يعرشون : ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل

ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف

الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم

يتفكرون : و الله خلقكم ثم يتوفاكم و منكم من يرد

الى ارضل العمر لكى لا يعلم بعد علم شيئا ان

الله عليم قد ير) *

الأنعام عند العرف هى الأبل و البقر و الغنم و العبره هى اقتناع النفس تماما بما عرض عليها و المنظور بها هنا اقتناعها بوجود الله سبحانه من طريق هذه الأنعام فانّ مما لاشكّ فيه ان اعاشه لانعام

قائمة بالنبات تعتلفه و بالماء تشربه و مجمع ما تعتلفه و تشربه هـ
الكروش و هنا يكون مثار التعجب ان نفس هذه المادة المتجمعة فى
الكرش تصير د ما يجرى فى العروق و لبنا خالصا من كل درن بعيدا
عن كل لوث شهيا للشارب بطعمه ورائحته و بولا يجرى فى جهـازـه
و مدفوعا يخرج من مجراه و لاشك ان هذه القضايا لا يمكن تقبلها
بالاعتباط و الجزاف و من ثمرات النخل وهى التمور و الأغانب تتخذون
منه سكر و السكر هو الطعام وهو احد معانيه و رزقا حسنا وهو بيعه
و الأتجار به ان فى استحصال هذه الفواكه الجنية من ماده خشبية لآية
على وجود الصانع لقوم يعيرون عقولهم لهذه القضايا و مقاييسها، و اوحى
ربك الى النحل اى عجن فى اصل خلقتها هذه الغرائز التى يتحدث
عنها القرآن وهى اتخاذها من الجبال بيوتا عظيمة الصنعة او من
شعفات الأشجار و من العرائش التى ينصبها الناس ثم يقول لها اسرحى و كلى
من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك اى الطرق التى تؤدى من بيوتك الى
مسارك ذللا اى مهياة مستطرفة يخرج من بطون النحل شراب مختلف
الوانه فان من العسل ما يكون ابيض و منه ما يكون اصفر و منه ما يكون
احمر و لاشك ان فى النحل و خصائصه و بيوته و عسله و مجاريه فى
مسارحه و رواحه الى بيوته بأميره و مأموره لغرائب تقهر العقول ولا تدعها
تؤمن معها بالصدفة و الاتفاق و الله خلقكم من نطف ثم تطوون فى ارحام
الأمهات ادوارا عظيمة ثم تولدون و تأخذون فى النشوء و تستوفون اعمارا
قصيرة او طويلة ثم يستوفيكم الله اليه و منكم من يعمر اكثر من المعتاد
فيرد الى ارنال العمر حيث يعطى جميع قواه و مشاعره من يده و يعود
بعدهما كان متذكرا لعلمه لا يعلم و بعد التوجه لا يلتفت و بعد التذكير
لا يتذكر ان الله عليم بصنعتة و خلقته قد ير على ما صنع و صور .

* (و الله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون : و الله جعل لكم من انفسكم ازواجا و جعل لكم من ازواجكم بنين و حفدة و رزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون و بنعمة الله هم يكفرون : و يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات و الارض شيئا ولا يستطيعون : فلا تضربوا لله الأمثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون) *

فى هذه الآيات تعداد نعم و ضرب امثال لعبادة الله و عبادة الأصنام و مفاد الجميع مختلطا مندجا بعضا ببعض بهذا اللون ان الله للاختبار او لشيء من الجزاء على الطاعة يفضل بعضكم على بعض فى الرزق فهل يا ترى ان الذى فضل فى رزقه على غيره وهو مثله فى المهنة و العمل بلا تفاوت فى مصدر الرزق يساوى فيما رزقناه بين نفسه و عبيده فيقسم المال الذى بيده قسمة عادلة قطعا لا يرضخ للتسوية فمثل هذا كيف يرضى ان يسوى بين مخلوقات الله و بين الله نفسه فى العبادة فيعبد المخلوق كما يعبد الخالق على ان بين المقيس و المقاس عليه نروقا جمّة و ما ذكرناه مثال تقريبي اذا فالمشركون جاحدون لأنعم الله لأنهم يتلقون النعمة منه و يبارزون بها ، و من نعم الله عليكم ان جعل لكم من جنسكم ازواجا لكم يشاطرنكم الحياة و جعل لكم من ازواجكم على اثر اللقاح و انتشاره بنين و حفدة و الحفيد هو الحافد المساعد للانسان من ابناء ابناؤه او بناته او انسبائه و رزقكم من الطيبات فأكلا و شربا

و ملبسا و حاجيات اخرى أفعال باطل وهو الصنم والوثن و اسناخ هذين يؤمنون و بنعمة الله العميمة المتنوعة يكفرون يأكلون نعمته و يبارزونهم و يعبدون في قبال الله ما لا يملك لهم رزقا فلا يستطيع ان يرزقهم من السماء او الأرض ولو شيئا قليلا ، بل لا يستطيعون ذلك الرزق القليل لعجزهم عن الحقير و الخطير فلا تضربوا لله الأشباه و النظائر فان الله لا يشبه له ولا نظير ان الله يعلم ان واجب الوجود الصانع لكافة الكائنات لا يقبل التثنية و انتم لا تعلمون لارتكاسكم في الجهل فتعيرون الحجارة الهامدة عين النظر الذي تعيرونه لصانع العالم .

* (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
 و من رزقناه منّا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرّاً
 و جهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم
 لا يعلمون : و ضرب الله مثلا رجلين احدهما
 ابكم لا يقدر على شيء وهو كلّ على مولاه اينما
 يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو و من يأمر
 بالعدل وهو على صراط مستقيم : و لله غيب
 السموات و الأرض و ما امر الساعة الاّ كلمح
 البصر او هو اقرب انّ الله على كل شيء قدير) *

و فى هذه الآيات ايضا ضرب امثال للشرك و التوحيد و جهة
 الغلط الواضح الفاضح لطريقة الشرك و متخذها و العبد المملوك انما
 لا يقدر على شيء لان منفعه بالاسر مملوكة لسيده فهو لا يملك التصرف
 بنفسه شرعا لا تكوينا فأعماله الجوارحية و هكذا امواله على القول بأنه
 يملك محتجزة عنه اما الحرّ الواجد فهو يملك منفعه و يتصرف بها كيف
 يشاء فينفق من امواله بلا أن يستجيز احدا و يمنعها بلا أن يكون عليه
 سلطان فى المنع فالذى يتخذة الناس شريكا لله بمنزلة العبد المملوك
 الذى لا يقدر على شيء و الله الخالق الرازق بمنزلة الحرّ المخلوّ
 و بالطبع لا يستوى اهل السنخ الأول و اهل السنخ الثانى اذا فالحمد
 و المدح و الثناء لله وحده لما يتمتع به من صفات عاليات و سمات راقيات
 و اكثر العوام لا يعرفون هذه الفروق الواضحة ، و مثل آخر لملاك الشرك
 و التوحيد اننا لو فرضنا رجلين احدهما احرص لا يقدر على شيء بياسا
 و افصاحا وهو فى حياته من هذه الناحية كلّ على من يتولّى امور معاشه

وحياته ولعجزه عن البيان والأفصاح لا يأتي بخير اذا وجه لأحراره هل يستوى هذا الأبيكم ومن هو فصيح مبين يأمر بالعدل وهو عادل اى واجد لصفات الكمال كذلك مثال الشريك لله من صنم او شمس او حيوان او انسان ومثال الله نفسه هذا هو الله نفسه يعلم جميع ما فى السموات والأرض وما امر القيامة من اماتة الأحياء و احياء الموتى و تبدل الأرض والسموات على هذا الرب الآ كفتح الجفون و اطباقها او هو اقرب يعنى انه يكون بمحض الأرادة ان الله على كل شىء قدير لا يعجزه شىء مقدور .

* (و الله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئا
 و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة لعلكم
 تشكرون : الم يروا الى الطير مسخرات فى جو
 السماء ما يمسكنن الا الله ان فى ذلك لآيات
 لقوم يؤمنون : و الله جعل لكم من بيوتكم سكنا
 و جعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها
 يوم ظعنكم و يوم اقامتكم و من اصوافها و اوارها
 و اشعارها اثاثا و متاعا الى حين) *

و فى هذه الآيات تعداد من نعم الله سبحانه فمنها ان الانسان من ناحية اصله جاهل فجعل فيه اعداد العلم من السمع و البصر و الفؤاد و المخ و ما الى ذلك حتى يتعقل من طريق هذا الأعداد ان الذى افاض عليه ذلك من اعظم المنعمين عليه ، و من الآيات على وجود الله جولان هذه الطيور فى السماء فان بسط الأجنحة و انبات الريش عليها و الاقدار على تلاعبها فى الهواء من معجزات قدره و هكذا ايتاء القوة

للشجر و تسخير الحديد والحجر الصلد و كافة ما تتناوله يداه فتراه ينقب
 الجبال و يلين الحديد و يصنع منه ما يشاء و قدرته على تسخير الانعام
 التي يكثر فيها ما هو اقوى منه و اقدر و امنع و اشجع فيكشط عنها
 جلودها و يصنع منها قربا و سرجا و اغلفة و خيما و قبابا يستخفها يوم
 ظعنه بأن يطويها و يحملها على الابل و البقر و البغال و الخيل
 و الحمير و غير ذلك من الحيوان و ينشرها يوم اقامته و آتاه من اصواف
 الغنم و اوبار الابل و اشعار المعز ما يعد منه اثاثا فراشا و دثارا و ما
 يتمتع به من لباس و ريش الى حين موته و فنائه كل ذلك نعم لا يستطيع
 شكرها و هي في حد ذاتها آيات على عظمة الخالق وهو الله .

* (و الله جعل لكم ممّا خلق ظلّالا وجعل لكم من الجبال اكناانا وجعل لكم سراييل تقيكم الحرّ و سراييل تقيكم بأسكم كذلك يتمّ نعمته عليكم لعلّكم تسلمون : فأن تولّوا فأتّما عليك البلاغ المبين : يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون : و يوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون: واذ ارأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) *

الظلّ بنفسه ليس بمجوعول لانه تابع للشاخص و لكنّه نعمة بالتبع و هكذا الأكنان التى ينحتها البشر فى الجبال نعمة تابعة لأصل الخلقه فى الجبال ولأعطاء القوة للأنسان و الأكنان جمع كن وهو ما يستكنّ فيه و يستترو هكذا السراييل وهى الألبسة من النعم التابعة للأنعام ولما أوتى الانسان من فطنه بها يغزل الصوف و ينسجه و يتخذ منه لباسا يحصّنه من لهيب الحرّ و زمهرير البرد و انما ذكر الحرّ ولم يعطف عليه البرد لان ما يكنّ من سموم الحرّ يكنّ من تأثير البرد و السراييل التى تقى البأس هى الدروع التى تقف امام حدّة الضرب و الطعن و ما الى ذلك بهذه الصور يتمّ نعمته عليكم لعلّكم تسلمون و جوهمكم اليه فأن اعرضوا مع اسباغ هذه النعم فليس عليك جزاؤهم أنّما عليك تبليغهم و ابانة المقاصد لهم و هدايتهم الى طريق الصواب، أترى ان القوم يجهلون ان هذه الأمور نعم وافية و الطاف ضافية و ان من وظيفتهم شكرها ، بالطبع لا يجهلون ذلك ولكن يغضون عنها و الأغضاء عن الشىء و عدم

الألتفات له بمنزلة انكاره و جوده ، وانما قال تعالى و اكثرهم كافرون ولم يقل جميعهم لان فى مطاويهم من هو مرتكس فى العامية الى حدود بعيدة فلا تنسب اليه نسبة الكفر لانها تحتاج الى قصد و توجه ، ويوم نبعث من كل أمة وقوم و جيل شهيدا عليهم وهو نبيهم او وصيه او العلماء الذين سدوا الثغرة التى كان يسدّها وجود النبيّ او الوصىّ و هذا الشهيد يشهد على هؤلاء بما بلغّهم به و عصوه ثم لا يؤذن للذين كفروا بالكلام لان الشاهد اصدق منهم كما لا يستعقب اى يؤنّب و يلام و يراد منه التوبة و الأنابة فان هذه الامور تعود لعالم التكليف ولا تكليف يوم الحساب و اذا رأى الذين ظلموا فى الدنيا العذاب فى الآخرة و لابسوه فأنهم لا يخفف عنهم حينئذ ولا يمهلون كما أمهلوا فى الدنيا .

* (و اذا رأى الذين اشركوا شركائهم قالوا ربّنا هو ءلاء شركاؤنا الذين كُنّا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون : و ألقوا الى اللّٰه يومئذ السلم و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون: الذين كفروا و صدّوا عن سبيل اللّٰه زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون : و يوم نبعث فى كل امة شهيدا عليهم من انفسهم و جئنا بك شهيدا على هو ءلاء و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين : ان اللّٰه يأمر بالعدل و الأحسان و ايتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى يعظكم لعلّكم تدّكرون) *

زمان رؤية المشركين للشركاء هو يوم القيامة و هناك يواجهون اللّٰه بالخطاب بأن هو ءلاء من صنم و غيره هم الشركاء الذين كُنّا ندعو من دونك فينطق اللّٰه الشركاء او ينطق لسان الحال عنهم بأننا متى دعوناكم الى عبادتنا بل انتم بتسويلاتكم النفسية عبدتمونا و انكم لكاذبون فى توجيه اى انحراف الينا و انما الانحراف منكم و اليكم و يومذاك و حين تلتقى حلقتا البطان يسلم المشركون لله تعالى و يذهب عنهم ما كانوا يفترونه على الغير و على اللّٰه معا ، اما الذين كفروا فى انفسهم و لم يكتفوا بكفرهم بل اخذوا يغوون الضعفاء البسطاء معهم عن سبيل اللّٰه فأننا نزيدهم عذابا على عذابهم احدهما لغوايتهم فى انفسهم و الآخر لأغوائهم الأغيار و بما كانوا يفسدون فى الأرض ، و يوم نبعث فى كل امة

وجيل شهيدا من انفسهم يشهد عليهم بما كانوا يأتون و يذرون فى عالم الدنيا وقد سلف ان هؤلاء الشهداء هم الأنبياء و اوصياؤهم و العلماء الصالحون و عدول المؤمنين منهم و جئنا بك يا محمد شهيدا على امتك و نزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شىء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين يهدىهم الى ما فيه صلاحهم و يجنبهم عما فيه شقاؤهم و يدلهم على طرق الرحمة و يبشرهم بالجنة اذا هم اطاعوا ، ان الله يأمر كل مكلف بالعدل وهو اىصال الحق لمستحقه ضعيفا كان ام قويا و قمع المبطل عما يحاول من ابتزاز حقوق الناس كما يأمر بالأحسان و صلة الأرحام و ينهى عن كل قدر من القول و منكر من الفعل و تعدى على حقوق الناس يعظكم الله بهذا و امثاله لعلكم ترجعون الى ذاكرتكم فأنها تؤيد ما قال الله لكم .

* (و اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون : ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم أن تكون امة هي اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون : ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء و يهدى من يشاء ولتستلنّ عما كنتم تعملون : ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتنزلّ قدم بعد ثبوتها و تذوقوا السوء بما صدتم عن سبيل الله و لكم عذاب عظيم) *

الوفاء بعهد الله هو القيام بواجب المعاهدة سواء كانت مع اللهام كانت مع غيره بشرط ان تكون مادة المعاهدة جائزة مباحة و النقض هو الحلّ و الايمان جمع يمين و هي القسم و التوكيد التثبيت و التقرير و الكفيل هو الملتزم بتحقيق مورد الكفالة و المغزول هو المقتول و الانكاث جمع واحد نكث وهو حلّ القتل و الدخول هو العيب و الفساد اربى ماخوذ من الربا وهو الزيادة و الكثرة و البلاء هو الأختيار و زلة القدم انزياحها عن موقعها .

هذه الآيات من جوامع الكلم فى محاسن الأخلاق فقد اوجب سبحانه على المكلف ان يفى بكل عهد مشروع سواء كان طرفه الله ام عباده و انه اذا حلف يمينا مشروعة حرم عليه نقضها و التخلف عن موجبها و جعل الله كفيلا معناه ان الحالف لطرفه انما حلف ليرضخ له طرفه

و رضى طرفه انما كان لأجل اليمين فكأن الله تكفل للمحلف له بما حلف به الحالف و شبه سبحانه كل من يحنث فى يمينه بالناقض لغزله الذى أبرمه واعتبران الداعى لليمين مع نية النقض هو اراده الأفساد بالطرف بعد استدراجه و داعى الغدر و الأفساد هى المنافقة بأن يعطى موثقها لأنسان حتى يستنيم اليه ولا يفى له لركونه الى من هو اقوى من الأول و اكثر مالا و رجالا و الله سبحانه يختبر الناس فى امثال هذه القضايا بسبب وفائهم و غدرهم و ليكون هذا الأختبار حجة على المختبر و حيث يختلف الناس فى الصريح و المداهن و المؤمن و المنافق و كان بمقدور الله ان يجعل الناس امّة واحدة صالحة و لكن ذلك ينافى مقام الجزاء فإنه لا مجازاة لا بخير ولا بشر على القسريات و انما المجازاة على العمل الأرادى و اكدّ تعالى على المكلفين ان لا يتخذوا ايمانهم فخاخاً يصطادون بها اصفياء الناس فأن متخذ اليمين مصيدة له ضالّ زالّ بعد ايمانه و ثباته و تكون عاقبته من اسوأ العواقب بما صدّ عن سبيل الله و سبيل الله هو الوفاء بالعهد و القيام بواجب اليمين .

* (و لا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون : ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون : من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة و لنجزينهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون : فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم : انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون : انما سلطانه على الذين يتولونه و الذين هم به مشركون) *

يقول سبحانه مخاطبا لكل مكلف حرّ الضمير اذا عاهدت عهدا مع الله او مع احد عبيده فمن لازمك ان تفي بذلك مادمت قادرا على الوفاء به و لا تستغوينك الأطماع تبذل لك حتى تدوس برجلك ما اعطيته بيدك و انما عبر تعالى عن الاثمان بأثها قليلة لأن شرف الوفاء اعظم و أعلا و أغلا من المال و مهما كثرو لفظ ما فى قوله انما عند الله موصولة بهذا التقدير ان الذى عند الله هو خير لكم و الذى هو عند الله معناه ان صاحب الضمير الحرّ و الشهامة اذ اكثر فى المجتمع البشرى خلق من الحياة ادوارا ثمينة رصينة فيها مقامات العزّة و مواضع الجلالة و مواقع الخير و الغبطة اما اذا راعى الانسان المطامع قاصرا نظره عليها فانه يعتبر باعنا لوجوده و لكيانه و لا استقلاله و كل انسان يطلع بهذا اللباس فهو جنازه مآله الى التلاشى و الأنهيار و الذى وصّى به الله عبادة الأحرار فانه باق برهن على ذلك الشعوب التى لا تزال تدأب على رقى

انفسها ومهما عظمت فانها لاتنسى مستقبلها اتكالا على حاضرها ولا شك ان الموظب الدائب على تقديم نفسه من الصابرين الذين يستوفون اجورهم كاملة بسبب حسن الصنيع الذي فعلوه مع انفسهم و مجتمعاتهم فان كل انسان مؤمن بالمبادئ الصحيحة و سيرته العملية طبق لمعتقداته العلمية يحيى بتوفيق من الله حياة طيبة و ينال جزاء سيره الموقور ثم انت يا رسول الله او كل قارئ مؤمن بالقرآن و بما فيه من غذاء روى اذا اردت ان تشرع بقراءة آياته فاستعد بالله من وساوس الشياطين و تخييلات المضلين و لتعلم يا رسول الله و انت ايها المكلف الملتفت بان تسويلات المخربين لاسلطان لها على المؤمنين انما سلطانهم على الذين يتولون هو لاء السفلة و يجعلونهم مصادر نفوذ و قدرة كخالق العالم و من بيده مقدرات بنى آدم .

* (و اذا بدلنا آية مكان آية و الله اعلم بما ينزل
قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون : قل
نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين
آمنوا و هدى و بشرى للمسلمين : ولقد نعلم
انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي
يلحدون اليه اعجمي و هذا لسان عربي مبين :
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
و اولئك هم الكاذبون) *

المنظور بتبديل آية مكان آية هو النسخ و النسخ امر معقول وواقع
بين العقلاء و لا يستدل به على جهل الناسخ بالواقع فكمن واقف على
صريح الواقع لأجل تمشية امر مؤقت لا بد من تشريعه لسد حاجة مؤقتة
حتى يسنح الوقت لتشريع الواقع الصريح بمرم أولاً و ينقض ثانياً كلاً
بداعيه لكن المشركين و غيرهم من الجهلاء في كل دور يحملون الناسخ
و المنسوخ على التذبذب و عدم المعرفة و يحملونه على الجهل من كل
احد و تراهم ينسبون الانبياء الى التزوير على الله و انهم انما يحكمون
بادئا بحكم و اخيراً بحكم لجهلهم بالواقع و من هنا قال تعالى و اذا
بدلنا آية مكان آية و نسخنا ما شرعناه اولاً بما نشرعه اخيراً و نحن اعلم
بالدواعي السابقة و اللاحقة من كل عالم قالوا انما انت يا محمد مفتر في
ادعائك الرسالة اولاً و في نسبة الناسخ و المنسوخ معاً الى الله وان كان
في هذا الجمع من يدرك واقعية النسخ و انه يجوز من العالم
ولا اختصاص له بالجهلاء كما يزعم زعنفة الناس لكن اكثرهم عوام غارقون
في العمية لا يعلمون مواقع الرشد، عند ذاك قل لهم يا محمد انما

فلست متنبئاً احاول المعيشة على هذا الحساب بل انا نبي واقعى من الله تحملت مسؤولية ارشادكم وهدايتكم مجاناً لله وللضمير ولأشاعة العلم والذى نزل الأحكام الناسخة والمنسوخة روح القدس وهو جبرئيل من الله تعالى ليثبت الذين آمنوا بالتقارير المحكمة والقوانين المتقنة و ليكون ماشرعه و انزله هدى لطالبي الهداية و بشرى للمسلمين — بالسعادة فى الدنيا و الفلاح فى الآخرة و نحن يا محمد نعلم ان المكذ بين بك يقولون ليس ما يدعيه هذا الداعية من الغيب و انما يتعلمه من اناس دارسين للكتب السماء السابقة النزول من يهود و نصارى وغيرهم و لكن ليكن معلوما ان لغة دارسى الكتب السماوية ممن اشرنا اليهم نوعا ليست بعربية و انما هى اعجمية و هذا القرآن لسانه من افصح الألسنة و اعلاها و قد تحدى بلسانه مصاقع الخطباء و فحول الشعراء فلم ينبعثوا لمجاراته و مباراته و كن على علم يا محمد ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لجاجة و عنادا لا يهدىهم الله لان الهداية تحتاج الى قلب مستعد و بطبيعة الحال يموتون على هذه الغواية فيحيق بهم عذاب اليم نتيجة لذلك و ليعقل الجميع ان الذى يتقصد الكذب لأجل تثبيت قدمه فى المجتمع و ترويح دعوته بين الناس هو الذى يجحد الله و يعدّه من الأساطير وهو كاذب فى دعواه الأيمان ان ادعاه او الأنسانية الصادقة ان تثبت بها .

* (من كفر باللّٰه من بعد ايمانه الاّ من اكره وقلبه مطمئنّ بالأيمان و لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من اللّٰه و لهم عذاب عظيم : ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة و ان اللّٰه لا يهدى القوم الكافرين : اولئك الذين طبع اللّٰه على قلوبهم و سمعهم و ابصارهم و اولئك هم الغافلون : لاجرم أنّهم فى الآخرة هم الخاسرون : ثم ان ربّك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا و صبروا ان ربّك من بعدها لغفور رحيم) *

الكفر بعد الأيمان هو الأرتداد فان كان الايمان مسبقا بالكفر فالارتداد الذى يكون بعده يقال له ارتداد ملّى و ان كان الايمان غير مسبق بالكفر كان الأرتداد فطريا و لكل منهما حكم فى الشريعة و الارتداد انما يطلق على من يكفر باللّٰه مختارا اما اذا كان الكفر اكرهيا و لازمه ان يكون باللسان دون القلب فهذا لا مانع منه فقوله تعالى من كفر مبتدأ محذوف الخبر بتقدير من كفر باللّٰه من بعد ايمانه فانه مؤاخذ اشدّ مؤاخذة لانه لم يؤمن الاّ عن داع معقول فما الذى انكفأ به عن الحق و اورده فى الباطل طبعاً يتصور ذلك فى الأهداف المادية تعرض له و يراها لا تؤاخذ الاّ بالارتداد و يكون معنى الاّ من اكره و قلبه مطمئنّ بالايمان انه لا شىء عليه قوله و لكن استدراك لقوله من اكره فان المكره على الشىء مقبوض الصدر امامه لأنّه خلاف رغبته بخلاف المنشرح صدره فان رغب طالب و رغب الكفور طالبه عليه غضب من

اللّه وعذاب عظيم يوم القيامة لأنه يعتبر محاد د المن انعم عليه بالوجود والحياة ولوازمهما ليستفيد منهما سعادته وكما اسلفنا لا يستجيب الى الكفر الاّ من تقف الاهداف المادية امام ايمانه فيستجيب لها ايثارا لعافية المادة على عافية الواقع والعقيدة و اغلب افراد البشرية كذلك فقد لاحظنا من بلغ نهاية عمره فبان ارتداده من جهات شتى تحصيلا لجاه ايام معدودة وقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اى المصرين على كفرهم معناه انه لا يتوجه له بعميم لطفه لأنهم جافون له عن عمد وتقصد وطبع الله على قلوب المصرين على الكفر تفسير لعدم هدايته تعالى لهم وعدم توفيقهم للاستفاضة من فيضه و اولئك هم الغافلون عن الحق بتعمد بقاء الغفلة لهم ومصاحبته اياهم ومعنى ذلك ان الانسان بملازمة المذكرات يتذكر واما اذا اعطاها ففاه فانه سرعان ما يعود لنسيانه كلمة لا جرم بمعنى لا شك وخسرانهم فى الآخرة طبيعى لهم لانهم بالكفر لم يعملوا للآخرة عملها لانهم ينكرونها عقيدة او انكروا اعمالها المنتجة لها ثم عطف سبحانه بالمعنى ذيل هذه الآيات على صدرها فقال ان الذين فتنوا اى ابتلوا وامتحنوا فأظهروا كلمة الكفر انقيادا مع الأكره و لكنهم عاودوا ايمانهم المستمر فى قلوبهم وهاجروا عن ديار الكفر التى لا يستطيعون مع استيطانها اظهار كلمة التوحيد ثم جاهدوا فى سبيل الله كل مناوء لله و صبروا على الجهاد وثقله على الروح و البدن اولئك ينالون غفران الله عما سلف منهم حين انقادوا مع كلمة الكفر تطفح على شفاههم مجبورين مكرهين .

* (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها و توفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون : و ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع و الخوف بما كانوا يصنعون : و لقد جائهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون : فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا و اشكروا نعمة الله ان كنتم آياه تعبدون : انما حرم عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ و لا عاد فان الله غفور رحيم) *

الأقرب ان انتصاب يوم في صدر هذه الآيات بالعامل المذكور في آخر الآيات السابقة وهو قوله لغفور رحيم لان المواطن الحقيقية للغفران و الرحمة هي مواطن القيامة ان القيامة محكمة عدل تنتهي بصاحبها اما الى خلاص و ارتياح و اما الى فناء و انهيار و لذلك ترى المجلوبين للمحاكم يبذلون غاية جهدهم لاستنقاذ انفسهم و المجادلة هي المحاجة و التراد في الكلام سؤالا و جوابا و بالمآل محكمة عدل الله تعطي كل ذي حق حقه الذي هو له ثوابا كان ام عقابا و لا ظلم في البين ، ثم ضرب الله مثلا للحياة الثابتة المطمئنة و الحياة المرتبكة المنزعجة و لا شك ان الثبات في الحياة من لوازم الاعتدال في المجارى الحيوية حاكما و محكوما سائسا او مسوسا وان الارتباك و الانزعاج من نتائج التعدي عن الحدود و التجاوز عن الخطوط العريضة التي

تشخص طريق النجاة من طريق الهلكة فقال تعالى و ضرب الله مثلا للناس يستحثهم فيه على ما يسعدهم قرية كانت آمنة لا تخاف غزوا ولا تهجما من احد مطمئنة اى رابطة الجأش اذ ليس هناك ما يريبها يأتيها رزقها الذى تعيش به رغدا هنيئا مستلذا شأن الممالك الموفورة فى اقتصادها من كل مكان فلا تحريم اقتصاديا فى البين اذ لاداعى لذلك الا العداوات تكون بين الأمم فكفرت تلك القرية بأنعم الله وانعمه هنا هى وصايا بحسن المعاشرة وعدم تعدى بعض على بعض فحيث لاتحسن المعاشرات وتحصل التعديات يأتي العداة وتأتى آثاره من حمله بعض على بعض و تحريم الاقتصاد بين الطرفين المتخاصمين فهناك يذيقها الله مرارة الجوع واضطراب الخوف بسبب ماجنت ايديهما من باطل ، ولقد جائهم رسول منهم الضمير لأهل مكة او جزيرة العرب و كونه منهم انه لا ينفصل عنهم عنصرا ولا لسانا ولا مناخا ولا زمانا فهو يلبسهم من هذه النواحي اتم ملابسة و يعرفهم اتم معرفة و ذلك مم يعينه على افهامهم من ناحية ودرك رشدهم وغلالمهم من ناحية ثانية و مع كونه امينا صادقا معترفا له بذلك حتى من عتاتهم كذبوه فيما اتاهم به من شريعة سمحاء و اخلاق راقية و نظام مترق فأخذهم العذاب يجوز ان يكون التعبير بالماضى عن المستقبل لانه محقق الوقوع منزل منزلة المتحقق الحاصل كما يجوز ان يراد به ما وقع عليهم فى حروبهم مع النبى من حوادث هدتهم و حروب قهرتهم وهم ظالمون لانفسهم فى ذلك اذ لم يدعوا تسترسل مع الداعى الناصح و ظالمون لغيرهم من دم اراقوه فى الحروب الاسلامية من المسلمين او مال نهبوه او حادثة اوردوها على من لا يستحقها فكلوا يا جماعة البشر ما رزقكم الله من عامّة الاشياء القابلة للأكل حلالا لكم اكله لأنه طيب مستساغ و اشكروا نعمة

اللّٰه المنعم عليكم بهذه النعم ان كنتم تعبدون اللّٰه وهذا الشرط واقعى لان من لا يعترف بواجب الوجود واعتبر العالم ابن الصدفة لا يعود يعترف بأن هناك منعما حتى يشكره وانما هى الطبيعة منبسطة بين يديه ينال منها من غير دخالة لأحد فى ذلك بزعمه ثم جاء سبحانه الى ذلك العموم فخصه بقوله انما حرّم عليكم الميتة و الدم و لحم الخنزير و ما ذكر عليه فى مقام نحره او ذبحه اسم غير اسم اللّٰه من وثن او صنم هذا هو الحرام فى الحالات الأعتيادية واما اذا اضطر الانسان لأكل الميتة او الدم او لحم الخنزير او ما أهلّ لغير اللّٰه به فان ما ترفع به الضرورة يحكم عليه بالحلية و ما زاد عليها ممّا هو خارج عن منطق الضرورة فانه غير جائز لان الضرورات تقدر بقدرها و الباغى العادى هو المتجاوز عن محدودة الأضرار .

* (و لا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال
 و هذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين
 يفترون على الله الكذب لا يفلحون : متاع قليل
 و لهم عذاب اليم : و على الذين هادوا حرّما
 ما قصصنا عليك من قبل و ما ظلمناهم و لكن كانوا
 انفسهم يظلمون : ثم ان ربك للذين عملوا
 السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك و أصلحوا
 ان ربك من بعدها لغفور رحيم) *

يقول سبحانه انه لا يجوز للإنسان ان ينحرف مع رغباته فى التحليل
 و التحريم فان رغباته متموجة تتلاعب بها حوادث الوقت و عوارضه فربّ
 جريان يغيظه فى وقت فيتحامل من اجله على الواقع و الواقع برئ ممّا
 جرى له و جريان آخر يؤنسه و يسره فى وقت آخر فيشرح و يبيسط من
 اجله و يبسم للواقع و كذلك لا ترى للواقع صلة به فما الحلال الاّ ما كان
 فى الواقع صالحا للأكل عد يم المضرة و ما الحرام الاّ ما كان فى الواقع فاقدا
 لصلاحيّة الأكل لما يحتوى عليه من مضرة و حزاة لا ما تصفه السنتكم
 انقيادا للشهوة و الرغبة ومع ذلك لا تكتفون بنسبته الى انفسكم بل تقولون
 انه من الشارع وهو الله فالأخبار بخلاف الواقع كذب و الأصرار عليه
 و تعمده افتراء و تزوير ولا يفلح المفتري بل يفتضح بعد حين اما فى
 الدنيا بأن يظهر كذبه و تزويره للناس و اذا طال به الأمد فالآخرة
 امامه لا يستطيع فيها دجلا و لا تد لىسا و قلة متاع الكذب باعتبار ان زمن
 انستاره محدود، و على الذين هادوا وهم اليهود حرّما ما قصصنا عليك
 فى السور السابقة على سورة النحل نزولا او ما قصصناه فى الآيات السابقة

بقوله انما حرّم عليكم الميتة و الدم الى آخر ما سلف ذكره وما ظلمناهم فى هذا التحريم لاننا حرّمنا الخبيث لا الطيب ولكن كانوا هم الظالمين لانفسهم بتحريم غير ما حرّمناه نحن عليهم ثم ان ربك للذين ارتكبوا الاجرام و المآثم بجهل منهم للموضوع اول حكمه ثم وجهوا لسيء ما ارتكبوه فتابوا الى الله و اصلحوا الماضى بتدارك ما هو قابل للتدارك كما اصلحوا الحاضر بالنزوع عن مواقع الجريمة و المستقبل بالتصميم على عدم الارتكاب ان ربك من بعد ذلك الذى اشعرنا به لغفور رحيم .

* (ان ابراهيم كان أمّة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين : شاكرا لأنعمه اجتباه و هداه الى صراط مستقيم : وآتيناها فى الدنيا حسنة وآتاه فى الآخرة لمن الصالحين : ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين : انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه : وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) *

كون ابراهيم أمّة لانه كان فى فعالياته المبدئية يعدل أمّة فى فعاليتها نحو اهداها ولآته قاد امّة على تعدد افرادها الى جانب العقيدة كان قانتا لله اى خاشعا للحق لانه مفهوم واجب الوجود حنيفا اى ما تلا عن الباطل منحرفا عنه ولم يكن من المشركين لأن المشرك جاهل فان مادة العقول تمنع الاشتراك فى مبدئية العلل شاكرا لأنعمه أما انعم الله عليه وعلى غيره فهى افاضته الوجود واعطاء الحياة و التفضل بالأحاسيس و المشاعر وما الى ذلك وأما ان هذه النعم يجب

شكرها فان ما هو اقلّ منها يجب شكره نعم الشاكرون في بنى آدم قليلون
 ومن هؤلاء القلائل ابراهيم اجتباه بمعنى اختاره للقيام بمهمة الرسالة
 وهداه الى صراط مستقيم اى وفقه لذلك لما رآه مستعدا صارما فى
 سلوك هذا الطريق حراً فى ضميره وآتيناه فى الدنيا حسنة وهى
 نباهة الشأن وعلو الدرجة بين الناس و بعد ربح من الزمن اوحينا
 اليك يا محمد ان سر على الخط الذى كان عليه ابراهيم فان خطّه خط
 الله و كل خطوط الأنبياء خط لله سبحانه لكن ابراهيم كان شيخا لهم
 باعتبار ان دعوته عامّة و كانت توحيدية فى كل اشياءها ومن بقى من
 الأنبياء عليهم السلام لا بست دعوته الى الله ملابسات اخرى كانتشال
 قومه من برائن الظلمة و نظير ذلك، انما جعل السبب على الذين اختلفوا
 فيه لعنة مسخراً لان اختلافهم فيه انما كان بدواعى مادية هى صيد
 الأسماك فحرّموا السبب استجابة لله حيناً و احلّوه بعد ذلك استهانة
 بأمر المولى فلعنهم الله لذلك و مسخهم قردة خاسئين و ان ربك ليحكم
 بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون و يصحّر لهم عملا ان مناهى
 الربّ يجب احترامها على طول الخط ومادام داعى التحريم موجودا وان
 الأطماع فى قبال الطاعة لا قيمة لها عند العقلاء بل تعتبر ذمّاً و خزيا .

* (ادع الى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة
 و جادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم
 بمن ضلّ عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين : و ان
 عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و لئن صبرتم
 لهو خير للصابرين : و اصبر و ماصبرك الا بالله
 ولا تحزن عليهم و لا تك فى ضيق مما يمكرون : ان
 الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون) *

الدعوة هى طلب الأقبال من الناس صوب الداعى ليبلّغهم ما يريد
 ابلاغه و سبيل الله هى طريق الخير و الصلاح و السعادة و الحكمة هى
 ابانه حقيقه الشىء و الموعظة هى الكلام الصارف عن الشرّ و الباطل
 الجالب للخير و الحقيقه و المجادله هى المحاوره و المحاجه و كونها
 بالتى هى احسن معناه ترك الخشونه فى الكلام لاشك ان دعوة الرسل
 لما كانت دعوة الى الحق لا تحيّر الى ميل نفسى و غرض شخصى كان
 من لازمها احقاق الحق و ابطال الباطل على ضوء المنطق و المقياس
 العلمى و كان من لازمها الوعظ و الأرشاد و المحاوره على جهة فتق
 الحقيقه للطرف لا على المغالبه و اعمال النفوذ و قوله ان ربك هو اعلم
 بمن ضلّ يريد ان يبين به ان الله لا يريد ان يقضى بعلمه على من يعلم
 بما يعلمه منه بل يريد محاكمته بهدوء و لين و لطف فاذا تمت الحجة
 عليه ومع ذلك اباه فهنالك يستبيح مؤاخذته وهكذا فى مقام الأثابه
 لا يثيبه بما يعلمه من سرّه بل يكشف طاعته للناس ثم يثيبه لتستبين
 جدارته لذلك ، و ان عاقبتهم احدا قصاصا او تأديبا فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
 به فى القصاص و بما يحتويه الحدّ او التعزير فى الحدود و التعزيرات

ولئن صبرتم فلم تطلبوا بحقكم من القصاص و عفوتم لله فهو خير للصابرين
 دنيا و آخرة أما فى الدنيا فأن العفو عن المسىء مع القدرة عليه علو
 همة و بعد نظر و أما فى الآخرة فأن هذه الروح المرنة الأنسانية لها
 قسطها من الاثابة عند الله سبحانه و اصبر يا محمد فى طريق الدعوة
 و ما تلاقى فيه من عثرات و هنات و ما صبرك الذى تبدى به من نفسك الآ
 بتوفيق من الله لعبده الذى يحاول كسب المعالى و محرزات الخير
 و الشرف و الكرامة و لا تحزن على المشركين و ما يلاقونه من هذا الطريق
 المظلم الشائك فان الإنسان يأسف للجاهل حيث لا مرشد له لا مع
 اصراره و عتوه و تمرده على الحق و الواقع و لا تك يا محمد من مستقبل
 دعوتك فى ضيق لأنك تجد القوم يحوكون لك ولها الدسائس و الفتن
 ان الله مع الذين يتقونه و يكونون الى جانبه و الذين هم محسنون
 للحياه و الأحياء معا فبالمال يكون الربح للحقيقة و الراجح هو المحق .
 و هنا يأتى القول عن خطوط الانبياء و الأئمة و صالحى علماء الأمة
 فنقول قد برهن القرآن و هو اصدق كتاب يتحدث عن الأم الماضيه
 و المعاصره و قامت السيره القطعية على ان مسيره الانبياء و فى خاتمهم
 محمد بن عبد الله كانت مع امهم مسيره ملوئه بالتوأده و الحنكته
 و العقل و المراعاة و السياسة الحازمه المشفوعه بالعطف و اللطف
 المستهدفه بذلك صلاح الامه و سعادتها فضلا و احتسابا كما عرّب عن
 ذلك العيان متجسما و البيان شارحا و مبرهنا و مرّ عليك فيما قرءت من
 السور ما فيه بلغه فانك قرءت عنهم احسن النصائح و ابلغ المواعظ و ارقّ
 الاياله و ابدع التراكيب سواء كانت من تعليم الله لانبيائه او من
 محاوره الانبياء لأقوامهم على خشونه مزعجه من المدعويين و سوء ادب من
 المخاطبين و لم ينكل الله بهؤلاء المتمردين كما ان الانبياء لم يستدعوا

ذلك منه الآ بعد ان تعين القوس منزعا و يتلاشى فى القوم كل مطمع
و هذا هو الحق فى السلوك السياسى و الجرى الاجتماعى فان نوع
الناس عوام و تستمر معهم عاميتهم حتى الموت الآ من عطف على نفسه
فرباها و لطف بها فوعاها و هذا القرن العشرون بما فيه من شيوع
التعليم و مبارزة العامية اغلب افراد ه بسطاء يصطاد هم المنتهز بأقل
وسيلة و ابسط حيلة فكيف بالمقايسة ترى تلك الأدوار القاحلة و
المجتمعات الجاهلة و كم اودى نبيّ الاسلام من جهلة معاصريه فكان
يدعو لهم بالهداية مكان ان يريد من ربه الأطاحة بهم و الانتقام منهم
و لاشدوا قسى عليه من متمرده قريش اولئك الاقوام الذين اخذ منهم
الغرور كل مأخذ و طوال و احد و عشرين سنة منذ اول البعثة الى فتح
مكة اجلبوا عليه بكل مقدورهم و فعلوا الأفاعيل معه و مع المؤمنين به
و مع كل هذا و ذاك لما دخل عليهم مكة فاتحا قال لهم اذهبوا فأنتم
الطلقاء و بطبيعة الحال لا يكون شأنه معهم اقل من شأن يوسف مع
اخوته حيث قال لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و لا ينتهز الفرصة
منتهزها فيقول اذا كان محمد بهذه الرأفة فعلام نراه يجرد
الجيوش و السرايا على اليهود و المشركين حتى يلجئهم الى الايمان
فان ذلك ينفع محمد وليس بضرره فهذا الرجل و الناس قاطبة ادركوا
من يهود الجزيرة حقدا و حنقا و تهيجا للناس و اجلابا على الاسلام
بكل حيلة و وسيلة و كم تأمروا ضده و تجسسوا لاعدائه عليه و غدروا
بالعهد و المواثيق على ان واقعة بنى قريظة لم تكن بابتداء من
الرسول بل بتحكيم منهم لأوثق من يعتمدونه غايته كان الرسول مجريا
لهذا الحكم لامبتداء به .

و أما المشركون فلم يحاول منهم نبيّ الاسلام إلا سعادتهم و رقيهم

و تقدمهم و لم يكن له غرض فى الحاكمية عليهم فقد برهنت التجارب القاطعة انه (ص) عاش فقيرا ومات عن لاشىء و لم يكن متجبرا او متكبرا ولا صاحب حاشية و حجاب وعاش كأحد الناس البسطاء فى كل اشياءهم فويل لاولئك الذين يدعون لأنفسهم هذا الخط و يرتكبون ما ينتزه عنه ساسة الكفرة وكبراء الفجرة ومن لا يعتنقون دينا ولا مبدء و يلحدون بالله و لا غرض لهم بالانبياء لكنهم و بالأخره يملكون ذرة من مبالاة بخلاف هؤلاء الحاقدين على البشرية المروجين لكل لا ابالية .

هذا و الحكمة بلفظها العربى بمعنى الفلسفة بلفظها اليونانى و هذه الالفاظ و ان كانت حادثة الآ ان محتواها و معناها قديم بين العقلاء لان المنظور به تبطن الشىء و تحقيقه و الوقوف على قراره و مُحقق كل مطلب فى النقليات كان ام فى العقليات فى العرفيات كان ام فى الشرعيات فيلسوف و الفلسفة بهذا المعنى وهو تفهم الاشياء بدقة من اهم اركان الحياة البشرية و بدونها تكون الحياة مذبذبة تافهة بل مضرّة فاسدة و العلوم الصق بالجهل و السفسطة فكل شعبة من شعب العلوم وكل حالة من حالات الحياة وكل قانون من قوانين المعيشة وكل نظام من نظم الاجتماع اذا لم يتبلور بالبحث و الفحص والنقد و الاخذ و الرد افسد و لم يصلح و قاد الى الضلاله بدل الهداية المنشودة و ضاعت العقول مع اهمالها فيه على اصحابها ومشى العاقل يتخبط اخس من الحيوانه ذات الغريزة المدفوعة بها وحتى الشرعيات التى مأخذها التعبد اذا لم يتبطنها العقل فى مدارها لم تعد تنجع لان الجاهل بالشىء كلاً او بعضا لا يستطيع ان يوفيه حقه ولا ان يأتي به على وجهه و لذلك ذم التقليد حتى فى الشرعيات لمن يستطيع ان يكون مجتهدا فيها عموما او فى خصوص ما يتولاه من مشغلة و كلمنا دق

الاجتهاد و تحقق وفحص المطلب و تدقق كان معلوم هذا المجتهد
اقرب الى الواقع و كان تقليده الزم للمقلد و كان الخروج من عهد
التكليف معه احق بالمعذرة .

هذا وقد خصص الاصطلاح علم الفلسفة بالعقليات الصرفة وزواه عما
ذكرناه من معناه ولا مشاحة في الاصطلاح ، ثم الفلسفة بالنسبة الى عالم
اللاهوت قد سلكت دربين منحازين احدهما الاستدلال على الاشياء نفيا
و اثباتا بالطرق العقلية فقط و ثانيهما التنكر لهذا الطريق و سلوك
طريق العرفان فيه و يريد اهل هذا الطريق به أن لا وسيلة حافلة
بالدقائق في السير الى ما وراء الطبيعة سوى ابعاد النفس عن المادة
و ملحقاتها و ترويضها على المعنويات و تصفيتها من كل درن منشؤه
الحيوانية و لا شك ان هذا الطريق صعب مستغلق لا يليق الا بشأن
الانبياء و الاوصياء و الاولياء العظام الذين هيمنوا على انفسهم اتم
هيمنة و ملكوها اتم ملك و كانت محكومة لهم لاحكامه عليهم و مثل هذه
النفوس في تاريخ البشرية عزيز الوجود جدا بخلاف الطرق الاستدلالية
و النبوغ في النقد و الرد فان واجدى ذلك كثيرون .

و من هنا يعلم ان العمل اذا كان عن رصيد علم لا يحاذيه شيء
في العالم و ان العلوم المجردة عن العمل ربما كان ضررها على الفرد
و المجتمع لا يوزن بميزان و كما جرّبت البشرية الأسوء العظيمة الكامنة
في الجهل جرّبت ما هو اعظم من ذلك سوء في العلوم و اهلها تلك
العلوم التي خلعت اهلها من ربة الاعتدال و اركستهم في كل ضلالة
و اضلال و زينت لهم المفاصد حتى صاروا افسد من كل فاسد و اجهل
من كل جاهل و اقرب من كل تخريب و تحطيم و ابعد من كل بناء و تعمير .
ان الفساد الذي يتبطنه اهل العاهات الأخلاقية يستحيل

وجوده في غيرهم ممن لم يتبطن معلوماتهم وروحياتهم سواء في ذلك علوم المادة والطبيعة او علوم ما ينسب الى الشريعة فكلا الطرفين لا تراه الا الفاتك السافك الآفك الجريء على الدماء والاموال والحيثيات والكرامات كما شاهدته البشرية سابقا ولاحقا ماضيا وحاضرا فلا تسلسل عما يملك هؤلاء من صلافة وقاحة وجسارة وجرأة واستخفاف بالعالم وما فيه وكم في جملة هذه المكاتب استاذنا وتلميذنا من اخباث يحملون من الحقد على البشرية ما لم يكن يحمله ابليس على آدم في وقته فان يكن ابليس اغوى آدم فأخرجه من الجنة ومتعها والقاه في احضان الحوادث ترسب به وتعم فان هؤلاء الأبالسة الحقودين لعبوا بهذه البشرية ما بهت له كل شعور وعجز عن تفهمه كل لب وتعمى تفسيره على كل احد بما خلق العقد المتورمة في قلوب كثيرين حتى اذا صادفوا من الوقت منفذا اطاحوا على من تعقدوا منه بكل قواهم فأبادوه بالمرّة وهذا هو الذي يفسر لنا كثيرا من بوائق العالم ومهلكاته ومخرباته ومدمراته .

وهذه المجارى هي التي وقفت في صدور الكثيرين فجعلتهم ينكرون الخالق بالمرّة بل ينكرون وجود الرحمة في غرائز الانسان وانه عند هم اخطر من الذئب والافاعي المحرقة بسومها فان الانسان غاية ما يتعقل من حقد واحد على آخر اطاحته به ولكن لا يعود يعقل معنى لقتل اطفاله او الفتك بعياله او احراق زرع او تهديم بيته فان هذه المطالب بعيدة عن مورد الحقد لا ترتبط به الا بنسبة لا تتكهرب بتيآره لانها وجودات منحازة وقد فعل الحاقدون من البشر كل ذلك و اضافوا عليه ما لا يعقلونه ايضا عيئا و افسادا في حال ان الحيوان الضارى محدود في تركاضه ومهما كانت ضراوته .

و الذين ادّعوا التصوف و العرفان و صار لهم بذلك صوت وصيت و شابت شعورهم عليه رأينا العديد منهم لا تبلغ الطواغيت مبلغهم فى الغطرسة و لمسنا آحادا منهم يقصر الحجاج و تيمور عنهم وما اقصر نطاق العبارات عن تجسيم ما احتضنه العيان منهم تدميرا و تخريباً و لا ندرى ان العرفان الذى يزعمونه لا نفسهم يكمن فى آية زاوية من زوايا وجودهم و ان الله الذى سلوكوا اليه اى اله هو ومنشأ كل هذا وذاك ان التشبه بالاخيار احد الأسباب التى يتشبث بها الزنادقة الحاقدون و الكثرة الطافحة فى صحن الوجود عوام قشريون لا يدركون غير الظاهرة المظلمة و اعجابهم بما يجهلون اكثر من اعجابهم بما يدركون و يعرفون و شطحات التصوف و العرفان عندهم من هذا القبيل و هذه الاغتيالات التدليسية و الاصطيادات التمهوية لما تميّزها من تميّزها طغى به سوء الظن فحكم على كافة المثاليات بانها فخاخ مصطنعة ولم يفرق فيها بين الواقعيين و المشبهين و ربّما ادّى سوء الظن هذا ببعضهم الى انكار ما وراء الطبيعة رأساً و استرسل حتى انكر المعنويات اساساً واتهم كل انسان فعل معروفاً و اتقى محرماً و اثرت هذه الروح فى المجموعة البشرية الرائجة على كل واقعى بالانزواء بل على اضمحلال فصيلته من الوجود بالمرّة، وهاهى زوايا الاهمال اليوم قد انطوت على اناس رجوا من المستقبل ان يكون لهم احسن ممّا مضى عليهم و اذا بهم قد عزلتهم الوحدة و الوحشة عن المجتمع و اخذ يمشى توّاً فيه كل لقيط مبتذل و سافل منحط و ان طلع بمطالع الملائكة و اللاهوتيين وكأنّ هناك يدا فعّالة قد هاج بها رمز استعمارى لتوقع بأسس الدين و الحقيقة و تقلعهما من جذورهما .

* * ((سورة بنى اسرائيل)) * *

هى مكية كلها واستثنى بعضهم خمسا او ثمانيا من آياتها ووسم ذلك بأنه مدنى وآيها ١١١ آية وفضلها كثير .

* (بسم الله الرحمن الرحيم : سبحان الذى

اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى

المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من

آياتنا انه هو السميع البصير : وآتينا موسى

الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا

تتخذوا من دونى وكيفا : ذرية من حملنا مع

نوح انه كان عبدا شكورا) *

التسمية حيثما تكون فال بالخير وتيمن بالرحمة ، سبحان كلمة تقال للتنزيه ولا تساق الا لله اذ لا منزه سواه وانتصابها على المصدرية وقد تستعمل للأستعجاب والأستغراب فيقال عند مشاهدة العجائب والغرائب سبحان الله وفى الحديث سبحان الله ان المؤمن لا ينجس والأسراء افعال من السرى وهو السير فى الليل والمسجد الحرام فى مكة والأقصى فى فلسطين والقطعى من مفاد الآيه ان الله اسرى بنبيه محمد من مكة الى فلسطين ليلا ليريه بعض غرائب الكون والخلقة حتى يستحکم ايمانه بربه وهو اعجاز فى ذاك الدور بالنسبة الى وسائله الدارجة فيه عملا وجاء فى عدة احاديث بل فى عديد يفيد التواتران هذا الأسراء كان عروجا بالنبي الى عالم السموات وهبوطا بعد ذلك الى الأرض فى فلسطين ومنها الى مكة بدورة خاطفة بالنسبة الى ما ذكر

فى مضامين تلك الأحاديث من مواطن والقضية بما دّتها الجمليّة ممكنة فى التعقل متى حصل الأعجاز والأعجاز على الله غير محدود القدرة سهل فاستغراب ذلك من وجهة طبيعية حق ودعوى امتناعه من طريق العقول باطل لثبوت الأمكان فى نفسه ونصّ القرآن على تحقّقه فكلمة سبحان هنا كما يجوز ان تكون للتعجب من مساقها وهو مضمون الأسراء او المعراج يجوز ان تكون للتنزيه من نسبة الخرافات بزعم الملاحدة اليه حيث ينكرون هذه المحتويات ولا يقولون بها وان اعترفوا بمبدأ جمليّ للكون والكائنات ومباركة الله حول المسجد الأقصى باعتبار ان هذه الأمكنة منازل للوحى والنبوّات او انها ثريّة بالخيرات من اراضى عامرة ومياه وافرة وزروع ونباتات وفواكه متنوّعة متوفرة والأمر كذلك فى هذه البقاع أسرينا بمحمّد لنريه بعضا من آياتنا الدالّة على عظيم قدرتنا وضمير انه يجوز ارجاعه لله تعالى باعتبار علمه بكل المسموعات والمبصرات كما يجوز ارجاعه للنبيّ (ص) بأنّه لا يتكبر عن سماع من يكلمه وان تكبر عن ذلك الكثيرون ويُبصر حين يُبصر عن عبرة وتحقّق لما يبصره وان كان الأعتبار الأوّل هو الأوّل لشيوع اطلاقه على الله سبحانه دون غيره وآتينا موسى عندما جاءنا لميقاتنا التوراة ليكون هذا الكتاب هاديا لمسيره بنى اسرائيل وغيرهم من المؤمنين بموسى مع الحياة وجاء فى مضامين هذا الكتاب منع المكلفين عن اتخاذ وكيل غير الله يعنى لا يجوز التوكل على غيره لأنّ ازمة الأمور بيده وحده وان بنى اسرائيل امتداد من بشر لازم الأيمان بالله واعترف به حتى تتصل حلقاته بالمؤمنين الذين انجاهم الله فى سفينه نوح زمن الطوفان وهذا مدح من الله لهم بذلك ان نوحا كان عبدا شكورا لمولاه وسيق هذا المدح لنوح باعتباره ذكره الاستطراذى عندما قيل ذريّة من حملنا مع نوح جاء فى

الآثار ان نوحا كان عبدا لله كثير الشكر وكان اذا لبس ثوبا او اكل طعاما او شرب ماء حمد الله وأثنى عليه .

* (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن

فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا : فاذا

جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولى

بأس شديد فجاؤا خلال الديار وكان وعدا

مفعولا : ثم ردنا لكم الكرة عليهم

وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا :

ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان اسأتم فلها

فاذا جاء وعد الآخرة ليسوء وجوهكم وليدخلو

المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا

تتبيرا : عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا

وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) *

قضينا الى بنى اسرائيل بمعنى افضا اليهم بما فى علمنا من طريق التوراة التى انزلناها لتكون نظاما لهم لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا متكبرين متجبرين اما عقيب الأفساد الأول وما يكون فيه من طغيان وعدوان فنبعث عليهم عبادا لنا اى بشرا ممن خلقنا ولا يستدل من كلمة لنا انهم عباد صالحون بل الجميع عباد الله اولى بأس شديد وتصميم قهّار وعزيمة لا تتشظى فيوقعون بكم اشد ايقاع ولا يكتفون بالظاهر الرائج بل يتتبعونكم حتى فى زوايا البيوت ولا بد من كينونه هذا الوعد ثم بعد هذا الأيقاع نعود لأنعاشكم وامدادكم بأموال تزيد على ما كان عندكم وبنين تكثر على من فقد منكم ونجعلكم اكثر

نفيرا من السابق فبعد هذا الأنعاش وتجديد الحياة لكم ان جررتم
 ايد يكم عن عمل الجريمة وارتكاب السيئة كان ذلك منكم احسانا لأنفسكم
 وتمشيه لمستقبلكم على احسن حاله وان اغرتكم النعمة بعد النعمة فسوء
 ذلك لا يتحملة سواكم فاذا جاء وعد المرة الثانية فان وجوهكم المنبسطة
 وحياتكم الفارهة لتسوء وتنكمش وتسود من تراكم الحوادث وتظلم
 وليد خل هؤلاء المنتقمون المسجد عليكم كما دخله المنتقمون الأول
 وليهلكوا كل ما سيطروا عليه اهلاكا ماحقا وبعد الأيقاع بكم للمرة الثانية
 عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم للسوء عدنا للأنتقام فى الدنيا وجعلنا
 جهنم للكافرين حصيرا اى حاصرا لا مطلع لهم منه كالسجون المقفلة ، جاء
 فى بعض الآثار ان المرة الأولى المشار اليها فى هذه الآيات هى
 غزو بخت النصر لهم حيث اسرهم جميعا وخرب مسجدهم واتى بهم الى
 بابل حتى استولى عليه كورش فأفلتهم وردّهم الى اوطانهم وفى المرة
 الثانية استأصلهم ملك من ملوك الروم وخرب مسجدهم وبقي خرابا حتى
 بنى رمن استيلاء المسلمين على فلسطين .

* (انّ هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات انّ لهم اجرا كبيرا : وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما : ويدعو الأنسان بالشر دعائه بالخير وكان الأنسان عجولا : وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم و لتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) *

ان هذا القرآن بما فيه من متنوع المعارف والأستدلالات المتينة يهدى كل من يستهدى به للطريقة التي هي اتم الطرائق واقومها ويبشّر الذين يتبنون الأيمان عقيدة والصالحات اعمالا بأن لهم يوم الحساب اجرا كبيرا وثوابا جزيلا وينذر الذين يلحدون بالحق ولا يعملون به بأن الله اعتدّ لهم عذابا اليما ، الأنسان ينساق مع رغباته وشهواته انسياقا يدل على خفته وانه لا يملك اطمئنانا ولا استقرا را فيدعو الله لتحقيق الشرّ الذي يريده احيانا دعائه بالخير الذي فيه صلاح وفلاح ، كل شيء وكل حالة لشيء آية وعلامة يستدل بها على وجود المؤثر والمغيّر فالليل وهو انسلا ب النور عن السمات المخالف للشمس من الكره الأرضية آية والنهار الذي هو اسباغ النور على السمات المواجه لها آية فمحونا آية الليل اى محونا الليل الذي هو آية فلم نجعله زمانا للأفاضه فى الأعمال والأشغال وجعلنا آية النهار مبصرة لأنّ نور النهار هاد ودليل لمن يريد عملا يعمله وشغلا يقضيه ومن تداول الليل

والنهار تكون الأيام والشهور والسنون ويعرف حساب كل شيء وكل شيء في عالم الخلقة فصلناه لمن يريد تحليله وتفصيله ليقف على قراراته ويتحقق من حقيقته .

* (وكلّ انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا : اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا : من اهتدى فأنا يهتدى لنفسه ومن ضلّ فأنما يضلّ عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معدّين حتى نبعث رسولا) *

الطائر هنا هو العمل وجهة التشبيه به ان الأعمال الظاهرة التي لها الكثرة بين الناس يشيع امرها ويمشى خبرها بين الناس كالطير يسبح في الجو فينتشر وجوده في كثير من الأمكنة وإنما نسب سبحانه لزوم العمل لعنق الإنسان دون سائر جوارحه لان العنق ابرز جوانبه وهو محط القلادة في الخير والغلّ في الشرّ ونجسّم له عمله يوم القيامة كأنه كتاب مرقوم منشور يقرؤه الانسان ولو على بعد ، اقرأ كتابك ليس المنظور بالقراءة التلاوة للمكتوب اذ لا كتاب في الحقيقة الاّ العمل وإنما المنظور هو الأقرار بما عمل سواء كان حينما عمل متخفيا ام جاهرا ولا شك ان الإنسان المتذكر لعمله هو ادرى بعمله من كل احد كما لا شك ان من يهتد ويصلح تكن هدايته بنفعه وصلاحه لنفسه وان من يضل يكن ضلاله عليه وفساده منسوباً ومحسوباً عليه ولا يتحمل انسان عمل غيره نفعاً وضرراً الاّ اذا كان جزءاً عله فيه هذا مضافاً الى ان الجهل عاصم لصاحبه من المؤاخذه حتى يعلم بشئ اسباب العلم .

* (واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
فسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا : وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح
وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا : من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشا لمن
نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما
مدحورا : ومن اراد الآخرة وسعى لها
سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا:
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان
عطاء ربك محظورا : انظر كيف فضلتنا
بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر
تفضيلا : لا تجعل مع الله الاها آخر فتتعد
مذموما مخذولا) *

الأرادة والأمر هنا ليسا على معناهما الحقيقي اذلا معنى لأرادة
الهلاك اعتبارا ولا تعليقها على امر المترفين بالفسق ثم العقاب بعد
ذلك بل المجرى المعقول هو ان ينعم المولى على العبد فتحمله
النعمة على الترف ونفسه على التوسع فى الملاذ محرمة ومحللة وارتاب
المحرّم يوجب الفسق والفسق يكون منشئا للعقوبة فمساق الآيه يكون
بهذا التقدير ان ارادة الأهلاك عقوبة للفرد والمجتمع مبعوثة عن تنجيز
الأوامر والنواهي بالطاعة للواجبات والمعصية لفعل المحرمات ومتى
حصلت المخالفة فلم يؤت بالواجب ولم يترك فعل المحرم تحرك منشأ
الأرادة بالعقوبة ومتى تمت الأرادة حصل التدمير فأن قيل الفسقة

مخصوصون بالمترفين فكيف يجوز تدمير القرية بأسرها وفيها من ليس من اهل الترف والفسق قلنا ان التدمير لا يأتيها مباشرة بل قد يبقى من ليس بفاسق ولم يصبه العذاب والتدمير ولكنه يرتفع من اجل الوحشة تعتريه لانهايار معظم القرية وفناء المعتد بهم من اهاليها وهذا موجود فى الأماكن التى تصاب بالزلازل او الطوفان او الأعصار ويسلم منها جزء فهذا السالم لا يعود يحمد بقاءه فى المنطقة، وكما اهلكناكم هنا خبرية بمعنى التكاثر والمراد بالقرون هنا اجيال الناس والمنظور بهـذا الأهلك العقوبة، من كان يريد العاجلة من النعم ولا يهتف عن حلال كانت ام حرام بحق كانت ام بباطل فربما استجبنا لبعض دون آخر وطبعاً لا بد ان تكون هذه الاستجابة عن مصالح واقعية وان كانت لا تتعلل من ظاهرها والذي يستجاب له بهذه النعم العاجلة التى ارادها من اى طريق كان لاشك انه يتحمل باطنا مظلماً وضميراً فاسداً وفساد الضمير يحمل على فساد الجارحة وفسادها هو المعصية والمدحور هو المبعد المطرود عن رحمة الله ولطفه، أما الذى يريد الفعل البناء من الحسنات والصالحات وفعل ذلك جهد طاقته وكان رصيده الأيمان بالله وبشريعته فسعيه لاشك يكون مشكوراً لله والناس جميعاً أما الله فلا يكتفى من نفسه بالرضاه بل يكيل له الجزاء الأوفى فى الآخرة، الله للأختبار يمد كل من يشاء امداده والحك بالنعمة هو الذى يميز الفاسق عن غيره والمطيع عن العاصى وليس عطاء الله مخصوصاً بالصالحين مصروفاً عن الطالحين، انظر يا محمد كيف فضلنا فى الحياة الدنيا بعضهم على بعض فى الرزق ارادة للأختبار وكشف النفوس كذلك الآخرة ذات تفضيل لكن بالأستحقاق لا بداعى الأختبار ان لا يختبار يومذاك، لا تتخذ يا محمد وهو من باب اياك اعنى واسمعى

التفسير ج ٥ توحيد الله والبر بالوالدين من الحسنات المرموقة ٢٠١
ياجاره مع الله الذى هو علم على علة العلل شريكا تنيط به التأثير فى
العوالم فانك اذا كنت كذلك فقد هدمت عقيدتك وبؤت بالفشل .

* (وقضى ربك الآّ تعبدوا الآّ آيّه وبالوالدين

احسانا آّمّا يبلغنّ عندك الكبر احدهما او

كلاهما فلا تقل لها افّ ولا تنهرهما وقل لهما

قولا كريما : واخفض لهما جناح الذّل من

الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا :

ربّكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين

فآّنه كان للأوابين عفورا) *

قضى ربك بمعنى الزم المكلفين الآّ يعبدوا سواه لأنّ غير واجب
الوجود ممكن لا يكون علة العلل وقضى على المولود ان يبرّ بوالديه
ويحسن اليهما مكافأة لهما على ما اجهدا به انفسهما فى تنميته وتربيته
آّمّا يبلغنّ عندك الكبر احدهما او كلاهما ويصيّران شيخين قد اعطيا
قوتها واستقلالهما بأنفسهما وربما يؤدى ذلك بهما الى ان يفقدا
بعض حواسهما ويصدر عنهما ما فيه خلل فى الأفعال والأقوال فلا تقل
لها افّ وهى كلمة تضجّر ولا تنهرهما بلفظ او بفعل وقل لهما قولا
مؤدبا ، وخفض الجناح من الطائر على افراخه وبيوضه من امارات الرأفة
والرحمة والمحبة لا الذلة والأستكانة وادع لهما الله ان يرحمهما جزاء
ماربياك وانت فرخ صغير حتى كبراك فصرت قويا فى اشدك ، ربّكم باعتبار
آّنه يعلم السرّ وما يخفى اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فى نفوسكم
وطبعا يظهر ذلك على جوارحك فان الله للراجعين اليه فى غايّة
الرحمة .

وعلى اثر ما ساقه تعالى من هذه الأخلاق الراقية يحق ان نتعرض لعنوان - الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة - فنقول فى القرآن والأسلام ادب وثقافة فى جميع ابعاد الحركة التقدمية البشرية وانتشالها من برائن الوحشية واللا ابالية وليس المقصود منها الا تهذيب النفوس وروحانيتها حتى يذوب الباطل من جهة ويستثمر الانسان نفسه لصالحها احسن استثمار علمى عملي وحتى يثبت للجميع ان الحياة مخلوقة لحكيم وليس بفلتة كما يراها الماديون وانه لم يرد بالفرد البشرى الا صلاحه وفلاحه ونجاحه وسعادته لا بؤسه وشقائه وتعريضه للبلاء وان كل ما اصاب البشرية من انهيارات وشقاوات فهو من تخبطها فى تحصيل الجاه الفارغ والمطامع الفاسدة والشهوات العارمة هذا التخبط الذى اركسها فى المهوى طوال امتداد القرون بها ولولا ذلك لما رأيت الحياة على ضوء احكام الشريعة وهذه الآداب البديعة الا حياة ملائمة يستسيغها كل احد وينعم بها كل انسان ولا يبقى فى النفوس شىء الا ما تقوم به تمخضات الطبيعة احيانا من اعصار او طوفان او زلزلة او صاعقة ونظير ذلك وهذا فى مجارى البشرية العامة يعتبر عاديا واستثنائيا ولذلك نرى علماء النفس لا يعيرونه بالا فى سعيهم وراء اسعاد البشر وجلب الخير له ودفْع الشرور المطيحة به على ان علماء المادة الذين يحاولون انقاذ الحياة من برائن هياج الطبيعة احيانا واصلوا سعيهم فى تقليل ويلات السيول والأعاصير والزلازل بتمهيد وسائل الوقايه ونجحوا فى كثير منها ، ولكن مع الأسف كله لم يراع احد موحدا كان ام ملحدا مثقفا ام غير مثقف اقل القليل من هذه الآداب الناضجة بل وتجافى عن الكثير من الأنظمة الجازمة والأحكام اللازمة وجاء اهل العقول يكدون افهامهم واجسامهم فى خلق المشاكـل

للمجامع من ناحية واختراع الوسائل المغرية والمبيدة من ناحية ثانية
 ففي ازمته الصلح لا ترى الاّ عبدة المخمورين وزجل الراقات والمغنين
 ونزو الفرد على الفرد وحتى في اشباه المعابر والمجامع وفي ازمته
 الحرب وما اكثرها في الآوان الأخيرة لا تبصر الاّ قتلا ذريعا واضطرابا
 واسعا وتهديما للأوطان وتخريبا للعمران وارتباكا وازعاجا وخروجاً عن
 كل خطة فسلام على الوحوش ازاء هذه الثقافات المخزية المردية ، ومع
 كل هذه الهنات الموجعات لا ترى ولا تلمس من ينكر على هذه المنكرات
 بجّد وحقيقة وغايه ما تشهد وتسمع انتقادا عاريا وانكارا اجوف لم يغيرا
 من مسيرة الزمن شيئا اصلا بل كلما استجدّ الزمان كثر الفساد والتفسخ
 والقتل والفتك والأغارة والتعذيب غير المتصور والتبليل غير المحتسب
 وترى في هذه المضامير من ارتكاس الحق وتناهض الباطل مالم يخطر
 لك ببال بلا فرق في ذلك بين من يدعى الإسلام ويدعو اليه وممن
 لا يدين ويبحث عليه ومن تزياً بزىّ شيطان او تجلبب بجلباب الرحمن
 — تعددت الأسباب والموت واحد — على ان الشرق اصبح اليوم اخسّ
 من الغرب والممالك الموحدة اقدر من الملحدة والمسلمة منها اشقى من
 غير المسلمة والداعى الى الله انجس باطنا من الزامّ عنه فيا لله لهذه
 البشرية التي لم تلمس صدقا الاّ من انبيائها ومن درج على مدرجتهم
 بواضح العيان والمعاشرة على طول الزمان وما اقلّمهم في هذا الكون
 الهائج والعالم المائج ، فمن تلك الأخلاق العالية والآداب الراقية .

(١) قوله تعالى (المتحنة ٨ وما بعدها) لا ينهاكم الله عن

الذين لم يقاتلوك في الدين ولم يخرجوك من دياركم ان تبروهم وتقسطوا
 اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوك في
 الدين واخرجوك من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولّوهم وممن

يتولهم فأولئك هم الظالمون ، يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا يأتين ببهتان يفتريه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن .

(٢) وقوله (المجادلة ١١) يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسّحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا .
(٣) وقوله (النجم ٣٢) الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش الاّ اللهم ان ربك واسع المغفرة (٣٨ و ٣٩ منها) الاّ تزر وازرة وزر اخرى وان ليس للانسان الاّ ما سعى .

(٤) وقوله (الحجرات ٦ وما بعدها) ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، انما المؤمنون اخوة ، لا يسخر قوم من قوم ولا نساء من نساء ، ولا تنازروا بالألقاب ، اجتنبوا كثيرا من الظن ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

(٥) وقوله (الفتح ٢٩) اشداء على الكفار رحماء بينهم .

(٦) وقوله (الشورى ٣٨) وامرهم شورى بينهم .

(٧) وقوله (المؤمن ٧٥) ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير ر

الحق وبما كنتم تمرحون .

(٨) وقوله (الزمر ١٨) الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

(٩) وقوله (الأحزاب ٢١) لقد كان لكم فى رسول الله اسوة

حسنه .

(١٠) وقوله (لقمان ١٨ وما بعدها) ولا تصغر خدك للناس

ولا تمش فى الأرض مرحا واقصد فى مشيك واغضض من صوتك .

- (١١) وقوله (القصص ٨٤) من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون .
- (١٢) وقوله (النور ٢٧ وما بعدها) لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ، فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقيل للمؤمنات يغضن من ابصارهن .
- (١٣) وقوله (الأسراء ٢٩) لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا .
- (١٤) وقوله (النحل ٩٠) ان الله يأمر بالعدل والأحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (٩١) واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها .
- (١٥) وقوله (الحجر ٨٨) لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين .
- (١٦) وقوله (التوبة ٧١) والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (و : ٣٤ منها) والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم .
- (١٧) وقوله (الأنفال ٤٧) ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين .
- (١٨) وقوله (الأعراف ٨٥ وما بعدها) فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله .
- (١٩) وقوله (الأنعام ١٦٠) من جاء بالحسنة فله عشر امثالها

ومن جاء بالسئته فلا يجزى الا مثلها .

(٢٠) وقوله (النساء ٩٥) وفضل الله المجاهدين على القاعدین

اجرا عظيما ، و (٥٨) ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى اهلها و اذا

حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل .

(٢١) وقوله (النساء ايضا ٣٦) وبالوالدين احسانا وبذی القربى

واليتامى والمساكين والجار ذی القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب

وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا .

(٢٢) وقوله (آل عمران ١٣٤) الذین ینفقون فی السراء والضراء

والكاظمین الغیظ والعافین عن الناس والله يحب المحسنین ، و (١٠٤)

ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

و (١٠٣) واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .

(٢٣) وقوله (البقرة ٢٦٤) لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى

و (٢٤٥) من ذا الذی یقرض الله قرضا حسنا فیضاعفه له اضعافا

كثیرة .

(٢٤) وقوله (الأعراف ١٩٩) خذ العفو وأمر بالعرف و اعرض

عن الجاهلین .

(٢٥) وقوله (الفرقان ٦٣) وعباد الرحمن الذین یمشون على

الأرض هونا و اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذین اذا انفقوا لم

یسرفوا ولم یقتروا وكان بین ذلك قواما ، ولا یقتلون النفس التى حرم

الله الاّ بالحق ولا یزنون ومن یفعل ذلك یلق اثاما ، والذین لا یشهدون

الزور و اذا مروا باللغو مروا كراما .

فلو ان المجتمع البشرى اخذ بشئ من هذه التعالیم الموقرة عملا

لعاش فی سعاده ما منها اليوم عین ولا اثر ، نعم لم یعمل بذلك فى

جميع مضامير الدهور الآتية من الأفراد صدقوا البشرية فيما دعوا اليه من نبي و وصي و عالم و ولي متعهد ملتزم حكهما الزمان على طول اعمارهما واما من سوى اولئك فليسوا الا ظالما متهجما او دجالا محتالا او مرتزقا ساقطا يعمل للدرهم من اي يد عاملته او مظلوما قليل الحول والطول .

* (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل

ولا تبذر تبذيرا : ان المبدرين كانوا اخوان

الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا : واما

تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها

فقل لهم قولا ميسورا : ولا تجعل يدك

مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط

فتتعد ملوما محسورا : ان ربك يبسط الرزق

لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا) *

الحق على قسمين حق واجب في الشريعة وحق واجب في الأخلاق والحق الواجب في الشرع نظير الزكاة والكفارة والحق الواجب في الأخلاق المواصلة و آيتاء ذى القربى بمعناه العام حقه هو صلته بشتى انواع الصلة ومعناه الخاص الخمس وآت المسكين حقه الشرعى والأخلاقى وكذلك ابن السبيل ولا تبذر في الشهوات تبذيرا واما الخيرات فلا سرف فيها والمراد بكون المبدرين اخوان الشياطين انهم عابثون كما ان الشيطان عابث في شيطنته وكفر و عدم شكر الشيطان لربه واضح في تمرده عليه وعدم رضوخه لطاعته وحيث يكون منك اعراض وعدم استجابة للقريب والمسكين وابن السبيل لانك تفقد ما به تستجيب لهم

وتكل ذلك الى رجاءك بربك فلا تخشّن لهم فى الجواب والطف بهم وقل لهم قولاً مَرناً حسناً ولا تبخل على نفسك ولا على غيرك تروم بذلك القصد فى المعيشة كما لا تبسط يدك بسطاً ينم عن عدم التدبير فتقعد بعد الأعواز المضى ملوماً لاجبابك منقطعاً بك وان كان رزق الله غير محدود على عباد ه ولكنه غيب لا يعلمه الأنسان فلا يجوز له ان يكمل امره الى ما لا يعلم .

* (ولا تقتلوا اولادكم خشية اطلاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيراً : ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلاً : ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الاّ بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل انه كان منصوراً : ولا تقربوا مال اليتيم الاّ بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده ووافوا بالعهد انّ العهد كان مسؤولاً : ووافوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير واحسن تأويلاً) *

قتل الأحياء من الناس الاّ بداع من داعيين القصاص او الأفساد فى الأرض من ابغض الأشياء الى العقول اولاداً كانوا ام اجانب عن اطلاق كان القتل او عن تبرم غيره واذا فرض اطلاق الأنسان لدرجة الصفر لم يكن مبرر مع ذلك لا ارتكاب اقلّ ايداع فى حقه فأن الأطلاق الى هذا الحد يميت الأنسان بنفسه فلا تكون ورائه لائمة على اى انسان آخر فاحشيه الزنا تختلف شدة وضعفا باختلاف حال المتلبس به

ولا يسقط قبحه في كافة الحالات، وقتل النفس بنحو مطلق ممّا يستفاد من تحريم قتل الأولاد بالأشعار إلاّ ان الأول لما كان خاصاً نصّ بما يفيد التعميم لكل نفس الآ فاقدة العصمة والذي يقتل بغير حق مظلوم لوليّه القصاص من قاتله وعدم الأسراف في القتل ان لا ينضمّ معه ما يوجب الأذى وراء ازهاق النفس او الأهانة بعد القتل بالتمثيل وغيره واليتيم هو الفاقد للوليّ الذي يقوم على امره بحدب وعطف بالغريزة وذلك هو الأب نوعا بشرط عدم البلوغ فأنه لا يتم معه والقرب من ماله هو التصرف به فاذا كان بالمعاهدة والمراعاة والحفظ والضبط لم يكن فيه بأس بشرط كون المتصرف يملك الولاية الشرعية أمّا من له الولاية بالأصل كإيحاء الأب بذلك او بالعارض كولاية الحاكم الشرعى، والعهد هو الألتزام بعهدة امر مشروع راجح فأن الوفاء به لازم ومنه إيفاء الكيل والوزن في المعاملة والقسطاس المستقيم هو الميزان العادل الفاقد للزيف والعوج، واحسن تأويلا بمعنى احسن مآلا وعاقبة .

* (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
والفؤاد كلّ اولئك كان عنه مسؤولا : ولا تمش
فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن
تبلغ الجبال طولا : كلّ ذلك كان سيّئه عند
ربك مكروها : ذلك ممّا اوحى اليك ربك من
الحكمة ولا تجعل مع الله الاها آخر فتلقى فى
جهنم ملوما مدحورا : افأصفاكم ربكم بالبنين
واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا
عظيما) *

لا تتبع يا محمّد وكل مكلف مثل محمّد بطريق اولى ما ليس لك به علم
من اى طريق يكون سمعا ام بصرا ام وجدانا فتقول رأيت ولم تر بعينك
وسمعت ولم تسمع بأذنك واجد من نفسى ولم تجد من نفسك فان كلا من
السمع والبصر والفؤاد باعتبار صاحبها مسؤول عمّا ادعى ولا تمش الخيلاء
فى الأرض فانك يا هذا الأنسان ومهما تكن لن تخرق الأرض بخيلائك
فأنّ هذه الحالة لامفعول لها فى الأرض ولا غير الأرض ولن ترتقى
معها الى قمم الجبال ، كل من القول بغير علم والتكبر سيّئه مبغوض
عند العقلاء فكيف باللّه تعالى مثال القدس والطهارة هذا الذى سلف
ببانه ممّا اوحاه اليك ربك من الحكمة وتحقيق الأحوال والصفات وبالآخرة
لا تجعل مع الله الاها آخر يشترك معه فى عليّة الكون فانك مع عقيدة
الشرك تلقى فى جهنم وتلام على هذه العقيدة وتطرد عن ساحة لطف
الله من اجل ذلك ومن المعتقدين باللّه انه جسم اعتقادهم بان هذا
الربّ اصفاهم بالبنين اى الأولاد الذكور واختصّ هو بتبنيّ الملائكة

ويعتبرون الملائكة اناثا فى الجنس لتأنيث اللفظ انهم فى اعتقاد تجسم واجب الوجود وانه اصفاهم بالبنين واتخذ هو لنفسه الأناث وهى فى نظرهم الملائكة مخطأون لأن جميع ذلك غلط مفتضح ولذلك عبر عنه بأنه قول عظيم .

* () ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليزكروا وما

يزيدهم الا نفورا : قل لو كان معه آلهة كما

يقولون اذاً لابتغوا الى ذى العرش سبيلا :

سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً : تسبح

له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ وان من

شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون

تسبيحهم انه كان حليماً غفورا) *

تصريف القول هو اجراؤه فى شتى نواحيه وتصريف الله الأمثال والحجج والأستدلال إنما هو لتذكير المكلفين وافهامهم بوجهه الحجاج والمطالب لكن عمى القلوب المصرين على ما هم عليه لا يهتمهم من امر هذا التصريف شئ ، قل يا محمد للمشركين لو كان مع واجب الوجود آلهة يشاركونه فى التأثير والخلق والتغيير والتصريف اذاً لابتغوا منازعته ومقابلته ومغالبته شأن المتراقبين فى الأعمال والنفوذ والسلطة سبحان واجب الوجود عن احتمال الشركة فيه هذا الواجب الذى تسبح له السموات والأرض وكل ما فى العوالم من ساكن ومتحرك حتى وهامد مظلم ومنير وتسيح هذه الأشياء كلّها بلسان حالها ولو كان لها مقال لقاتلت على ان لسان الحال اثبت وادلّ من لسان المقال .

* (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا : وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا : نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا : انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) *

وحين تتلو القرآن يا محمد على مأل وفي مكان جاهر فالذي يمعنون في معانيه يستفيدون منه اتم الاستفادة والذين يناهضونه من صميم قلوبهم عداة وحقد ا فلا يتميزون منه اقل شيء لوقوف حجاب العداة بينهم وبينه وترى قلوبهم مصروفة عنه وآذانهم كأنها لا تسمع وحيث يسمعونك لا تذكر الا الله وحده ولا تتعرض لآهتهم بذكر يزعجهم هذا الأستثثار فيولون على ادبارهم نافرين منك ومما تتلوه وحين يستمعون اليك فأن الهدف من استماعهم اقتناص نقاط ضعف فيك ولذلك تراهم عندما يعوزهم القول بالحق يلجؤون الى التقول وانك مجنون او ساحر او كاهن او ما الى ذلك انظر واعجب من ضرب امثالهم فيك وكل تائه هكذا يكون وما دام مناوئا لا يبارحه هذا التيه والضلال .

* (وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون
 خلقا جديدا : قل كونوا حجارة او حديدا :
 او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من
 يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون
 اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان
 يكون قريبا : يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
 وتظنون ان لبثتم الا قليلا) *

الأستفهام الصاد رعن الملحدين والمشركين عن صحة البعث
 والنشور والأعادة من جديد استفهام انكارى اى كيف تعاد العظام
 النخرة وفتاتها خلقا مستجدا مكسوة بلحم وعصب وعروق وما هو رد يف
 ذلك من لوازم الأنسان الحى فقل لهم يا محمد فى جواب هـ اذا
 الأستبعاد ليكن ميّتم من الصلابة كالحجارة او كالحديد او ما هو اشد
 واقسى واصلب واقوى من ذلك فان تصرف الله به وتصريفه له مما يجعله
 اطوع من الغصن الطرى لسعاطفه واذا قالوا من ذلك المعيد فقل هو
 المبدأ الذى صنعكم ولم تكن لكم عظام ولا رفات وحينذاك تراهم
 كالمتوجه من غفلة او القائم من لوثته رافعين رؤسهم يحركونها من
 العجب والغرابة وتسمعهم يقولون متى تكون هذه العملية قل عسى ان
 يكون ذلك قريبا يوم ينفخ فى الصور بدعوة منه تعالى فتستجيبون بحمده
 اى حامدين له وان كنتم جاحدين من قبل وتظنون بعد قيامكم انكم كنتم
 نياما لاموتى قد مرت عليكم احقاب ودهور .

* (وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزع بينهم ان الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً : ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلاً : وربك اعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً : قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايتهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) *

قل يا محمد للمؤمنين يلتزموا ادب المحاورة فى المجادلات وغيرها فيقولوا كل كلمة هى احسن من غيرها ومتى فعلوا لم يجد الشيطان بينهم وبين خصومهم مرضاً ولا مساعفتة ومتى لم يفعلوا ذلك افسد الشيطان بينهم لأنه يترصد الوقعة بالإنسان مهما استطاع وقولوا للمشركين اعدائكم ربكم اعلم بكم وبما تسوقه عواقبكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم فان الحق له وما ارسلناك يا محمد وكيلاً مدافعاً عنهم بل انت بشير ونذير ، وربك يا محمد اعلم بجميع عوالم الخلق فكلاً يفعل عن داع معقول ومصالحة ملزمة ، وقد فضلنا بعض النبيين على بعض باعتبار عموم الدعوه وتحمل زحمت الرسالة والمفاداة على تحقيقها فى الخارج وآتينا داود كتاباً كما آتينا غيره من سنخه والزبور صار علماً على كتاب داود ، قل للمشركين يا محمد ادعوا شركائكم الذين زعمتم من دون الله

فستجد ونهم لا يملكون كشف الضرّ عنكم ولا تحويلا لحالتكم من حال الى حال ، اولئك الذين يدعون الله يتسبب الأقرب منهم الى الله فضلا عن غيره الوسيلة والذريعة الى تحصيل رحمته و دفع عذابه ان عذاب ربك يجب اخذ الحذر منه .

* (وان من قرية الاّ نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معدّ بوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا : وما منعنا ان نرسل بالآيات الاّ ان كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الاّ تخويفا : واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الاّ فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الاّ طغيانا كبيرا) *

يعنى لا يأتى امد انقطاع القرى من عالم الدنيا الاّ بأهلاكمها وافنائها لقيام القيامة فتارة بأفناء عادّى واخرى بتعذيب شديد وافنائهم والتعذيب الشديد لا بدّ وان يكون للقرى العاصية ، كان الأفناء العام ثم الأعادة العامة مسطورين فى الكتاب المحفوظ وهو علم الله ، وما منعنا فى دورك يا محمد ان نؤتيك مثل ما آتينا الأسبقين من سلفك من ناقة نظير ناقة صالح وعصا من طراز عصا موسى الاّ ان كذب بها الأولون بعدما سألوها فأطحننا بهم ونحن لا نريد ان نطيح بقومك فلا نؤتيهم ما طلبوه حتى لا يتسببوا من طريق تكذيبهم به الى هلاك انفسهم وآتينا ثمود قوم صالح الناقة آية ظاهرة نيرة لا يرتاب فيها احد فظلموا انفسهم

بسبب الأساءة لها وما نرسل بالآيات والمعجزات إلا انذارا للناس عن ارتكاب الخطايا ، واذكر حين قلنا لك آتفا ان ربك احاط علما بالناس لأنهم مخلوقوه فهو يعلم ما يسرون وما يعلنون وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة ومحنة ومحل نقاش للناس جاء في احتمالات هذه الرؤيا ان النبي رأى في منامه ان قروداً تصعد منبره وتنزل فسائه ذلك واغتم به ولا شك ان محتوى هذه الرؤيا صار في الخارج محنة عندما قبض بنو امية على ازمة الحكم ففعلوا ما فعلوا وعلى هذا المبني تكون الشجرة الملعونة في القرآن هي سلالة امية وتقد ير مساق الآية على هذا الفرض هكذا وما جعلنا الرؤيا التي اريناك وكذلك الشجرة الملعونة إلا فتنة ومحنة وابتلاء للناس ونحن لانزال نخوف المشركين والعصاة بما يطيح بهم فما تزيدهم هذه التوعيدات إلا طغيانا على الحق وتمردا على الوظيفة .

* (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا
ابليس قال ٤ اسجد لمن خلقت طينا : قال
أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن اخرتني
الى يوم القيامة لاحتنكنّ ذريته إلا قليلا :
قال اذ هب فمن تبعك منهم فأن جهنّم
جزاءكم جزاء موفورا : واستفز من استطعت
منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم
وما يعدهم الشيطان إلا غرورا : ان عبادى
ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) *

واذكر (بتذكيرنا) اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم تشريفا
وتعظيما لخالقه الذى سواه من طين انسانا سويا واجدا لصلاحيات بها
يستطيع ان يكون احسن فرد فى العالم بجدارة فامتثل الملائكة امر
ربهم فسجدوا إلا ابليس ابى ان يسجد مستنقضا لمن يسجد له واصله
من طين اوحده الأقل لا يراه مستحقا للسجود ولكنه ان استخفّ فأنما
استخفّ بأمر مولا له لا بشيء آخر وانتصب طينا اما على نزع الخافض
واصله من طين واما على الحال اى حال كونه متلبسا بحالة الطينية
قال ابليس مخاطبا لربه أرأيتك والكاف حرف خطاب لامحلّ له هنا من
الأعراب واصله أرأيت هذا المخلوق الذى كرمته عليّ لئن انسأت فى
عمرى وأخرت حياتى الى يوم القيامة لاحتنكنّ ذريته اى لآخذن منهم
بالمحكّ وهو مكان ادارة الحنك إلا قليلا منهم وهم الذين يهيمنون
على انفسهم وبهم القدرة على ادارتها فأجابه الله الى ذلك اختيار

للصالح من الطالح بأعمالهما التي تصد رعنهما بأختيارهما وقال له
 اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا اى كاملا لا ينقص
 منه ، واستفزز اى اجلب توجه من استطعت ان تجلبه اليك بصوتك واجمع
 عليهم مكائدك من خيل ورجال وكلّ خديعة و وسيلة واغوهم بجمع المال
 من حلال وحرام وتوليد المثل من مشروع وغير مشروع ومُنِّمهم بالأمانى
 واكثر لهم فى الأوعاد وما يعدهم الشيطان الآ غرورا وخديعة وتزويرا
 ان عبادى الذين اخلصوا فى ايمانهم وعبادتهم لربهم ليس لك عليهم
 سلطان اى لا تستطيع ان تغويهم وكفى بربك وكيفا مدافعا عن عباده
 المؤمنين به .

* (ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيمًا : واذا مسكم الضرّ فى البحر ضلّ من تدعون الاّ آياه فلمّا نجّاكم الى البرّ اعرضتم وكان الأنسان كفورا : فأمنتم ان يخسف بكم جانب البرّ او يرسل عليكم حاصبا ثم لاتجدوا لكم وكيلا : ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) *

يريد انّ من سمات ربكم تسهيله على عبده ومن هذا التسهيل جرى الفلك فى البحر براحة بداعى انجاح المقاصد واهمّها الكسب والتجارة وهو من لطفه بكم ورحمته لكم واذا صادف فى بعض مسيركم هيجان البحر عليكم هناك لاترون انفسكم عالقة الاّ به لكن مع الأسف انكم اذا نجوتم بأنقاده لكم اعرضتم عنه ونسيتم بسرعة ما اسداه لكم من بقاء انفسكم واموالكم وهكذا شيمة الانسان كفران النعمة تحسبون ان وصولكم الى الأرض محصنّ لوجودكم لكن هل تصورتم ان الموت ليس منحصرا بالبحر وحده فان الأرض يكون فيها زلزال ماحق وخسف ساحق فأمنتم ان يخسف بكم جانب البر الذى انتم عليه او يرسل عليكم من السماء حجارة كالمطر يحصبكم بها ثم لاتجدوا من يدفع عنكم او يحصنكم من بأسه هذا وليس ركوبكم للبحر ممّا ينتهى بمرّة او مرتين فقد تدعوك المقاصد ان تكونوا من ركابه طوال اعماركم ام امنتم ان يعيدكم اللّه فى البحر تارة اخرى وفى هذه المرّة يرسل عليكم ريحا تقصف الماء قصفا فتجعل ماء

القیعان متصلا بالأفق واعلاه اسفله فیغرقکم بسبب کفرکم بأنعمه ثم بعد اتلافکم لاتجدوا بعدکم من یطلب بثأرکم اذ لیست بأحد قدرة علی القدر .

* (ولقد کرّمنا بنی آدم وحملناهم فی البرّ والبحر ورزقناهم من الطّیبات وفضلّناهم علی کثیر ممّن خلقنا تفضیلا : یوم ندعو کلّ اناس بأمامهم ممّن اوتی کتابه بیمیئه فاؤلئک یقرؤن کتابهم ولا یظلمون فتیلا : ومن کان فی هذه اعمی فهو فی الآخرة اعمی واضلّ سیلا) *

صدر الآیات بیان لجهة امر الملائكة بالسجود تشریفاً لآدم وتعظیماً لرّبّه وخالقه وهو ان الأنسان قابل لأن یكون اكرم موجود فی المخلوقات بسبب ما یکسب لنفسه من صالحات وصفات فاضلات وعلی حساب تھیأة الصلاحيات والأسباب لترقیهم وتعالیهم یسرّنا لهم البرّ والبحر ورزقناهم من طیبات الرزق لیكون ذلك مادة تسهیلية لتقدمهم فی شرائف الأمور وفضلّناهم بعد ان ابرزوا انفسهم علی کثیر ممّن خلقنا تفضیلا ، غداً ویوم القیامة والحساب ندعو کل فرقة بما كانوا یأتمون به من انسان وطریقة او صنم ووثن فمن اوتی کتابه بیمیئه کنایة عن الخیر والصلاح فاؤلئک یقرؤن کتابهم مانوسین بما فیه ولا یظلم من حقهم اقل شیء ، ومن کان فی مجال الدنیا اعمی تائها ضالاً عن الطریق فهو كذلك یكون فی الآخرة فان الضلال لا ینتج سداداً ولا الجهل علماً ولا الشر والسوء شرفاً وخیراً بل واضلّ سبیلاً لأن جهل الدنیا وضلالها قابل للتداریک فیها بخلاف الآخرة فأنها دار جزاء فقط .

* (وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره واذ لا تأخذوك خليلاً : ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً : اذ لا ذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً) *

الإنسان العاقل السليم الباطن يهوى ان يحلّ المشكلات مهما استطاع بسلامة وكرامة وبطبيعة الحال رائده ودليله لله الذي يتبناه وقد يكون في عالم الواقع مخطئاً في عقليته ولا غضاضة عليه فان المجتهد اذا اصاب الواقع اجر واذا اخطأه فهو معذور لكن كيان النبوة غير كيان الفرد من العقلاء فان كيان النبوة نسخة من الواقع نفسه ولذلك كان قول وفعل وتقرير الأنبياء حجة لعصمتهم والعاقل ومهما بلغ في عقله لاحجية في اقواله وافعاله وتقريراته بحيث تكون مدركاً للفرد ومن هنا نعلم جهة قوله تعالى (النبيّ اولى بالمؤمنين من انفسهم) لأنّ المؤمن لا يدرك حتى من واقع نفسه ما يدركه النبيّ منه وعلى هذا الرصيد ورد في بعض جهات نزول الآية ان وفداً من ثقيف قالوا لرسول الله نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال لانحنى في الصلاة ولا نكسر اصنامنا بأيدينا وتمتعنا باللات سنة فقال (ص) لاخير في صلاة لا ركوع فيها ولا سجود واما كسر اصنامكم فهو اليكم واما الطاعة للآت فأنتي غير ممتعكم بها ولكنهم لم يقتنعوا بذلك منه واخذوا يصرون عليه حتى انزلت هذه الآيات وليس في هذا الأثر ما فيه مورد لأستجابتهم الا في قضية كسر الأصنام وانه اوكل ذلك الى رغبتهم فمن يكسرها هم او غيرهم وليس في هذا شيء من المحافة الا ان يكون الله يرى لزوماً كسرها بيد نبيّه

او من يقيمه مقامه وعلى كل حال فهذه ارادة لم تنفذ حتى تصير عملا خارجيا والهّم بالشىء قبل ان يتحقق ليس موضوعا لحكم شرعى وهو معنى كاد فى قوله وان كاد المشركون ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك بأن تقول ما لم يوح وان لم تنسبه الى الوحي فان قيل اذا لم يكن ما يقوله (ع) منسوبا للوحي فكيف يعبر عن هذه الحالة بالأفتراء والأفتراء هو تقصد الكذب اجيب بأنه عرف عن النبى من طريق القرآن انه لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فثبت فى الأذهان ان كلما يقوله بلسانه هو وحي فى حال ان ما اجاب به استصلاح من عنده لا من طريق الوحي وحيث تجيبهم الى بعض ما يريدونه يزرع ذلك الخلل فى نفوسهم لك لكننا تداركنا ما اجبتهم به فلم يقع فى الخارج غير ما نريده نحن ولقد كدت من تسامحك معهم تركن اليهم استصلاحا لشأنهم فيما تراه بعض الركون ولو انك ركنت اليهم لأذقناك ضعف ما نذيقه غيرك فى الحياة وضعف ما نذيقه ايضا بعد الممات لان الجزاء يتبع جرم المسؤولية ومسؤوليتك اكبر من مسؤولية الغير ولو اتنا فعلنا بك ذلك لم تكن تجد ناصرا ينصرك علينا .

* (وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك
منها واذأ لا يلبثون خلافاً قليلاً : سنة
من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا
تحويلاً) *

الأستفزاز هنا هو الأزعاج يعنى لما ثقل وجودك فى مكة بل فى
الحجاز بل فى الجزيرة العربية على اهلها ارادوا ازعاجك عن المحيط
كله ليخلو لهم الجو ولو انهم فعلو ذلك لما لبثوا بعدك فى قيد الحياة
الآ قليلاً من الزمان وذلك انه سلف من طريقتنا مع الأجيال الغابرة انه
متى اخرج قوم رسولهم من بين ظهرانيمهم اوقعنا بهم ومحققناهم محققاً
ولا تجد لسننتنا تحويلاً لأنها ليست قائمة بالتشهى بل بالواقع الصريح .

* (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل
 وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا :
 ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان
 يبعثك ربك مقاما محمودا : وقل رب ادخلني
 مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل
 لى من لدنك سلطانا نصيرا : وقل جاء
 الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا) *

اقامة الصلاة ترويحها بما يكون لها رواج وانتشار بين الناس
 ودلوك الشمس زوالها قيل هو مأخوذ من دكت عيني اى مررت جفونها
 لان الناظر الى الشمس وقت الزوال يجد اعياء من عينه امام مواجهة
 الشمس فعندما يصرف نظره عنها يدلكه حتى يعود الى حالته الطبيعية
 وغسق الليل ظلمته والتهجد هو القيام للعبادة فى وقت هجود الناس
 وركودهم بالنوم وزهوق الشىء انمحاقه والنافلة الزيادة على الواجب .
 اقم الخطاب للنبي وبالتمع امته الصلاة واحسن اقامتها ما يكون
 بجماعة لانها اشهر واظهر من الفرادى واجلب للنظر عند ما تزول
 الشمس فهناك تأتى صلاتان الظهر والعصر ومن بعد غروبها صلاتان
 المغرب والعشاء وينتهى وقت اختياريهما الى منتصف الليل وهو المراد
 بغسقه هنا ونصب قرآن الفجر عطفًا على الصلاة اى واقم قرآن الفجر
 وقرآن الفجر صلاة الصبح وذلك خمس صلوات وهى الصلاة اليومية وجاء
 فى الأثر ان صلاة الصبح تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ومن
 خصائص النبي (ص) انه يجب عليه ان يتهجد بالليل وذلك هو صلاة
 الليل المعروفة بين المتشرعة والترجى فى كلام المقتدر تحقق قوله عسى

ان يبعثك ربك مقاما محمودا بمعنى انه يبعثك لكن جىء بالكلمة تشويقا والمقام المحمود هو العالى المتميز عن سائر المقامات وقل يا محمد داعيا ربك ان يدخلك فى الحياة النبوية مدخلا ثابتا متقرا وان يخرجك من هذه الوظيفة آمنا سالما وان يجعل لك حجة تنتصر بها على الباقيين وقل ايضا جاء الحق بمجىء الأسلام وزهق الباطل بزهور الشرك ودائمًا يكون الباطل زاهقا جاء فى الأثر ان النبى دخل مكة وحول البيت ثلاثمأة وستون صنما فجعل يحطمهما ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا .

* (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

ولا يزيد الظالمين الا خسارا : واذا انعمنا

على الإنسان اعرض وناآبجانبه واذا مسسه

الشركان يؤسا : قل كل يعمل على شاكلته

فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) *

شفاء القرآن لمتدبريه الآخذين به هو رفع مستواهم من الجهل الى العلم ومن الرذيلة الى الفضيلة والظالم لنفسه المتكبر عليها والمعرض عن ارضاخها للحق خاسر لها لأنها تتلف بارتكاب المفساد والأنسان المنتزى دائما تغره النعمة وتبطره ويميته البؤس ويقنطه قل يا محمد للناس بعد تعريفهم الأيمان ونتائج الكفر ومساويه كل من المؤمن والكافر يعمل على مذاقه ورأيه فأن الله واهل البصائر يعلمون من هو الأهدى طريقه وسبيلا .

* (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا : ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا : إلا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا : قل لئن اجتمعت الأنس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا : ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا) *

يسألك الناس يا محمد عن روح الأنسان بما هو انسان لاعن الروح الحيوانية فانهم قد لا يجهلون ان قوام حياة الحيوانات بالأكل والشرب وما اليهما والأنسان في حياته الحيوانية من هذا الرديف ولكن الذي يدعوهم الى السؤال عن الروح للأنسان بما هو انسان له هيمنه وعظمته هو ما يرونه فيه من تشقق انواع المعارف عند خبرائه وفضلائه ولا يشكون انه وراء اكله وشربه ولبسه ولما كان الجواب لأولئك الأعراب بتشقيقاته العلمية ثقيلًا على افهامهم عدل فيه الى ما هو اخف فليلهم الروح امر من الله وارادة ارادها لهذا النوع من المخلوقات ولا بأس عليكم اذا لم تعلموا او فرو اكثر من ذلك فان ما اوتيتموه من العلم ومواهبه بالفعل شيء قليل وعلى مرور الزمن والتدرب عليه يسهن شيئًا فشيئًا ، ولئن اردنا ان نستردّ نبوتنا منك لكان ذلك ميسورا علينا ولما كان بك قدرة على استرجاع ما اخذ لا بنفسك ولا بمن يدافع عنك نعم المدافع الوحيد عنك وعن كل شيء آخر هو رحمة الله بمخلوقاته المقبله عليه الراجية منه ، وهذا

القرآن الذى هو سندك على نبوتك سند عظيم وقوة هائلة وقدرة عظيمة فان الأنس والجن لو اجتمعوا وكان بعضهم ظهيرا لبعض لما اتوا بمثله وذلك لما فيه من المعارف العالية والأمثال الراقية والأحكام المتينة والحقائق الثمينة بشتى صورها واساليبها على وجازة فى التعبير وادب فى التأليف ومع ما فيه من هذه المؤهلات ترى المنكرين له الجاحدين لحقائقه كثيرين .

* (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا : او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا : او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملائكة قبلا : او يكون لك بيت من زخرف او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا : وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا : قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) *

تفجير الشئ تشقيقه والينبوع محل نبع الماء والجنة البستان والكسف القطع والزخرف هو الذهب واصله النقش به جاء فى مورد نزول هذه الآيات ان جماعة من مشركى قريش واشرافهم اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلّموه وخاصموه فبعثوا اليه ان

اشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر اليهم ظاناً فيهم الخير فجاءهم
وجلس اليهم فقالوا يا محمد انا دعوناك لنعذر اليك فلا نعلم احدا
ادخل على قومه ما ادخلت على قومك شتمت آلهتهم وعبت دينهم
وسفّهت احلامهم فان كان الذي دعاك لذلك قلة في مال اعطيناك
او حبّ الرياسة عليهم سوّدناك وان كان فيك مرض عالجنك فقال لهم
ليس بي شيء من ذلك بل بعثني الله اليكم رسولا وانزل معي كتابا
بالحق فان قبلتم ماجئت به فهو المراد وان تردّوه على صبرت حتى يحكم
الله بيني وبينكم قالوا فاذا كان ربك فيه قدرة على كل شيء فاننا نعيش
في بلد يضيق بنا فاسئل ربك ان يسيّر هذه الجبال عنا حتى تتسع
ارضنا وان يجرى فيها انهارا نستدرّ بها الزرع والضرع فقال ما به هذا
جئت ولا ادعيته قالوا فان لم تفعل ذلك فاسئل ربك ان يبعث معك
ملكا يصدّقك او يجعل لنا جنات وكنوز وقصورا من ذهب فقال لم يبعثني
ربّي بذلك قالوا فأسقط علينا السماء كسفا كما زعمت ان ربك قادر عليه
فقال ليس هذا الیّ ولا هو من وظيفتي فقال ابو جهل ابى الّ سب
الآلهة وشتم الآباء وانا اعاهد الله لاحملنّ معي حجرا فاذا رأيتة سجد
ضربت به رأسه فانصرف رسول الله حزينا لما رأى من قومه .

وقال كفّار قريش لن نؤمن لك يا محمد حتى تفجرّ لنا ارضا القاحلة
ينابيع حتى تستدّر زروعنا وضروعنا وتكون عندك جنة فياحه تنبت الفواكه لونا
فلونا والورود نوعا فنوعا او تسقط السموات علينا قطعاً قطعاً حتى تبیدنا
ويصفو الجوّ لك وللمؤمنين بك او تأتي بالله الذي تتحدث عنه وبملائكته
الذين تصفهم لنا فنراهم مقابلة ومواجهة او يكون عندك بيت من ذهب
مزخرف نأوى اليه ونجلس فيه وتتخذة ناديا يجتمع اليك فيه من يريد
مواجهتك ومحادثتك او تصعد الى السماء وتأتى لنا بكتاب يؤيدك من

ربك وملائكته هكذا سألو منك حتى يتثبتوا من رسالتك اليهم ونبوتك
عندهم فقل لهم في الجواب مبدئيا من طرح أسألتهم الاستعجاب
والاستغراب سبحان الله هل كنت في ادعاء النبوة الا كواحد من البشر
جاء قومه هاديا ومرشدا ومعلما وهل من شرط الهادي كونه قادرا على
تسخير الطبيعة وتطويرها - قطعا لا - وجدة اغلب المتعنتين على
الأنبياء انهم بشر وليسوا ملائكة فقل يا محمد في جوابهم ان حقيق
المسألة ان يكون النبي الى البشر بشرا لا ملكا اذ لا ملاسة بينهم
ولا جنّا اذ لا سنخية ولا خلقا آخر اذ لا مناسبة فلو كان في الأرض
ملائكة يمشون كما تمشون ويطمأنون في سكنها كما انتم مطمأنون لجعلنا
رسولهم منهم لا من غير سنخهم فان المناسبات ضرورية المراعاة في هذه
القضايا .

* (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم انه كان بعباده خبيراً بصيرا : ومن يهد الله فهو المهتدى ومن يضل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ماؤاهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا : ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا اذنا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا : اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والأرض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون الا كفورا : قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى اذا لأمسكنم خشية الأنفاق وكان الأنسان قورا) *

قل يا محمد للمشركين الذى يشهد لى بالنبوة ويكون حكما بينى وبينكم هو الله فان قيل كيف هى شهادة الله حتى نعتبرها فاصلا بين الحق والباطل قلنا شهادة الله هى ما آتاه من المعجزات وقرنه بالأنظمة الراقية والتعليمات العالية ولولا ذلك لما كان محمد الآفردا من افرادهم لا يملك ومهما ملك الآ نظيرا من ثقافتهم اذا فهذا الذى عنده من الله وهو صادق فى نسبه اليه ، من يهد الله بمعنى من يهتدى بهدى الله ويتخذ طريقته ويتخلق بأخلاقه فهو المهتدى ومن يضل بمعنى من ينحرف عن طرائق الله فهو الضال التائه الحائر ولن تجد للضالين اولياء وناصرين يمنعونهم من الله ونحشر المشركين يوم القيامة

كما نحشر غيرهم وجزاؤهم على شركهم وما تسبّب عنه هو ان يسحبوا على وجوههم الى النار عميا وبكما وصمّا اى بمنزلة العمى البكم الصمّ لا يعيرون طرفا ولا يتكلمون حرفا وكأنهم لا يسمعون شيئا لأنّهم واجهوا الواقع فليست بهم مجابته ، وبالملازمة للكفر بالمبدأ الكفر بالمعاد لأنّ المعاد من لازمه الحساب وحيث لا مبدأ فمن الذى يحاسب بعد الأعادة ومن يعيد بعد الفناء والرفات انسحاق العظام وضيروتها ترابا ، لكنّه سبحانه فنّدهم بأنّ خلقه السموات والأرض بما فيها من غرائب لا تحصى وعجائب لا تستقصى لا يعقل ان تكون جزافا فالذى خلقها هو اللّٰه الموصوف بأعظم الصفات اللائقة بعله العلى وهذا اللّٰه الذى تكفل بالأعادة والأعادة اخفّ شأننا من الأبتداء وهو الآن قادر على ان يخلق مثلهم ابتداعا واللّٰه سبحانه فيّاض كريم بذل نتائج قدرته لخلقه ووضعها بين ايديهم ولو كان الناس يملكون هذه الخزائن لشحّوا بها كما تراهم يشحّون حتى بالماء والتراب وذلك من ضعف نفوسهم وتسفّل همهم .

* (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسنئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال فرعون اننى لأظنك ياموسى مسحورا : قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والأرض بصائر واننى لأظنك يافرعون مثيرا : فاراد ان يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعا : وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيما : وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا) *

المنظور بالآيات هنا المعاجز التى آيد الله بها نبيه موسى عندما اراده ليستخلص بنى اسرائيل من براثن فرعون وهى (١) اليد البيضاء (٢) والعصا (٣) والجراد (٤) والقمل (٥) والضفادع (٦) والدم (٧) والبحر (٨) الطوفان (٩) والأغراق لفرعون وآله ، فسئل يانبيى السلام اهل المعرفة من بنى اسرائيل المعاصرين لك عن هذه الأجرآت اذا ابعث الله موسى نبيا فجاى الى بنى اسرائيل والأقباط جميعا برسالته وفى طليعة المدعوين كان فرعون ولم يكن من هذا الأنسان بعد مد يد دعوته الا ان اجاب موسى بأنه لا ينطق عن شعور يقظ فيما دعى به وانما هو مسحور يتكلم عن هذى ان وعدم توجه فرد موسى على فرعون بأن مارأيته من الآيات ليس بسحر فان السحر يقل عن ان يقوم بشىء من هذه الأمور بل هى واقعيات اقيمت لتعدل من مجارى الحياة وانست يافرعون بمسيرك الخاطى الذى انت عليه هالك فاستعتى فرعون من هذه

المشادة واراد ان يهيج جموعه ليوقع بموسى ومن معه فاغرقناه وقومهم اجمعين واستخلفنا مكانهم بنى اسرائيل ويوم القيامة نأتى بهم لفيفا من قبائل شتى وعن خارطة الواقع انزلنا القرآن وبالواقع نزل وما ارسلناك اكثر من ان تكون مبشرا للمطيعين بالخير ومنذرا للعصاة بالمكافئة
طابق النعل بالنعل .

* (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث

ونزلناه تنزيلا : قل آمنوا به اولا تؤمنوا ان

الذين اتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم

يخرون للأذقان سجدا : ويقولون سبحان

ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا : ويخرون

للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا : قل ادعوا

الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الأسماء

الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها

وابتغ بين ذلك سبيلا : وقل الحمد لله

الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى

الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا) *

انتصب قرآنا على انه مفعول لفعل محذوف يتصيد من السياق

بتقدير وانزلنا قرآنا قسطناه فى نزوله على حسب مقتضيات لتقرأه على

الناس على مكث وتانى حتى يتدبروا معانيه وما اريد به وقوله ونزلناه

تنزيلا تقرير وتأكيد لصدر الآية فانه يفيد معناه ، قل يا محمد للمشركين

وغيرهم ممن لا يعتبرون القرآن كتابا سماويا آمنتم بالقرآن ام جحدتم به

فان عرف اهل الكتاب الذين درسوا جملة من مضامينه فيما علموه من

كتبهم اذا تتلى عليهم آيات القرآن يخرون للأذقان سجدا احتراماً
لمعانيه وتكريماً لما جاء فيه ويقولون لأنفسهم وللأعيار تنزيهاً لربنا من
كل نقیصة ان جميع اوعاد ربنا لكائنه محققه فيما سلف من ادوار التكليف
وفيما يأتي يخرون عند سماعه وتلاوته للأذقان باكين خشوعاً وتحزناً، كان
رسول الله يقول في سجوده عندما يطلب امراً ويريد حاجة من ربه
يارحمن ويارحيم فيسمعه بعض المشركين فيقول ان محمداً يدعونا لرب
واحد وهو يعبد ربين زاعماً ان الرحمن اله والرحيم اله آخر فأوحى
الله لنبيه ان يقول لهم ان شئتم ان تقولوا في دعائكم الله او تقولوا في
دعائكم رحمن فان كلا هذين الأسمين لمسمى واحد بل له كل اسم
حسن ولا تجهر بصلاتك جهراً يتأذى به الغير ولا تخافت بها حتى
لا تسمع نفسك بل وسطاً بين ذاك الأفراط وهذا التفريط بهذا اللون
ان يكون الجهر بحيث يسمعك من هو بازاك صحيح الحاسه والأخفات
ان تسمع نفسك، وقل يا محمد في نعت الله وعلم المسلمين به الحمد لله
الذي لم يأت بولد ولم يتبن ولدا ولم يكن له مساهم في عرض الملك
والملكوت وليس بحاجة الى ناصر ينصره عن ذلة واستكانة وعظمه تعظيماً
ماورائه تعظيم وتكريم اذا ماورائه من يحاذيه ويساويه .

* (سورة الكهف) *

وهى مائة وعشر آيات، مكية الآ آية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فأنها نزلت بالمدينة .

* (بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا : قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا حسنا : ماكثين فيه ابدا : وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا : ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا : لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحدِيث أسفا) *

البسمله دائما فى لسان المؤمنين تفأل بالخير علم الله نبيه بل كل مكلف ان يحمد الله على نعمه التى من جملتها انزال القرآن ليكون رصيда لعمل الخير ودفْع الشر وقيما بموازينه على الناس ولم يجعل فى هذا الكتاب عوجا ولا سقما ولا فسادا فى معنى ولا خلا فى لفظ لينذر الكفرة والفسقة ببأس الله الذى لا يطاول ولا يغالب ويبشّر المؤمنين الذين لم يكتفوا بتخليص العقيدة من الشرك والألحاد بل شفعوها بالعمل الصالح بأن لهم اجرا حسنا وهو الجنة يقارنونها فى البقاء كلّ الدهر وينذر بخاصة اولئك الذين نسبوا الى واجب الوجود ما ليس من شأنه من التوليد او التبني وذلك لأنهم لم يعرفوا معنى الخالق وكذلك آباؤهم الذين كانوا مثلهم لم يعرفوه كبرت هذه الكلمات كلمات تخرج من

افواههم وان مقاتلهم في خالقهم الذي لم يعرفوه خلاف واقعته ولا تتأثر
يا محمّد ولا تهلك نفسك بالأسى والأسف حيث لم يؤمنوا بحديثك الذي
تحدثهم به عن الله وعن صفاته وعن الدين وعن ملاساته .
* (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم ايهم
احسن عملا : وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) *

الصعيد وجه الارض والجرز المنجرد ، ما على الأرض من نبات
وحيوان بل وانسان زينة لها ، هذه الزينة وتنوّع الموجودات القابلة
للاستخدام في المصالح خبرة وامتحان لمن تؤتاه ماذا يفعل بها وكيف
يتصرف واذ انتهى زمن التكليف لأرادة قيام الناس للحساب والجزاء
جعلناها قاعا صفصفا وبدّلنا الارض وغير الأرض لأنشاء عالم جديد .

* (ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا ممن آياتنا عجبا : اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من امرنا ارشدا : فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا : ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امدًا) *

الكهف الغار واختلف فى الرقيم ما هو فقيل انه الوادى الذى فيه الكهف وقيل الرقيم اسم الجبل الذى فيه المغارة وقيل الرقيم اسم القرية التى خرج منها الفتية وقيل هو لوح من حجارة كتب فيه قصته .
 ام فى قوله أم حسبت منقطعة بمعنى بل والحسبان هنا بمعنى القطع واليقين يريد تعالى اننا بعدما سردنا عليك قصة اهل الكهف حصل لك القطع واليقين ان الفتية الذين كانوا فى الكهف وناموا فيه مئات السنين ثم لما استيقظوا وظنوا ان نومتهم ومهما استطالست لا تتجاوز بياض يوم واحد ثم لما اختلطوا بالناس وجدوا ان اجيالا مرت عليهم بهتوا من العجب ورأوا من معجزاتنا ما يقيمهم ويقعدهم وشرح القصة بهذا الترتيب ان هناك فتية عاشوا فى اوساط ملحدة جاهلة وقد طحت بهم فطنتهم الى ان ينحازوا عن هذه الجموع المخذولة علما يحصل لهم طريق يتسربون منه الى مقاصد هم وهى الحياة المبتنية على الفضل والأيمان فجاؤا الى مغارة ليستكفوا فيها بعض زمان وبعده استقرارهم فى الكهف دعوا الله بقلوب مخلصه فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وتوجهها ولطفها لا نتميزه فى الحال نحن وهى لنا من دون مقدمة رشدنا من امرنا فنحن ارحناهم بالفعل من اذى تفكيراتهم بأن أمناهم نومة عميقة لا يسمعون معها ولا يرون سنين طوالا يأتى فى الآيات ذكرها

ثم بعد مرور تلك الأمان الشاسعة المدى بعثناهم من مرآقدهم ليظهر للناس مدى اختلاف بعضهم مع بعض فى تقدير المدة التى ناموا فيها انها يوم او بعض يوم او اكثر من ذلك بكثير، جاء فى بعض الآثار ان دقيانوس ملك الروم كان وثنيا معاديا للنصارى وكان يضطهدهم ويقتلهم وهم باستئصالهم ثم بعد مرور زمان مديد صار قسطنطين ملكا وآمن بالمسيح وآمن اهل الروم معه واصحاب الكهف فروا زمن دقيانوس ونومتهم استغرقت زمانه ومن بعده حتى جاء دور قسطنطين وقوة النصارى بعد ضعفهم وبنى النصارى عند كهفهم كنيسة تذكارا لهم .

* (نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا

بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم ثم اذ

قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو

من دونه الاها لقد قلنا اذا شططا: هؤلاء قومنا

اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسطان

بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا: واذ

اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف

ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من امركم

مرفقا) *

ان اهل الكهف مجموعة شبان دلتهم ذهبايتهم على الاعتقاد بما وراء الطبيعة لكن بنحو مجمل وارادوا الاستزادة وحيث لا مربى بين القوم افضاها عليهم فضلا والتفضل له مجالات هذا واحد منها وسددنا خطأهم وثبتنا اقدامهم وربطنا على قلوبهم بالأطمئنان فأخذوا يقولون غير متحاشين ربنا ومعبودنا وخالقنا هو مكوّن السموات والارض لسن

ندعو من دونه الاها ولو دعونا غيره لأصبحنا جاهلين وكنا فى قولنا
مخطئين ها نحن على هذه العقيدة واما قومنا فقد اتخذوا من دونه
آلهة لم يقيموا على جهة استحقاقها للعبادة اقل دليل فمن اظلم
لنفسه ولغيره وللواقع ممن يزور على الله وعلى الواقع ما لم يقله الله ولا
هو ثابت فى صفحة الواقع وهنالك وعندما جفت قلوبهم من محبة اقوامهم
وتبدلت الى حالة استنكار واستقذار قال بعضهم لبعض انكم ايها
الاخوة حيث اعتزلتم قومكم وما يعبدونه من كائن وحصلت وتحصل اكثر من
ذلك من جفوة فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم الحق القادر على كل شئ
رحمة من رحمته ويهئ لكم من امركم ما ترتفقون به فى ادامة الحياة .

* (وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات

اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى

فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو

المهتدى ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا:

وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين

وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد لو

اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) *

فى هذه الآيات بيان للكيف التى كانوا عليها وليس المراد قطعاً
هو ان الشمس انحرفت عن مجاريها الطبيعية شرقاً وغرباً عن الكهف
الذى فيه الفتية فان ذلك لو كان طوال مئات سنين لبان فى العالم اثر
قهار وليس منه شئ بل المقصود ان نومتهم فى فجوة الغار صادفت
مكانا منحرفاً عن اصابة الشمس له فى المطلع والمغيب فالشمس فى
شروقها تميل عن مكانهم و فى غروبها لا تمسهم ويراهم الرائي من ظهور

تنفسهم وكثرة تقلبهم كأنهم ايقاظ في حال انهم في رقدة عميقة مستمرة متطاولة أريدت لهم وكلبهم الذي تبعهم عندما اووا الى الكهف باسط ذراعيه على الارض شأن الكلاب في وقت راحتها على وصيد الغار اى بابه لو اطلعت عليهم ولا حظت خصوصياتهم لوليت منهم فرارا لوحشة المكان وما يحتفّ به ولملئت منهم رعبا فان كل ما يستوحش منه يربع من اجله .

* (وكذ لك بعثناهم ليتسائلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلف ولا يشعرن بكم احدا : انهم ان يظهروا عليكم يرحمكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا) *

يقول تعالى وكما أنما هم هذه الأجيال الطويلة حافظين لأبد انهم ولحياتهم بعثناهم من رقودهم لما انفسح المجال لهم بانصرام زمان الاختناق الذي كان مخيما على المحيط ولأجل ان يطلعوا على فعل الله العظيم في حقهم وذلك يكون اول مرة بالتساؤل بينهم عن مقدار نومتهم وينجرّ بالمأل الى الوقوف على هذا المعجز فقال قائل منهم لما استيقظوا جميعا كم لبثتم في نومتم قال جماعة منهم لبثنا يوما اى بياض نهار او اقل من ذلك يستشعر من هذه العبارة انهم ناموا اول اليوم وانتبهوا قبل الغروب بفاصلة ولذلك قالوا او بعض يوم نظرا لهبذاه الفاصله فقال آخرون منهم ربكم اعلم بما لبثتم كأنهم وجدوا من انفسهم

وأحسّوا من قرائن الحال بخلاف ذلك وان نومتهم وان شرعت في نهار وانتهدت في نهار الآ ان ذلك لا يلزم منه اتحاد ذلك النهار وكأنهم ختموا حد يشهم عند هذه الكلمات واحسّوا باشتهاء الطعام وارانته ولذلك قالوا ابعثوا احدكم بورقكم هذه (عملة الوقت الذي عاشوه قبل نومتهم) الى المدينة التي خرجوا منها فلينظر ايها ازكى طعاما للاكل فليأتكم برزق منه وليتلطف في حديثه حتى لا يشعر به احد أنه ممن اصحاب الغار او من المؤمنين بالله ان القوم الذين فارقتموهم ان يطلعوا على مكانكم يهيموا بكم همّة السوء ويرجموكم بالحجارة او يقسروكم على النزوع مما انتم عليه ومن اجله فررتم ومتى عدتم الى الكفر فلن تفلحوا من بعده ابداء ، ولم تتعرض قصة القرآن من الفاظها الى ما بعد ذلك من عمر طال بهم وملابسات عرضت لهم الآ ما تشير الآيات التالية اليه .

* (وكذ لك أعرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذنّ عليهم مسجدا: سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدّتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا :ولا تقولنّ لشيء انى فاعل ذلك غدا :الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدى نى ربي لأقرب من هذا رشدا) *

يريد تعالى اننا كما بعثناهم من نومتهم وعاشوا بعد ذلك مسافة من الزمان امتناهم اذ كل ذى روح لا بدّ وأن يذوق الموت الا خالق الموت والحياة ووقف من حياتهم وموتهم ابناء محيطتهم على تأريخ مفصل ليعلموا ان الموت حق غير رقود النوم ومهما طال زمانه وان القيامة كائنة قطعاً لوجود نظيرها فى انامة اهل الكهف مئات من السنين ويقظتهم بعد ذلك والقيامة مثل ذلك واذكر (بتذكير مّا) حين تنازع الناس فى كيفية اكرامهم واحترامهم فقال جملة ابنوا عليهم بنيانا يكون اشادة بذكرهم ، ربهم اعلم بهم ، هذه الكلمة اشعار بأن الناس بعد موتهم الواقعى تجادلوا فى ان هذه النومة مثل الأولى او انها موت وفناء فأجيبوا بلسان حال سؤالهم أن ربهم اعلم بهم او هو مقول قول بعضهم

بلسانه ولفظه ، أما الذين كانوا مثلهم فى العقيدة التوحيدية ولهم الغلبة فى دورهم على الملحد ين لنتخذن عليهم مسجدا اى محلّ عبادة نتعبد فيه بداعى تكريم اولئك المؤمنين الذين هجروا قومهم وسكنوا هذه المغارة وماتوا لديها ، وباعتبار ان الفتية عاشوا فى خفاء نائمين ويقضى لم يعرف الناس عن عددهم شيئا فقال فريق هم ثلاثة ورابعهم كلبهم وقال آخرون هم خمسة وسادسهم كلبهم وتخروا ورجما بالغيب ويقول فريق ثالث هم سبعة وثامنهم كلبهم قل يا محمد او اى ناطق كان ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ممن اطلعناه على عدتهم فلا تمار اهل الكتاب فيهم الا مراة ظاهرا سطحيا بأن تقول كل ذلك المذكور تخرص وعلم واقعهم عند ربهم كما لا يجوز لك ان تسأل فى حقهم من الكتابيين احدا لانهم يستدلون بذلك على قصور علمك فى حال ان مصدر علمك هو الله تعالى ، ويا محمد لا تتكل على مقام نبوتك ومكانتك عند الله فلا تقل فى الأخبار عن المستقبل انى فاعل ذلك غدا الا ان تعقبه بقولك ان شاء الله فان تصميمك وان كان جديا الا ان ارادة الله غالبية على كل احد حتى لو صدق لك ان قلت انى فاعل ذلك غدا ولم تعقبه بقول المشيئة غفله عنه فاذكر ذلك حتى بعد فوات وقته وقل ان شاء الله واشكر ربك واذكره وتمنّ عليه من الفضالات المعنوية اكثر ممّا عندك فان الكمال لا ينتهى له الا فى الله سبحانه .

* (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا:
 قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض
 أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك
 فى حكمه احدا :واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك
 لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدًا) *

يريد تعالى ان يبين كمية الزمان الذى نام فيه اهل الكهف فى
 كهفهم وبعثوا من ورائه فقال انها ثلاث مائة وتسع سنين وكأن اليهود او
 عموم اهل الكتاب يرون ان مدة المكث ثلاثمائة سنة فقط فأوحى لنبى
 الاسلام ان يقول لهم الله هو الأعلم بذلك لان القضية من صنعه وكذلك
 هو اعلم بكل شىء لأنه من ابتداعه سبحانه ما أبصره بمواقع الامور وما
 اسمعه حتى للهجسات ما للمشركين به من ناصر ينصرهم عليه وليس من
 احد يشركه فى حكمه وواتر فى تلاوة ما أوحى اليك من القرآن فإنه متقن
 محفوظ من التغيير والتبدل ولن تجد من دون الله مؤثلا يكتن الأنسان
 من سطواته ومؤاخذاته .

* (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا : وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا) *

اصبر نفسك اى ضعها دائما فى مجتمع الأماثل اولى الفضائل الذين لا يذهب الحق عن بالهم وتستبين المعروف فى احوالهم يفعلون ذلك لان الله يريد به ولا تتجاوز هذه الخطط الفاضلة تستهويك الدنيا وتغويك ولا تقبل رأى من أغفل قلبه عن ذكر الآخرة فهو دائما فى ذكر الشهوات افراطى فى ايفاء نفسه ما تشتهيه وقل للناس الحق والصدق والرفق والأحسان والمواساة وكل خلة كريمة من ربكم وبعد تبين وجوه الحجج له ان شاء أن يؤمن وان شاء فليكفر فأنا للمؤمن والكافر بالمرصاد انا اعتدنا فى علمنا للظالمين نارا احاط بهم سجاجفها ودار عليهم سرادقها وان يستغيثوا من شدة العطش يغاثوا ولكن بماء كذائب الفلزات يشوى كلما يمر به بعس الشراب المهل وما هو كالمهل وساءت جهنم مكانا يرتفق بها الانسان الحي ، وبعد ما أبان ما للكافرين من جزاء قال فى حق المؤمنين .

* (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع
اجر من احسن عملا : اولئك لهم جنّات عدن
تجرى من تحتهم الأنهار يحلّون فيها من أساور
من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس
واستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب
وحسنت مرتفقا) *

كلمة انا لا نضيع اجر من أحسن عملا اعتراض جىء به لبيان جهة
استحقاق المؤمنين للجنة والكافرين للنار بالتبع وجنات عدن هي النعمة
التي لا تزول والأساور جمع اسوار حلية اليد للنساء فى المعمول
والسندس والاستبرق نوعان من الحرير كانا منيه النفس فى زمن نزول
القرآن والأريكة السرير يجلس عليه والمنظور من سوق هذه الامور هو
التنعم بما تشتهى النفس ولا خصوصية لما ورد فى الآية هنا او فى مكان
آخر من القرآن كما هو واضح .

* (واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زعرا: كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرتنا خلالهما نهرا: وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبدي هذه ابدا: وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا: قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا: لئن هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا: ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا: فعسى ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك ويرسل عليها حسابا من السماء فتصبح صعيدا زلقا: او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا: واحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتنى لم اشرك بربي احدا: ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا: هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا) *

واضرب للناس يا محمد مثلا يجسم لهم المؤمن والكافر والمغرور والسمتن
برجلين جعلنا لأحدهما بستانين جامعين لصنوف الزرع والشجر عامرين

بالماء وكلما يحتاج اليه العمران وكلا البستانين يثمران المطلوب ولا يبد
عليهما نقص فبعد ان تتجلى هذه المناظر في عين مالكهما وما يثمران
من زرع وثمر لصاحبهما يأتي الغرور اليه ويأخذ منه شعوره وعقله فينطق
لا عن تدبر فيقول لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل
جنته الفيحاء وملؤه غرور ونخوة وهو ظالم لنفسه بعزوبه عن التوجه الى
الواقع وقال ما أظن أن تبديد هذه الى الأبد وماذا يبديها تربة صالحه
وما وافر مال كثير من وراء ذلك واعوان واخوان من وراء ماسبق وما
اظن الساعة التي يتحدث عنها المؤمنون قائمه وان ورائها حسابا وكتابا
وعلى فرض انهم يصدقون فيما يقولون فأنت الله لا يقذف بمن كان عائشا
في الجنان الى حميم النيران فقال له بعد تمام حديثه صاحبه الذي
كان يحاوره تفتن أيها الإنسان لنفسك وعابن اصلك الذي عنه وجدت
ومنبعك الذي منه صدرت فانك في اصلك الأصيل من تراب وبعد تتسلسل
الآباء وجدت من نطفه وبعد تيسير الامور لك صرت رجلا قوي الأشد
والعضلات فهل تراك من أول اصلك الى نهايه فرعك كنت ولا مدبر لا
ليس الأمر كذلك وأن الذي أوتيته لم يكن عن جدارة واستحقاق بل كان
عن محض ابتلاء وامتحان هذا انت في كفرك بالمبدأ والمعاد وأما انا
فالله وحده هو ربي ولا اتخذ معه شريكا اذ لا شريك له وكل ماسوا ممكن
مخلوق له وهلا لو كنت عاقلا قلت حين دخلت جنتك المثمرة المزهرة
المخضرة النضرة ماشاء الله كيف يخلق من التراب الهامد جنانا فيأحبه
وفواكه متنوعه وثمرات غير منقطعة اذا فلا حول ولا قوة الا به ان ترني
أيها الانسان انا اقل منك مالا فلا جنان عندي ولا ثراء ولا ولد او عشيرة
فأننى غير مأیوس من رحمة ربي في عاقبة لا تنقضى وحياة لا تنتهى فغسى
ربي ان يؤتيني خيرا من جنتك وأما جنتك هذه التي سببت لك الغرور

فأى مانع يقف أمامها متى اراد بها الله شراً بأن يرسل عليها من السماء
انواعا من المهلكات تسقط عليها تباعا كالسهم المندلعة عن اوتار
اقواسها فتصبح صعيدا منجردا من كل شىء يزلق فيها السائر
لملاستها من النبات واصول الشجر فتراها بعد ازدهارها خاوية على
عروشها لاطئه على ترابها قد غار ماؤها وأهلك ثمرها هناك ترى هذا
المغرور قد حزت في نفسه المآسى فأصبح يقلب كفيه من الحسرة والزفرة
والأفلاس والأملاق و في هذه الحالة المضنية يتأصل في نفسه وجود
لربه ويقول متمنيا يا ليتنى لم أشرك بربى احدا ولم يعد يحفظه من
قضاء الله نغره وولده وهناك يتجلى له ان الولاية والحاكمية هي لله لا
للمال ولا للجنان ولا للولد ولا للنفر والعشيرة وان الله هو الميثب لا
غيره وأن العواقب بيده لا بيد غيره .

* (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كما انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا: المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا: ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا: وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا: ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا) *

يجسم الله الحياة الدنيا التي تعيشها البشرية بمثال بارز يراه الإنسان في الفصول القصيرة من الزمان وهو اننا بأعيننا نرى السماء تهطل بالمطر فيصيب التربة الصالحة فتخرج الأرض نباتها وتكون مخضرة زمانا قصيرا ثم يبدو عليها اليبس الى حالة تتحطم معها وتأتيها الرياح فتذروها فتجد الأرض جرداء خالية من كل عود الا ما تأصل وضخم ونزل في تخوم الأرض وصعدت اصوله القوية على وجه الأرض وهكذا قدرة الله تنمي نطفة الشاب والشابة فيأخذان ادوارهما في الحياة قاهرين لكل شيء ثم يذلان حتى يعجزا عن القيام والقعود ثم يكونان جنازة توضع في اجواف الأرض وهكذا سبيل كل هادم متحرك، الماديات كالمال والبنين زينه للناس بما جبلوا عليه والأعمال الصالحة التي تثقل على

عواطف كثيرين احسن زينة لأنّ بناء المجامع في الحقيقة قائم عليها لا على المال بما هو مال ولا على الاولاد بما هم اقوياء اشدّاء فان المال اذا لم يتأت عن منبع صحيح ولم يصرف في مواقعه الصحيحة وقوة الأتوياء وشدّتهم اذا لم تبذل في نصرة الحق ودكّ الباطل أفسدا ولم يصلح كما رأته عيوننا في جميع ادوار حياتنا ولا شك ان عوائد العمل الصالح اكثر وانفع والأمل بالمسير اللاحق اقوى واثبت، فاذا كانت الحياة الدنيا مثل النبات يخضّر ثم يببس ويتحطم وتأتيه الرياح فتذروه فان خلقه الدنيا مثل ذلك فالجبال التي هي ركائز الارض اذا دكّت والارض بما عليها من نبات وشجر وحيوان وانسان ومباني اذا جردت تحولت الأوضاع الى طور آخر وهناك نحشر من مات لأقامة الحساب معه بأن يعطى حقه ويؤخذ منه حق الأغيار ولا نغادر من الناس والجن والملائكة احدا ، ويعرض الجميع على ربهم عارين من كل ما كانوا يملكونه في الدنيا من ريش ووسائل معاش بل كان جملة من المحشورين يزعمون ان لا معاد ولا حساب ولا جزاء ، ووضعت اعمال الناس بين ايديهم فالمحسن يأنس والمسيء يغتم وكل منهم عندما يجد اعماله محصية تراه يقول ان هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الحسنات والسيئات الا أحصاها ليجازي عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر .

* (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو وبئس للظالمين بدلا : ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضللين عضدا : ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا) *

تكرار مسألة السجود لآدم فى فواصل متقاربة من القرآن لم يكن عن جزاف بل فى كلّ مورد ذكرت فيه هذه المسألة فأنا ذكرت لأجل ان تكون رصيذا لما يساق بعدها من هدف منشود وما هنا من هذا القبيل ، كون ابليس من الجن قد لا يتنافى مع كونه من الملائكة بتقسيم الملائكة الى صنفين ظاهر بعضهم لبعض ومستور بعضهم عن بعض وابليس يجوز ان يكون من هذا القبيل وفسقه عن امر ربه عصيانه له وهنا جاء تنديد الله للبشرية بقوله أفتتخذونه ومن نتج عنه وبلغ طريقته وحصنها ناصرين لكم من الله وسطوته بئسما استبدلتم به فجعلتم مكان الله الشيطان ومكان عباده الصالحين ذرارى الشيطان الفاسقين كيف تستبدلون بالله الموجودات الحادثة ذاتا وزمانا التى سبقتها خلقه الأرض والسموات كما سبقتها العوامل التى اثرت فيها وانا حين اذ اتخذ الانبياء والصلحاء مبلغين عن الطرائق الحقّة فلأنهم يريدون الحق من صميم أنفسهم وهل يجوز لمن يريد الحق واحقاقه ان يتخذ المضللين المغوين عضدا له وسندا لدعوته واذا كان يوم القيامة يقول الله للمشركين والملحد ين وغير المخلصين نادوا شركائى الذين زعمتموهم

شركاء فنادوهم فلم يستجيبوا لندائهم وجعلنا بين الداعى والمدعو حاجزا يؤل بالطرفين الى الهلاك .

* (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواتعوها ولم يجدوا عنها مصرفا : ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الأنسان اكثر شىء جدلا : وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الأولين او يأتيهم العذاب قبلا : وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتى وما أنذروا هزوا) *

بعد الحشر يوم القيامة والمحاسبة يرى المجرمون النار التى هى موئلهم فيعلمون انهم ملبسوها قطعا اذ لا صارف يستعينون به عليها ، هذا القرآن مجموعة انظمة ونصائح وعظات وامثال يعين ضربها على فهم المقاصد ومع كل هذه البيانات المتشعشة ترى الانسان يجادل فيها ليضيع الدرب على ساكنيها ، هذا والناس الذين من صميم قلوبهم يريدون الحق تراهم لا يلبسونه الا بقهر القوة فلم يمنعهم يوم نزول القرآن عن الايمان بالله منزل القرآن وعن رسوله الداعى الى القران الا انهم وجدوا انفسهم مختارة فى قبول ذلك والتمرد عليه فلم يصبهم زلزال او طوفان كما اصاب الأولين منهم ولم يواجهوا عذابا ملجئا الى الايمان حتى يؤمنوا لكن عالم التكليف يابى ذلك وانما يلزم بأرسال الرسل وانزال الكتب والنصيحة والموعظة حتى يستفيد من ذلك المستعد

للهداية والطالب للصلاح والراغب في الخير أما المرموزون الذين يحاولون انجاح مقاصدهم بأنهم بلباقتهم اللفظية وبساطة الناس أمامهم يثيرون غيرةً ويقومون للجدل سوقا ويطلبون ذبول الكلام حتى يضيعوا على مخلوقات الله الصادقة دربهم الذي يريدون سلوكه لصلاحهم وفلاحهم وكذلك يفعلون فيعكرون الماء ويلبّدون الطريق ويعمّون الحقيقة على طالبها ويهزؤون في بواطنهم من المحقّين الجادّين في احقاق الحق وابطال الباطل .

* (ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربّه فأعرض عنها ونسى ما قدّمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا : وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدوا : وربّك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجلّ لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلا : وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا) *

ليس احد اظلم لنفسه ولغيره ممن ذكّره الواعظون بما استدل به الله على الخير والشر بما يقود الى فعل الأول وترك الثاني وادرك كلّ ذلك لكن اعرض عنه عامدا وتركه ملتفتا وفعل المعصية ولم يعتبرها معصية ويرى انه لم يفعل اثما ولم يقترب جرما وكلّ انسان يكون بهذه الحالة تجد قلبه في غلاف فلا تفيدّه الموعظه بل لا تتصل به وتجد سمعه على فقدانه للحواجز كأنه لا يسمع وان تدعه الى الهداية لا يهتد بهديك ومع ذلك لو التفت العبد لنفسه بعد ربح من الزمن وتاب وأتاب

وتدارك ما فات فان الله يغفر له خطيئته ويقيه عثرته ولو أنه تعالى يبادر الجريمة بالعقاب فوراً لعجل لهم العذاب بل لهم موعد اقصاه يوم القيامة ولا يجدون حينذاك مرجعاً يرجعون اليه دون الله وتلك القرى العاتية الظالمة اهلكنا اهلها بسبب ما ظلموا واجتمروا وجعلنا لمهلكهم موعداً عينته المصالح المقتضية والحكمة اللازمة .

وهنا يأتي القول عن عنوان - ما هي وظائف البشرية المتعمدة بالنسبة الى عقائدها الدينية الصالحة و الى بعضهم البعض - فنقول ان هذه الأكوام على ما فيها من عجائب وغرائب وموجودات قهّارة فان زبدتها ونخبتها هو عالم البشرية فانها هي التي ان حسنت زادتها حسنا وان ساءت القت عليها ظلمة وبهمة ، بل كل مجتمع فى محدودته له هذا الحكم ولذلك قد ترى مملكتان متجاورتان لا يفصل بينهما الا حُدّ محدود قد وفق الله احديهما فيسرها لليسرى والاخرى تترجح تحت بؤسها وشقاقها وعلى حساب انبساط الأولى ترى سماءها وضاءة وسماء الاخرى كاسفة وليس ذاك الانبساط وهذا الأختناق الا نتيجة تجسّم اعمال القطرين فالقطر الذى يزن بشريته بميزانها الواقعى او القريب منه يطلع طلعة النور من تحت اجنحة الليل والآخر الذى لا يزنها بذلك الميزان لا يرى الا تحت خيمة من ظلام موحش يقبض القلب ويقف دون اشعاع البصر ، ووزن البشرية بالوزنين الموافق والمعاكس منوط ومربوط بتوجه الانسان الى شعوره ومحاكمته ما يجرى فى الكون على ضوء الدقة فى النظر ومبادلة الرؤى والاعتباس من العقول الناضجة واخذ الحذر دائما من التسرع والاعتثار بالنفس .

ولاشك ان هذا الملاك الضامن لبقاء البشرية وسعادتها ليس من الهيين تحقيقه فى المجتمع البشرى الذى تسود العامية على اكثر فواصله

وحلقاته ولكن لا بد من السعى فى تيسير مقدماته وبذل الجهد فى اشاعته بين الناس حتى يتعقلوا ويتدبروا فان غوائل الجهل والعامية اعظم واهم من غوائل الطواعين والأوبئة ذلك لان موت الجاهل مريح له ولغيره بالنسبة الى بقاءه فاسدا فاسدا .

والبشرية منذ آما د بعيدة على مرور الزمن وتناوب المخلصين عليها وان قَلَّوا خرج الكثير منها عن ربة الجهل الفاضح غير ان الاخلاص لم يواكبها الا فى قلائل خد موها للضمير والوجدان كما يقضى عليهم الايمان بذلك وهؤلاء القلائل لم يألوا جهدا فى تثقيفها وتفهمها لكن عوامل الانتهاز لم يهدأ بها حقد ها عن التلاعب بحيثيات العوام وتصريفها فى جهات الجهل الماحق والتذبذب الساحق .

مثلا استطاع محمد (ص) بقابلياته الأخاذة ان يهيمن على وسطه ويجرّه لجانب الخير المطلق ويقارن بعد ذلك له بين امه الدامس ويومه المنير وانه كيف كان وكيف صار ويقول لهم (آل عمران ١٠٣) واذكروا نعمة الله عليكم ان كنتم اعداء فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، ولكن عوامل الانتهاز فى مثل ابن العاص وابن ابى سفيان وابى هريرة وشريح لم تهدأ فى الأطاحة بهذه البشرية التى اخذت طريقها الى الخير لتسعد فى نفسها وتسعد الاجيال التى ورائها بسعادتها فاخذ ينفذ الواحد لتصلبه فى شره الى قلوب الألو ف لاستزها دها بأنفسها واسترخاصها لقيمها فبدل ان يكونوا علماء كما علموا ومعتصمين بحبل الله جميعا كما أوصوا اذا بهم يلوون الى الجهالة والضلالة ويقع بعضهم فى بعض فيأتى الى الوجود شواذ الآراء والفرق التى لم تجن الآ الشر لا نفسها وللأغيار معا فانتهكوا بعد الصمود وتفرقوا بعد الاجتماع وتعادوا بعد

الألفه وانحاز بهم الجهل الى نفسه مبعدا بهم عن جانب العلم
فالخوارج كما جنوا على الناس جنوا على انفسهم ايضا وهكذا بقيه
الفرق التى انتهزت لتبقى وتسيطر فتمها فتت على سفوحها كأن لم تغن
بالأمس .

وهكذا استمرت هذه التيارات تطوى مراحل الزمان والاجيال بائسة
شقيه مبؤسة مشقيه حتى كأن الله لم يرد بها الا ذلك وحاشاه ، وكيف
يريد بها الشر وهو يقول (البقرة ٤٠ فما بعد ها) يا بنى اسرائيل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوف بعهدكم ، وآمنوا بما
انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ، ولا تلبسوا الحق بالباطل
وتكتموا الحق ، أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب
أفلا تعقلون ، فأى تحيى فى هذه التعاليم البشرية التى لا غرض لها الا
بالحق نفسه فلم يكن محمد نقيضا لعيسى ولا هما فى طرف نقيض لموسى
ولا هؤلاء الا على خط ابراهيم ومن سبقه من انبياء الله (آل عمران ٨١ فما
بعدها) واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمه ثم
جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم على
ذلك اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ، قل آمنا
بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
والأسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم ونحن له مسلمون .

فهذا ليس تصويرا لخيال وانما هو تعبير عن حقيقه عرضها الوجود
لموجوداته فآمن الجميع بها كما قال تعالى (البقرة ٢١٣) كان الناس
امه واحده فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب
بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه

من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، نعم هو انتهاز المنتهز الذى استذوق ان يكون فى الحياة دوده قزّ تجهد لتفنى وتسعى لتموت ولو ان انتهازه قضى عليه فقط لهان الخطب ولكنه لا يقضى فى نفسه حتى يقضى على الألوف من غيره بما أثار فيهم من آثار سوء ، أما الرسم والمؤمنون بهم فجميع همهم مصروف الى جمع الناس على الحق ليتميزوا حلاوة الحياة كما اريدت لهم فما خلق مخلوق ليشقى اصلا ولذلك (البقرة ٢٨٥) آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا ، وكيف لا يسمعون منه ولا يطيعونه وهو على عدد الآت يعظهم ويحدّ رهم من موجبات الهلاك بمثل قوله (البقرة ١٦٩ و ١٧٠) ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء ، وبمثل قوله (البقرة ٢٠٨) يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ، وقوله (البقرة ١٧٧) ليس البر ان تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون . والمنظور بأقامة الصلاة اقامتها ناهية عن الفحشاء والمنكر لا صرف هذه الظاهرة التى تلابس كل جريمة وتكمن فى كل رذيلة فى كثير من مقاميها ، ومن الغرائب اننا نجد الفرد البشرى مع رضوخه فيما يزعم لا راده الله به يقاوم هذه الارادة ويبارزها حتى يكون اسوأ حالا من الملحد فاليهودى بأمر الله فيما يدعى أتبع شريعة موسى لكن مرور الزمان لما قرنه بالمسيح عيسى تراه ألدّ خصم له ممن لم يؤمن بشريعة

السماء اصلا وهكذا هو والمسيحي لما قرنهما الزمان بشريعة الاسلام نجد هما اشد مبارزة له من عبدة الأوثان فأين مكان العقيدة في هؤلاء وفوق كل ذلك نراهما يتشطران الله والتفاتة وحسن توجهه وجنته ونعيمها فكلّ يقول هو لى دون الآخريين وقد اعرب القرآن المجيد عن هذه الروح فيهم وتعقبها بما هو شأن المنطق والصواب فقال تعالى (البقرة ١١١ وما بعدها) وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيتهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين ، بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وقالت اليهود ليست النصرارى على شىء وقالت النصرارى ليست اليهودى على شىء وهم يتلون الكتاب ، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى ، وقالوا كونوا هودا او نصرارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا ، قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ، فأن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولّوا فانّما هم فى شقاق .

يعتبر القرآن كما هو الحق ان ملاك صدق التدين بالله تدينا واقعيا ليس هو عنوان اليهودية او النصرانية او الاسلام بل هو اسلام العبد نفسه لرّبه معترفا بانه لا يملك لها ضرا ولا نفعا الا بارادته وهو مع اسلامه واعترافه لا يبارح الاحسان يفعلُه مع كل من ندب الى الاحسان اليه واللطف به جهد المقدور ، مثل هذا الاسلام يقع صاحبه مأجورا عند ربه آمنا لديه فرحا بما يلقاه عنده ، كما انه ليس المنظور من قوله تعالى حتى تتبعت ملتهم هو الذم لأصل ملة اليهودية والنصرانية بل الذم لتحيز كل من اليهود والنصارى لانفسهم على جميع الحالات جاء بعد

موسى نبى ام لم يأت وطلع بعد عيسى رسول ام لم يطلع وان الحق هو
الاهتداء بهدى الله والتسليم لارادته وقد اراد تعالى من المكلفين
ان يؤمنوا بعد الايمان بموسى لعيسى بن مريم وبعدهما لمحمد بن
عبد الله وليست ارادته اللاحقه سالبه خيرات السابقة بل هنالك
خصوصيات توفرت لم تكن متوفرة من قبل وخصوصيات كانت فى السابق قد
استغنى عنها فى اللاحق كما قد يحصل هذان الرديفان من
الخصوصيات فى شريعة واحدة والا فدعوة الانبياء والاوصياء والأولياء
الى الله والواقع الصالح واحدة كما قرئت نص ذلك ضمن الآيات السالفة
وفى القرآن كثير من نظائرها .

وقد ذم القرآن كل منزرو الى نفسه مرتاح لآرائه اذا دعى للمفاتحة
والمحاوره فأما يقلع عما علق به وأما يجر الآخرا اليه وهذا المطلب هو
معنى حرية البحث الذى طالما اراده المتحررون فى اثقف حضارة فلم
يحصل لهم وابيدوا عليه أما شنقا بالحبال وأما رشقا بالرصاص وحتى
فى الممالك الاسلاميه فيما تزعم لنفسها ويزعم اهلها لها ونفس الأمر
بالمعروف والنهى عن المنكر اللذين هما فى جبهة التكليف الشرعيه من
ادله ذلك فضلا عن شتات النصوص الواردة فى الموضوع، فمن ذلك
مواجهه النبى للنصارى حيث اعتقدوا بنبوة المسيح لله او ان الألوهية
مزيج منه ومن غيره وهو ما جاء فى (آل عمران ٥٩ وما بعدها) ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، الحق من
ربك فلا تكن من الممترين، فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم
نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين، فان تولوا فان الله عليهم
بالمفسدين، قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا

نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً ممن دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون، إلى ما سوى ذلك مما ليس باستطاعة هذا الموضوع جمعه وحشده، كما ذم القرآن كل طامع خانع لشهواته مستغرق في حب نفسه لا يعير الحياة الأطراف اغارة ولا الأحياء إلا نظر افتراس وذلك حيث يقول (البقرة ١٨٨) ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوها بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالآثم وأنتم تعلمون، و(٢٧٥ منها) الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذين يتخبطه الشيطان من المس، يحق الله الربا ويربى الصدقات، اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم، إن الله سبحانه أراد كل فرد بشرى للخير وللعلم وللعمل الصالح وإن يكون الفرد لأخيه كالمرأة يرى فيه محاسنه ومساويه فيكثر من الأولى وينزجر عن الأخرى وأراد من دعائهم أن يكونوا الطف ما يمكن واعطف ما يسوغ وإن يشيع التوادد والتحابب بينهم بما يدفع الويلات عنهم ويكثر الخيرات عليهم فقد جاء (آل عمران ١٠٢) فما بعدها) اتقوا الله حق تقاته واعتصموا بحبل الله جميعاً ولتكن منكم أمة يدعوون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، و(١٥٩ منها) فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، وأنه تعالى لا يدع للاغماض المشروع مسرباً إلا سلك فيه رأفة بعباده (النساء ٣١) أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً (الزمر ٥٣) يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور

الرحيم ، وهو تعالى كما جاء في (طه ٥٠) اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ، ان فاوت بين الاصناف من نوع واحد من مخلوقاته فلأن دواعى الخلقة تقتضى ذلك فالرجال والنساء وان كانوا جميعا اناسيين الا ان لكل صنف خواص طبيعية لا يمكن انكارها ولا الاغضاء عنها ومدعوا المساواة بينهما فى كل شيء مهرجون حقيقة ، فأن يقل الله سبحانه بعض (النساء ٣٤) الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم ، فأنه لم يقل ذلك متساها بل نستطيع ان نقول انه لولا فحولة الرجل وبطولته لتهافتت المرأة فى الحياة على سفوحها فان فى الرجل دفعا ومنعا وكدا وتحملا للمشاق ما ليس فى المرأة وفيه صبر وايثار لا يوجد عندها وهو فى دقته ونظره للعواقب وعدم انخداعه او قلة ذلك فيه اقوى واقد ر منها وبذلك يجب ان يكون قيما عليها ومدبرا لشؤونها وحائطا لها والله سبحانه قد صان المرأة بهذه القيمة وحفظ شرفها وشخصيتها واما الارخاء لها تفعل ماتشاء وتمارس الامور طبق رغبتها ففيه من المفاصد ما شاهدته كل عين سواء فى ذلك تعرّى ما يسمّى بالحضارة او تحجب من يزعمون انهم زينيون وما ندرى اى تاريخ حدثهم عن زينب ابنة على (ع) انها كانت تخرج مع الشبان الى بطون الفلوات تبيت معهم وتصيح ، هذا وقد امرنا الله ان لا نتجاوز الحق فيما نقضى به ولو كان هوى النساء على خلافنا وذلك حيث قال تعالى (النساء ٥٨) ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتكم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعم يعظكم به ، كما امرنا ان نفى بعقودنا التى نبرمها وان نتعاون على الخير وما فيه صلاح الناس وان نبتعد عن الجرائم والمآثم وأن نذر ظاهر الأثم وباطنه وان لا نستعمل الفحش والسباب حربة لنا فى عامه

شؤنا حتى لا نفتح هذا الباب القذر للباقيين فنكون نحن المؤسسين ونتحمل وزرهم ووزر من اتبعهم فقد قال سبحانه (المائدة ١) يا ايها الذين آمنوا افوا بالعقود، و(٢- منها) وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان، و(الانعام ١٢٠) وذروا ظاهر الاثم وباطنه، و(١٠٨- منها) ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم .

* (واذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى ابلغ مجمع

البحرين او امضى حقبا : فلما بلغا مجمع بينهما

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سرىا : فلما

جاوزا قال لفتهاه آتنا غذاءنا لقد لقينا من سفرنا

هذا نصبا : قال رأيت اذ اوينا الى الصخرة

فانى نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان

اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبيا : قال ذلك ما

كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصا) *

جاء فى الآثار ما يعين على فهم مفاد هذه الآيات ان موسى سأل ربه اى عبادك احب اليك قال يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فأى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او تردّه عن ردى فقال ان كان فى عبادك من هو اعلم منى فأد للنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مکتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتهاه اذا فقدت الحوت فاحبرنى فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب ووقع فى

البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه فى البحر فأتيا الصخره فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال له وائى بارضنا السلام فعرفه نفسه .

قد يقال كيف يكون الخضر اعلم من موسى وهو من الانبياء اولى الدعوة العامة والجواب ان النبى انما تشتط اعلمتته ففما هو من مهمته ارشاد الناس الى الله وبيان احكامه لهم واما انه ففجب ان ففعلم كل علم ففوجد فى الأكوان فلا .

اذكر ففامحمد بتذكفر منّا - فففن قال موسى بن عمران لفتاه اى غلامه وففادمه وففملازمه فففل هو ففوشع بن نون من ارحام موسى استخدوم له لله ولنفل الكرامة والعلم والثقافة لا ابرح السفر حتى ابلغ ملتقى البحرفن والأنهار والبحار فى مناطق مصر وففلسطين والاردن وما والاها كثررة فعند ملتقى نهرفن او بحرفن مكان أشفر على موسى به او امضى سائرا على وجهى ففقا من الدهر حتى اتصل بمقصدى الذى أحاول وهو د لفل على عظمة همه موسى وقوة شكفمته فلما بلغ موسى وفتاه مجمع بفنهما فعنى محلّ التقائهما بعد افتراقهما غفلا عن امر الحوت الذى حملاه معهما لفلكون ففقه امارة وففولهما الى المقصد الذى ففردان ، وففوتهما عند ملتقى البحرفن ومجمع النهرفن بأرادة من الله ففلبسته الففاه ووقع فى الماء ففسرب سربا والسرب فى الماء هو المشى على الأقدام فىه وعلى قاعه لا فسففنه او فففرها من الوسائل فلما جاوز موسى وفتاه مجمع البحرفن بمسافه جاع موسى فقال لفتاه آتنا غداءنا وهو ما ففؤكل وسط النهار لقد لقفنا فى سفرنا هذا نصبا وتعبا وففهدا قال الفتى لموسى ارأفت فففن اوفنا فى ففرفقنا الى الصخره التى استرحنا الفها هناك رأفت الحوت اضطرب ووقع فى البحر واصابتنى عن ذكر هذا المهم غفلة لم فففسع عنى

حتى اذكرتني الآن وكثير من هذه الغفلات تحصل لشاغل نفسى يغطى على الأمر المغفول عنه ، واتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبا وهو انه اخذ يسير فى الماء كأنه لم يفقد حياته ولم يكن فى مكث مدة من الزمان فقال موسى لفتاه ذاك المكان الذى وقع الحوت فيه الى الماء ذاك هو المكان الذى نبغيه وهو ملتقى البحرين وهناك موعدنا مع مقصدنا فدعنا نرجع اليه فارتدا راجعين يقصان الأثر الذى جاء عليه .

* (فوجدا عبدا من عبادنا آتيناہ رحمة من عندنا
وعلمناه من لدنا علما : قال له موسى هل اتبعك
على أن تعلمنى مما علمت رشدا : قال انك لن
تستطيع معى صبرا : وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبرا : قال ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى
لك أمرا : قال فأن اتبعتنى فلا تسئلنى عن شىء
حتى أحدث لك منه ذكرا : فانطلقا حتى اذا ركبا
فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها
لقد جئت شيئا امرا : قال ألم أقل انك لن
تستطيع معى صبرا : قال لا تؤاخذنى بما نسيت
ولا ترهقنى من امرى عسرا : فانطلقا حتى اذا لقيا
غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد
جئت شيئا نكرا : قال ألم أقل لك انك لن تستطيع
معى صبرا) *

عندما رجع موسى ، هو وفتاه الى موضع الصخرة وجدا عندها عبدا واقبيا لله آتاه الله رحمة من عنده وهى النبوة او طول العمر وادعه من

غيبه اسراراً فابتدأه موسى بعد التحية وقال له هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت ما يرشدنى اكثر الى وجوه المصلحة والمعرفة فان فوق كل ذى علم عليما فقال ذلك العبد الصالح الذى تحمّل من خزائن علم الله طرفاً فى جواب موسى انك على علوّ مرتبتك ووفور معلوماتك لست تستطيع فى حركتك معنى صبراً لأننى قد أجرى مع الأشياء بما اعلمه من حقائقها وواقعيّاتها وانت تجرى معها بما يوجب لسان المنطق بحسب ما يظهر على الشىء ومع كل واحد من عندنا حقّ اما الحق الذى يكون معك فان التكليف الشرعيّة والأحكام الدينيّة تجرى على الظواهر واما الحق الذى معنى فان الأسرار الموقوف عليها المعلومة لمدركها تكون مدركاً للعالم بها متى اراد القضاء بها نظير الصور التى واجهها موسى وعمل بها العبد الصالح كما ساقها القرآن وكما علّل ذلك بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً وترى الظاهر يقضى لك علىّ فقال موسى مع ذلك ستجدنى ان شاء الله صابراً ولا اتخلف عن وصيتك فقال له العبد الصالح اذا كلّما تراه منىّ فلا تسألنى عنه حين اعمله ودعنى اكن انما المتحدث عنه لك فانطلق العبد الصالح ومعه موسى يتبعه فأول ما كان من العالم ان ركب هو ومن معه فى سفينة مع اسقاط الكراء لهم والأحسان اليهم فلما اقلعت السفينة وتوسطت عمق البحر خرقتها الخضر بأن قلع منها لوحين من اسافلها فأسرع موسى يردم موضع الخرق بأثوابه وقال له مستنكراً أخرقتها لتغرق اهلها لقد فعلت فعلاً منكراً فيما يظهر عليه لأن ما يتسبب عن فعلك شىء له اهميّة فأجابه الخضر بقوله ألم اقل لك انك لن تستطيع معنى صبراً فقال له موسى لا تؤاخذنى بما غفلت عنه وداعى الغفلة هو تعاضم الفعل الصادر ولا تحمل علىّ حمله تضاً يقنى بها اشد المضايقة فأعدّا الخضر وموسى فى سيرهما حتى اذا لقيا فى

طريقهما غلاما شاباً اجهز عليه الخضر فأماته قتلا فعظمت القضية في عيني موسى بما ازعجته فقال للخضر أقتلت نفسا زكية بما يظهر عليها بغير قصاص لقد جئت في فعلتك شيئا نكرا لا تسيغه النفس فكرّر عليه الخضر مقالته الآنفه بقوله ألم اقل لك أنّك لن تستطيع معى صبرا .

* (قال ان سألتك عن شىء بعد ها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا : فانطلقا حتى اذا أتيا اهل قرية استطعما اهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا : قال هذا فراق بينى وبينك سأنبأك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت ان أعيبها وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا : وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا : فأردنا أن يبدلنا ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما : وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) *

عندما استنكر موسى على الخضر قتله الغلام وذكّره الخضر بأنه شرط عليه بادئا ان لا يسأل عن شىء يراه منه حتى يبتدئه هو بالجواب قال موسى ان سألتك عن شىء بعد ها فلا تصاحبنى فانك ان لم تصاحبنى

بعدها يكن ذلك منك عن اعذار لا تشهيا ومضيا على وجههما حتى اذا اتيا اهل قرية وكانا فى حاجة ماسة الى الغذاء استطعا اهلها فأبوا ان يصيفوهما وهما يمران فى طريقهما فيجدان فيها جدار مائلا مؤذنا بالسقوط فأطاحه الخضر وبناه من تلقاء نفسه فقال له موسى ان اهل هذه القرية لا يستحقون فعل الأحسان فلو كنت قاطعت اصحاب الجدار على اجر يبيد لونه لك ليكون منه طعامنا وسداد عوزنا لكان احسن من عملك التبرعى فهنا لما لم ير الخضر صبورا من موسى على ما يراه قال له هذا فراق بينى وبينك وانا الآن وقبل ان نفترق انبأك بتأويل ما لم تستطع عليه صبورا ، اما السفينة فكانت لأناس فقراء شغلهم الملاحة والمكارة فأردت ان أعيبها بما لا يتسبب عن العيب هلاك نفس او مال لان وراء القوم بمعنى ان هناك مسيطرا على الناس يسوقهم اينما اراد وكان من ارادته ان يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا فاذا وجد السفينة معيبة تركها فان قيل ان العيب اذا كان يمنعها من الملك فانه كذلك يمنعها عن العمل واذا لم تعمل بقى المساكين على مسكنتهم بل يزدادون مسكنة قلنا ليس المنظور ان الملك يأخذ ذلك دائما لنفسه وانما لحشر حصل عنده يجمع عليه السفن فاذا انقضى موعد الحشر ارتفع الأخذ وطبعاً يكون ذلك لأمد محدود وكان الخضر يخاف عليها ان تعاب من استعمال الملك لها عيبا ليس بهما على ردمه ، واما الغلام فكان كافرا طاغيا يعمل لكفره ويناهض من اجله فهو مباح الدم من اجل ذلك وموسى ما كان يعرف كفره ولا طغيانه ، واما الجدار فكان لغلامين يتيمين لا كافل لهما وكان تحت الجدار كنز لهما ذخره لهما ابوهما عندما وجد نفسه مشرفا على الموت وكان ابوهما صالحا فاذا تركت الجدار لنفسه سقط وربما يعثر على الكنز غيرهما فيأخذه اما اذا اقمته

بقي كنزهما محفوظا من الطوارئ حتى يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما ، فهذا تأويل ما رأيت ولم تستطع عليه صبرا .
وهنا يأتي القول عن عنوان - الله والطاغوت - وعنوان الملكية الفردية - أما العنوان الأول فكلمة الله علم للذات الواجبة الوجود المستكملة لجميع صفات الجلال والجمال والكمال اذاً فهي رمز للقدس والطهارة والعلم والحكمة والعدالة وافاضة الخير أما الطاغوت فهي كلمة مأخوذة من الطغيان وهو تجاوز الشيء عن حدّه كتجاوز الماء عن اجراف الشط فهي بمعناها هذا تدلّ على التعدى والتجاوز وحسّ التكبر والتجبر وعدم الرضوخ لموازين العدل والانصاف وعليه فالكلمتان متقابلتان تقابل العدل والظلم وجملة النفوس الضعيفة وما اكثرها فى المخلوقات دائماً وابدأ تهوى الانحياز الى جانب التفلّت والامتياز ليكون لها اسم ورسم بخلاف ما لو سلكت سبيل المعتدلين فانها تكون فى غمار الباقيين نظير عنوان الاكل والشرب حيث يشترك فيه كل من يأكل ويشرب —————
الموجودات .

والطغيان فى بنى آدم شيمة عامة عارمة مهما استطاع الآدمى الأتسام بها فلم تحدثنا السيرة البشرية على طول ابعادها فى التاريخ انها حفظت توازنها مع القدرة الآ فيما ندر من الذوات المرطاضة رياضة واقعية ولذلك يتجلّى الدين فى الانسان الواقعى اعظم تجلّ اجّاذ للنفوس جلاب للانظار وكم نسى الانسان نفسه مع النعمة وعند القدرة وذلك دليل انحطاط ذاته وتسفل صفاته وتحكّم مثل هذا الانسان فى المجتمعات فيه من الخطورة ما لا يعلمه الآ الله فكّلما شاهدته اوار البشرية من تموج وهياج وازعاج ويؤس وشقاء ونقص فى الاموال والانفس والثمرات فهو من نتائج نسيان هذه القيم والتخطى عن المحدوديات

كان عبد الملك بن مروان قبل ان يصل اليه الحكم من ملازمى المسجد وقراءة القرآن فلما أوعز اليه به لم اطراف قرآنه وقال له هذا فراق بينى وبينك وهو واحد من كثرات لاتعد ولا تحصى وكم منت النفوس الضعيفة اهلها بادعاء مقام النبوة والأمامة بمجرد سنوح الفرصة من ناحية والانتساب للعلم والعمل من ناحية ثانية متخيلة ان صرف التعلّم والطلوع بشعار الانبياء والائمة كاف فى استساغة دعوى النبوة والأمامة . والطغيان يتسرب فى كل شىء فى المال فى الجاه فى القدرة فى قوّة البدن فى الشباب فى الجمال فى التعليم وما الى ذلك وهو مذموم بلسان الفطرة والدليل والشعور الانسانى المطلق وفى القرآن الوان من العبارات فى التنديد به وزمّ النفوس عنه :

(١) وفى (البقرة ١٥) قوله : الله يستهزأ بهم ويمدّهم فى طغيانهم يعمهون . (٢٥٦ و ٢٥٧) قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات .

(٢) وقوله (النساء ٦٠) ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به .

(٣) وقوله (المائدة ٦٨) قل يا اهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا

(٤) وقوله (الانعام ١١٠) ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون .

(٥) وقوله (هود ١١٢) فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا أنه

• بما تعملون بصير

(٦) وقوله فيما نحن فيه (الكهف ٨٠) وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين

• فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا

(٧) وقوله (القصص ٨٣) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون

• علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين

(٨) وقوله (الزمر ١٧) والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وانا بوا

• الى الله لهم البشرى

(٩) وقوله (الدخان ١٩) وأن لا تعلوا على الله انى آتيكم بسطان

• مبين

(١٠) وقوله (نون والقلم ٣١) قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين

• (١١) وقوله (النبأ ٢١ و ٢٢) ان جهنم كانت مرصدا للطاغين مآبا

(١٢) وقوله (الفجر ١٠ و ١١ و ١٢) وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا

• فى البلاد فأكثروا فيها الفساد

(١٣) وقوله (الشمس ١١ و ١٢) كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث

• اشقاها ، وغير ذلك

وأما العنوان الثانى (المالكية الفردية) فلا يستريب احد ان أول

منشأ للاستحصال هو اعمال النفوذ فى الطبيعة بالقوة البدنية واستخدم

العضلات كحرث الارض وزرعها والاحتطاب او الاحتشاش ونظير ذلك

من استثمار واستنتاج ، ولا يجيز عقل اى عاقل مغالبة المستنتج والمستثمر

للطبيعة على اتعابه وآثار زحماته فأثار المستنتج ملك طلق له نعم بحكم

الشريعة لا يجوز له تصريفه فى اية جهة اراد من فى الجهات المشروعة

فقط وليس للمالكية معنى سوى ما ذكرناه اذاً فمالكية الشخص لآثار

زحماته واتعابه مطلب طبيعي لا يحتاج الى استدلال وانما يبقى فى
 البين استثمار الثمرة المستحصلة بالكّد فهل هو جائز على كل حال ولو
 كان من طريق غير مشروع كاجراء درهم الكّد فى الربا واعطاءه السعة من
 هذا الطريق ونظائره كالغش والتدليس وامثالهما او لا بدّ فى اجرائه
 من طرق خاصة ومجارى مشخصة نعم لا بدّ فى اجرائه لأجل التوسعة فيه
 من مسيرات محدودة ضابطها انعزالها عن المكاسب المحرمة فمتى سلم
 الكسب من الحرام حلّ وحلّت نتائجه وجاز التصرف به فى كل درج مباح
 فضلا عن الواجبات كاعطائه فى الخمس والزكوة والكفارات والصدقات
 الواجبة الاخرى فضلا عن المستحبات كالاعطاء فى سبيل الله ومشاريع
 الخير فما فعلته الشيوعية وتفعله وما يفعله مقلدوها من مسلمين وغيرهم
 ليس هو الا اغتصابا محضا لحقوق المستحقين الشرعيين .

نعم لا ننكر ان فى ارسال خناق الناس فى المكاسب تضييعا لحقوق
 الكثيرين الذين تستدرج حقوقهم بغشهم والتدليس عليهم واعمال
 النفوذ وهذا من واجبات الحكومات بل الافراد الأخيار ان يقفوا دونه
 ويغلقوا بابه كأغلاق باب كل فساد .

وتعزيزا لحقانية المالكية الفردية الشرعية كما اسلفنا ضوابطها نذكر
 جملة من الآيات القرآنية ليعرف المسلم مصيره فى معاملاته ومسيره مع
 عقله وعقيدته ، فمن ذلك :

(١) قوله تعالى (النساء ٢٠ وما بعدها) وان اردتم استبدال زوج
 مكان زوج وآتيتم احداهنّ قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتاناً
 واشماً مبيناً وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذنّ منكم ميثاقا
 غليظا .

مفاد هاتين الآيتين ان الانسان اذا اصدق امرأة قنطارا من

ذهب او فضة وعقد عليها على الصداق المفروض وتصرف بها ثم بعد ذلك ولو بعد اصابة واحدة اراد أن يطلقها فانه لا يستحق عليها المطالبة بدرهم واحد مما آتاها فالآتان تنصان على ان مالكية الانسان قد تتعلق بالقناطير المقنطرة فالزوج يملك القنطار ويخرج القنطار عن مالكيته لزوجه حيث يتصرف بها .

(٢) وقوله (النساء ٢٩) يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ، فالآية بعد ان صححت المالكية شرطت فيها الطرق المشروعة كالتجارة عن تراض من الطرفين .
(٣) وقوله (الكهف ٨٢) واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك .

وفي هذه الآية اعجاز من البيان حيث جاء فيها وكان ابوهما صالحا ومع ذلك ادخر كنزا لاولاده حتى يكون لهما كفاف معيشة وماء وجه اذا فالتمول ولو كان كثيرا اذا كان عن صلاح في الكسب لا مانع منه وادخاره للمصالح العقلية لا محذور فيه .

وطالما تغنى الجهلاء المرجفون بالتمول والادخار بما جاء في (سورة التوبة ٣٤) والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعداب اليم ، غير مقارنين بينها وبين آية سورة الكهف والحال ان المقارنة جلية جدا فحيث يكون تجميع المال من طرق محرمة فهذا المال ليس لجامعه بل لأهله المأخوذ منهم اذا كانوا مشخصين ولبيت مال المسلمين اذا كانوا مجهولين ، وان كان من طرق مشروعة كمكسب ذلك الأب الصالح فهو لكاسبه يجوز له ادخاره في جهات الصلاح كالإيتام القاصرين والارامل والعاجزين ونظير اولئك .

هذا وروى فى الأمالى عن الرضا (ع) قال قال رسول الله (ص) كل مال تؤدى زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لا تؤدى زكوته فهو كنز وان كان فوق الأرض (وسائل ابواب ما تجب فيه الزكوة وما تستحب الباب الثالث الحديث ٢٦) .

وكم على حساب هذا الجهل المفتضح بالمعايير الاسلامية العلمية نهبت اموال وصور رت املاك بل واريقت دماء من اهلها بأيدى مسلمين يتظاهرون بشتم الاشتراكيين والشيوعيين .
نعم اوصى الله المالكين الشرعيين بالانفاق فى سبيل الله وعدم البخل به على مستحقه واقراضه لمن هو بحاجته واعتبر اقراضه للمحتاجين اقراضا له هو تعالى فمنها :

(١) قوله (البقرة ٢٥٤) يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، و(٢٦١ منها) مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء .

(٢) وقوله (المائدة ١٢) وقال الله انى معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلى وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لا كفرن عنكم سيئاتكم ولأد خلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار .

* (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا
: انا مكنّا له فى الأرض وآتيناها من كل شىء سببا :
فأتبع سببا : حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها
تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا
القرنين اّمّا ان تعدّب واما ان تتخذ فيهم حسنا :
قال اّمّا من ظلم فسوف نعذّب به ثم يردّ الى ربّه
: فيعذّب به عذابا نكرا) *

يسألك الناس من معاصريك يا محمد عن نبأ ذي القرنين شعار
كان معروفا على احد القادة الذين تصرفوا فى العباد والبلاد وكان
لهم اشتهار ومعروفية فى التاريخ والظاهر ان الانسان المسؤل عنه هو
الاسكندر المقدونى الفاتح الشهير ويظهر من سياق الحديث عنه انه
كان يعتقد بالمبدأ والمعاد ولا استغراب فى ذلك فان المعروف عنه
انه كان محبا للعلم والعلماء ناشرا لآثارهم وفى جملتهم الكثير من
الموحدين وحيث تسأل يا محمد عنه فقل لهم سأتلو عليكم ذكرا منه ان
هذا الانسان مكنّا له فى الأرض وآتيناها اسباب القدرة ومن احساسه
بنشاط نفسه سلك طريقه من مقره الى جهة المغرب والمنظور بقوله حتى
اذا بلغ مغرب الشمس انه بلغ ما بقدرته ان يبلغه من معمر ذاك الوقت
كما أن المنظور بقوله وجدها تغرب فى عين حمأة انه لما بلغ ما استطاع
بلوغه رأى فى وقت غروب الشمس ان غياب قرصها بحسب ما تبلغه حدوته
فى الأشعاع يكون فى ماء يظهر عليه السواد والتغير به بحسب النظر
بمعنى ان سقوط قرصها يصادف بحرا ظاهرته سواد مائه وهذا مطلب
بسيط لكل ناظر ورأى ، ولما بلغ نقطة خاصة من مغرب الشمس وجد

هناك اقواما كفرت بالمبدأ فألهمناه نظير الهامنا لأم موسى في البشر وللنحل في الحيوانات الأخران يتخذ واحدة من خطتين أما التعذيب على الخطايا المقترفة وأما العفو والتعليم فأجاب ذو القرنين في تسائله النفسى أما من ظلم فسوف نعدّ به ثم يرد الى ربه يوم القيامة فيعذب به عذابا شديدا يتكافأ مع جريمته .

* (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى

وسنقول له من امرنا يسرا : ثم اتبع سببا : حتى اذا

بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل

لهم من دونها سترا : كذلك وقد أحطنا بما لديه

خبرا : ثم اتبع سببا) *

بلا ريب فى الله وفى الحاكم العدل أن من يؤمن بالمبدأ المقدس ويعمل مع الأيمان الأعمال الصالحة فإن جزائه الحسنى ولا يرى كما لا يسمع إلا طيبا ساراً ، ثم عطف الاسكندر على وجه آخر حتى اذا بلغ مشرق الشمس (والقول فى الشروق كالقول فى الغروب) وجدها تشرق على قوم فى منتهى الوحشية لا مكنّ لهم يكنّهم من حرارتها ولا من عوامل الفضاء الآخر كالقوم الذين وجدهم فى المغرب ، ويقول الله تعالى قد احطنا بما لدى هذا الانسان من نفسية وقدرة مادية ، ثم اخذ طريقا غير السابقين .

* (حتى اذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا : قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدين فى الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا سداً : قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما : آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى افرغ عليه قطرا : فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقبا : قال هذا رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكا وكان وعد ربى حقا) *

المنظور بالسدّين هنا جبلان كانا بين يأجوج ومأجوج وبين الأتوام المتقاضين من الاسكندر ان يحجز بين الطرفين بحاجز حصين فان الفاصلة بين الجبلين كانت معبرا ليأجوج ومأجوج عليهم فطلبوا منه سدّ هذا المعبر حتى ينقطع الطريق عليهم والمراد بكونهم لا يفقهون قولا أما بلادة اذ هانهم او انحيازهم الى لغة خاصة لا انتشار لها فقال هؤلاء القوم للأسكندر لماً مرّ بهم ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ونحن فى جهد وعذاب منهم فهل نؤتيك ما لا نجمعه لك على ان تبني لنا سداً يحول بيننا وبينهم حتى نستريح من شرهم فأجابهم الى ما ارادوا من احداث السدّ لكن بخرجه وصنّاعه والذى منهم هى القوى البدنيّة والعمل ، آتونى زبر الحديد اى قطعه المنتشرة هنا وهناك وفى الأرجح ان المنظور بذلك هو ما بقريهم من معادن الحديد بشكل حجارة فلمّا صفّ هذه القطع كالحدار بين طرفى الجبلين والصدان هما ذلك امر

بالحدادين ان يأتوا بمنافخهم ليذيبوا الرصاص والصفرة والنحاس حتى يلقى بهذه المواد المذابة على الجدار الحديدى الذى رصفه لتكون رابطا قويا بين قطع الحجارة من الحديد المصفوف، والقطر هو المذاب من هذه الفلزات لانه بعد اذ ابته يتقاطر كما يتقاطر الماء وبعد ما ردم بين الجبلين حصل انحياز تام بين الفريقين ولم يستطع بعده اقوام يأجوج ومأجوج ان يظهروا هذا السد كما لم يستطيعوا ثقبه لانه من حديد مفرغ عليه قطر، هناك قال الأسكندر هذا الذى صنعه من رحمة ربي الذى وفقنى لأداء هذه الخدمة فاذا جاءت مقدمات القيامة وتبدل الأرض جعله ربي دكا كما يدك ما هو اعظم منه واقوى وما وعده ربي من التغيير للعالم والتبدل للأرض وقيام الناس بين يديه محشورين اليه حق لا مرية فيه .

* (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا : وعرضا جهنم يومئذ للكافرين عرضا : الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا : أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني اولياء اننا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا : قل هل نبأكم بالأخسرين أعمالا : الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا : اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا : ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) *

يعنى انه عندما تؤذن القيامة بالقيام نترك بعض الناس يموج في بعض اى يأتيتهم الفناء العارم ونفخ في الصور اى اداة تكبير الصوت لأشعار الجميع وهو كناية عن ارادة بعث الموتى فجمعنا المكلفين جمعا ونشرنا جهنم حينذاك للمحكومين بها ليروا هولها الذين كانت اعينهم طائشة لا تتميز موارد رضا الله ومواقع التكليف وكانوا لاعراضهم عن الحق لا يستطيعون سمعا لكلام الحق أفيرى هؤلاء أن تشبثهم بالمسيح عندما يتخذونه معبودا لهم وشريكا له تعالى وهكذا غير المسيح ان المسيح وغيره يكونون لهم اولياء دون من بيده ازمة الامور اننا اعتدنا للكافرين جهنم الموصوفة بصفات العقور والقهر نزلا يحتويهم وبئس النزل جهنم ، قل يا محمد لأهل الكتاب المتمردين وغيرهم ممن هم على صفتهم هل نبأكم بالأخسرين اعمالا من الناس اولئك الذين يدأبون ويعملون في

ضد الحق ولا ريب ان الذي يعمل في ضده تقدما للباطل عليه ضال في سعيه وان حسب انه بمنافته للحق محسن كالكثيرين الذين يشمخون بظلمهم للناس واعنائهم بهم ولا شك ان مثل هؤلاء لا يعتقدون بمبدأ ولا معاد وان يكن لهم عمل في بعض الأحيان مشمرا فانه يعطى قيمته في وقوعه حشوا بين الاعمال الضالة اولئك لا وزن لهم يوم القيامة وان كان لهم اسم وصيت في الدنيا ومثل اولئك لا يقوم بجرائهم شي مثل جهنم لانهم كفروا بالمعاد كما لم يعتقدوا بالمبدأ وسخروا بالرسول ودعوتهم .

* (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلا : خالدون فيها لا يبغون عنها حولا : قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا : قل انما انا بشر مثلكم يوحى اليّ انما الاهم الا اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) *

ويحكم المقابلة بين الأخسرين اعمالا وما أعد لهم من جزاء يأتي الحديث عن الذين آمنوا بالله ربا مقننا ومثيبا معاقبا على الطاعة والعصيان وقرنوا ايمانهم بالعمل الصالح فان جزائهم جنات الفردوس المثمرة اليانعة الخالدة لهم والخالدون لها المؤمنون بها بحيث لا يبغون عنها حولا ولا انتقالا ، ثم أبان عن سعة علمه وعظيم خبرته بأن ماء البحر لو كان مدادا تكتب به كلمات الله يعني جزئيات علمه وتشتتات مواقع حكمته لنفد وانتهى ماء البحر قبل ان تنفذ وتنتهي كلمات الله ولو

اردفنا البحر ببحر مثله ايضا ، قل يا محمد للبشرية بأسرها انما انا بشر
 مثلكم فى كل ما تقتضيه الطبيعة لأدامة الحياة ولكننى املك صلاحيات
 من اجلها يوحى الىّ دونكم واعلموا ان لا اله الا الله الواحد لا مؤئل
 لكم سواه فمن كان منكم يعتقد به عقيدة راسخة ويرجو لقاءه فى القيامة
 فليعمل عملا صالحا ولا يجعل فى وجهته عمله الصالح شريكا لربه
 فانه ان فعل ذلك احبط عمله ولم ينتفع به .

* * (سورة مريم —————) * *

مكية وعدد آياتها ٩٨ آية .

* (بسم الله الرحمن الرحيم : كهيعص : ذكر
رحمة ربك عبده زكريا : اذ نادى ربه ندا خفيا :
قال رب انى وهن العظم منى واشتعل
الرأس شيئا ولم اكن بدعائك رب شقيا : وانى
خفت الموالى من ورائى وكانت امرتى عاقرا
فهب لى من لدنك وليا : يرثنى ويرث من آل
يعقوب واجعله ربى رضيا) *

البسمة تفأل بالخير والحروف المقطعة تقدم عليها القول فى
تفسير سورة البقرة وذكر مرفوع على الأبتداء لكونه خيرا لمبتدأ محذوف
تقديره هذا مقام ذكر رحمة الله لعبده زكريا و بيان جهن ذلك ان زكريا
دعا ربه دعاء خفيا اى بينه و بين نفسه فقال يا رب انى من كبر سننى
ضعف عظمى عن ان يقلىنى واشتد الشيب انطلاقا فى رأسى وكنت فيما
سلف منى مغبوطا بلطفك على و توجهك الى رب ان ورائى ممن ينتسب
لى قبليا من اخاف تحركه فى جانب المعاصى وكانت امرتى عاقرا من
اول شبابها وانا بالفعل شيخ فأعطنى مع هذه الحالة وليا يرثنى ما
اخلفه بعدى ويرث من آل يعقوب امتداد الزكاة اليه واجعله يارب مرضيا
لك وللمؤمنين من عبادك ، ومن هذه الآيات تستنتج نكات (١) استحباب
كون الدعاء خفيا وجهته واضحة فأَنَّ من المتانة والرزانة ان لا يظهر
الأنسان كل ما فى جوفه الا لخالقه الذى ان لم يستجب له لا يفضحه (٢)
ان الارث حقيقه فيما هو قابل للانتقال بلا مؤنه وهو المال بخلاف غيره

من النبوة وغيرها فانها عطايا ابتدائية ولا يعقل فيها الأثر إذا استعمل الأثر فيها و فى امثالها فبضرب من المجاز والتشبيه وهذه الجهة موجودة فى ارثه من آل يعقوب فان المراد منه ليس هو المال لان ولايه الارث غير ولاية الرحم بما هو رحم ومن القرائن على كون الارث هنا هو الأثر المتداول سؤاله من ربه ان يجعله رضيا فان وارث النبوة لا يعقل فيه ان يكون غير مرضى ولا يعقل فى النبى ان يدعى له بوقوعه مرضيا لله (٣) ان خوف زكريا على ماله ان يذهب الى ارحامه ليس لأجل بخله على المال بل لأنه لم يرتض سيرة ارحامه فى دينهم فلم يرغب ان يعينهم على خطتهم فيكون معيننا على ظلم ولو بالقليل من المال او الشرف اما اذا كان له ولد مرضى فان ماله وشرفه ينصرفان اليه ويبعد اولئك الارحام عنهما .

* (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً : قال رب انى يكون لى غلامو كانت امرتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتياً : قال كذالك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا : قال رب اجعل لى آية قال آيتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً : فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا) *

اراد سبحانه لذكريا تحقيق ما تمناه وسمى له الغلام الذى اراده ليكون وليا وارثا له ومن آل يعقوب وانه رضى له وللمؤمنين من خلقه وان اسمه يحيى تفألا ببقائه واستمرار حياته حتى ينوش ما ينوشه كــــل المخلصين من اولياء الله وان هذا الاسم لم يهتد له انسان قبله هنا اراد زكريا ان يبرز اعجاز الله فى حقه تعظيما لمقامه تعالى ولو كان زكريا يستغرب هذه الهبة ويستبعد ها عليه سبحانه لما قال له فهب لى من لدنك وليا يرثنى مع اعترافه بانه كبر سنه ووهن عظمه واشتعل شيب رأسه وان امرته عاقرة، قال رب كيف يتولد منى ومن امرتى العاقرة العجوز غلام هى عاقرة رحما وسنا وانا كالشن البالى المندرس من الشيخوخة فقال له ربه الأمر كما وصفت ولكنه هين على بتقوية جهاز الحمل واطلاقه من زوجتك وبتنشيط قواك الطبيعية فى داخلك ولا شك ان هذه التقوية ايسر بكثير من ابتداء اصل الخلقة فقال زكريا كيف اعلم ان ما طلبت اخذ بالتحقق وما تمنيت مشى فى طريق الفعلية قال علامته ان ينعقد لسانك مع سلامة كافة اجهزتك فلا تستطيع ان تكلم انسانا بكلام الآدميين ولكنه منطلق فى العبادات فأصبح وهو يجد نفسه عاجزا عن مكالمة الناس

بلسانه وكان قومه يجتمعون اليه صباحا ومساء للعبادة فلم يستطع ان يكلمهم بلسانه فأشار اليهم ببنايه ان 'ستمروا على حالتكم السابقة فعرفوا حين لم يكلمهم انه استجيب دعاؤه والمحراب هو المصلى لان الانسان يحارب فيه شهوته وشيطانه والتسبيح هو التقديس والتطهير والبكرة الصباح والعشى ظلمة الليل .

* (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا :
 وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا : وبرّا بوالديه ولم
 يكن جبارا عصيا : وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
 ويوم يبعث حيا) *

فى الكلام اختصار كثير ولكنه لم يمنع وضوح السياق وجريان السياق هو ان امرته زكريا لقحت منه وحملت بالغلام المبشر به ووضعته كما تضع النساء فتربى تربيته صالحه محفوفه بخفارة من الله وخاطبه الله وهو فى سنّى صباه بأن يتناول التوراة بقوة عزيمة على دراستها وشكيمة على تفهم معانيها وعمق نظر فى تشويق ما تؤتية وآتيناه النبوة وهو صبى لم يبلغ بأن رقىنا استعداده وان كانت سنّه قاصرة وفعلنا هذه الألفاظ به حنانا منا عليه وعلى والديه وعلى الناس وراء ذلك وتزكية له وكان فى مجاريه التكليفية تقيا ورعا نزيها عفيفا محسنا بوالديه ولم يأخذ العجب بنفسه كما يفعل العجب بالسائرين كما لم يتخط حدود الله ومن يكن بهذه الهوية فهو حرى بأن يحف بالاحترام والسلام فى جميع آنات وجوده حيا وميتا .

* (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها
 مكانا شرقيا : فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا
 اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا : قالت انى
 اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا : قال انما انا
 رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا : قالت انى يكون
 لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغيا) *

يحيى كان قبل عيسى بفاصلة قليلة واراد الله أن لا يخلى البشرية من
 هدايتها الواقعيين وان يجيء بهم فى الأغلب اعجازيين خلقا وخلقة
 فقال لنبيه محمد تناول فى عرض ما تذكر من آيات ربك المنزلة فى الكتاب
 الذى بين يدك حديث مريم ابنة عمران وما جرى لها من حمل عيسى
 ووضعه وما كان عنه اذ ذكر حديث مريم فى هذا الفاصل من حياتها وهى
 انها يوما من ايام الله انتبذت من اهلها مكانا شرقيا لغاية الاختلاء
 بنفسها لداع من دواعيها القائمة بها وضربت بينها وبينهم حجابا هناك
 جسمنا لها روحنا يعنى جبرئيل وكونه روحا بمعنى روحانيته فتمثل لها
 فى خلوتها بشرا سوى الخلق لا نقص فيه فلما رآته بهذه الحالة وبما
 هى فيه من خلوة عازت بالله منه اذ ليس هناك من تعوذ به غيره وقيدته
 بشرط فقالت ان كنت تقيا فان الذى لا يخاف الله لا يهّم امر المتعوذ به
 فأمن عليها بأنه ليس من اولئك الذين تخافهم بل هو رسول من ربها
 جاءها ليهب لها غلاما طاهرا وهذا الجواب منه اثار فيها حالة اشد
 مما تصورته بادئا فقالت كيف تقول ذلك وهل تلد المرأة من غير لقاح زوج
 او عن سفاح فاما الزوج فأننى بكر وخليّة واما السفاح فهو ليس من
 شيمتى

* (قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا : فحملته فانبتت به مكانا قصيا : فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا : فنادها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا : وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا : فكلى واشربى وقرى عينا فأما ترى من البشر احداً فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا : فأنتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا : يا أخت هارون ما كان ابوك امرء سوء وما كانت امك بغيا : فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا : قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) *

فأجابها هذا المدعى للرسالة عن الله بأن الأمر كما تقولين ان المرأة لا تحمل بدون لقاح زوج او سفاح ولكن الحمل بالأعجاز كأصل الخلقه بالأبتداع هين على الله فأن قيل ما الداعى لفعل مثل هذا الأعجاز وهناك طريق طبيعى نظير الطرق التى كان عنها انبياء الله الباقون الذين تولدوا عن طريق الحمل والزواج فأجاب عن ذلك هذا الرسول بأن الله يريد بفعله هذا ان يجعله آية للناس واعجازا يتجلى للبشرية فيثبت ايمان المؤمن اكثر ويؤمن من لم يكن مؤمنا وليكون رحمة للعالمين بنبوته و ريقته وهدايته وكان ما ذكرته لك امرا محققا فى علم

اللّه ثابتا فى قدّره وجبرئيل لم يحاول فى كلامه هذا ان يجلب مرضاتها بل ليسبقها بالمطلب حتى لا تفاجأ بما لم تعهد وبنفخة نفّخها فى جيبها حملت واستبان بها حملها فى آناث وظهر على جسمها فحذرت او استحيت من اهلها ومن الناس معا فانتبذت بنفسها وحملها مكانا يبعد عنهم ففاجئها الطلق واندفعت من اجله لتستعين بجذع نخلة هناك ونسيت ما بها من الم المخاض بما تتصوره من بعده فقالت يا ليتنى متّ قبل هذه الواقعة وكنت ولا يعرفنى احد بأية قصة والنسى والمنسى كلمتان تعبّران عن معنى واحد هو كونها من الخمول بموقع لا يعرفه احد وهى فى هذه الحالة المزعجة لها اذا بها تسمع خطابا مملوء بالرحمة لا تحزنى يا أمّاه انظرى الى جانبك فهذا نهر من ماء بارد وهزى هذا الجذع اليابس يؤتيك رطبا جنيا فكلى من الرطب واشربى من الماء العذب وبألهام من اللّه لهذا الطفل قال لها واذا رأيت احدا من الناس وهو يعرفك وبطبيعة الحال يستغرب ما يراه منك فيحدثك او يحدث نفسه بحد يث سوء هناك وقبل الألتقاء به انذرى للّه ان لا تكلمى احدا مدة يومك فاذا كلمك احد فأفهميه ايماء وشارة انى نذرت للرحمن صوما عن الكلام فلن اكلم اليوم انسيا وأشيرى الى فانا أقوم بواجب ما يتقاضاه المقام منى وكذلك كان الأمر ات به قومها تحمله على صدرها كما تفعل الأمهات قالوا مع كمال الاستعجاب والاستغراب يا مريم لقد جئت شيئا عظيما فى نوعه بالنسبة اليك، يا اخت هارون (مثل قولنا يا اخا بنى تميم) وهارون كان معروفا بالقدسية ونسبها اليه لقد سيتها ما كان ابوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا فانت فى حضانه اناس اتقيا ومن يتوفى لمثل هذه الحضانه من لازمه ان يكون تقيا هيا با للخطايا فلم تجبهم ولكنها أشارت الى حملها ليجيب عنها ويكون جوابه

لهم فتعجبوا من هذا الأيعاز وقالوا كيف نكلم رضيعا لا ينام الآفى مهد
 هناك اجابهم هذا الرضيع بقوله انى عبد الله ليثبت كونه مخلوقا لا خالقا
 وعيدا لا معبودا وانه لا يقدر على شىء الا بأقدار من الله آتانى الكتاب
 يعنى سوف يؤتنيه قطعا فالمستقبل بمنزلة المحقق وقوله جعلنى نبيا
 مثله ويجوز ان يكون بالفعل نبيا والقول فيه ما قلناه فى يحيى قريبا

* (وجعلنى مباركا اين ماكنت واوصانى بالصلاة

والزكوة مادمت حيا وبراً بوالدى ولم يجعلنى

جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت

ويوم أبعث حيا : ذلك عيسى ابن مريم قول الحق

الذى فيه يمترون : ماكان لله أن يتخذ من ولد

سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) *

جعلنى مباركا بمعنى أفاض على من الطافه فصرت منبعاً للخير فى
 كافة ماأخذ وأدع واوصانى بالصلاة الناهية عن الفحشاء والزكوة المطهرة
 لمالى والمعينة للضعيف وبراً بوالدى تجاه ما تحملت فى سبيلى من
 اذايا روحية وجسمية ولم يهملنى لنفسى حتى يأخذ منى الغرور مأخذه
 فأجىء متكبرا معدما من الفضائل والذى يكون بهذه الصفات يدعى له
 بالسلامه والكرامة يوم مولده باعتبار انه باكورة حياته ورأس مبدأ الاتصال
 ويوم مماته وهو آخر زمن خيراته ومبراته العملية فى الخارج ويوم اعادته
 حيث تنشر صحائف الغرذ لك المعنون بهذا العناوين الباذخة هو
 عيسى بن مريم قلنا فيه قول الحق الذى اختلف الناس فيه فجاهل قاصر
 يدعى فيه خلاف الواقع من طهارة مولده وغال غامر يدعى انه الله او
 ابن الله ونظير ذلك من النسب الفاسدة علما وحقيقة ، ليس من شؤون

واجب الوجود ان يكون ذا ولد حتى يتخذ عيسى ولدا له تتنزه ساحة
 قدسه عن ذلك نعم هو اذا اراد شيئا تحققت ارادته فورا .
 * (وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
 فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من
 مشهد يوم عظيم : أسمع بهم و ابصر يوم يأتوننا
 لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين : وانذرهم يوم
 الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون
 :انا نحن نرث الأرض ومن عليها والينا يرجعون) *

قوله وان الله ربي من جملة مقول عيسى حين قال انى عبد الله اتانى
 الكتاب ومعناه هذا الذى انا عبده هو ربي وربكم فاعبدوه وهذا الذى
 ادعوكم اليه هو الصراط المستقيم الذى لا زيغ فيه ولا ضلال ومع هذه
 النصوص العامة الصادرة من نفس عيسى اختلفت الفرق المتدنية فيه
 فبعضهم يراه هو الله وبعضهم يراه شريكا لله وبعضهم يراه ابن الله
 فويل لأولئك الذين يكفرون بالواقع من مشهد هم ليوم عظيم ذلك اليوم
 الذى تجتمع فيه الجن والانس والملائكة للحساب وبيان السوابق . ما
 اسمعهم يوم القيامة يوم الفصل لما يقال لهم وما ابصرهم لما يشاهدونه
 وانما يكونون كذلك لانه يوم تحقق الثواب العقاب الجديين اما هم هؤلاء
 فى عالم الدنيا باعتبار غياب يوم الآخرة عنهم فى متاهة من تصوراتهم فى
 حق هذا اليوم الموعود لكن خوفهم يا محمد بيوم الحسرة الذى يتحسر
 فيه المثاب والمعاقب معا المثاب أنه لم يستكثر والمعاقب انه لم اقتصر
 المعصية حتى عوقب وكان مفسوحا له المجال مختارا فى الطاعة والمعصية
 . اذ قضى الأمر اى حين قضى الله بما للمطيع والعاصي من ثواب وعقاب

وكان المطيع فى دنياه غافلا عما للمستكثر من الطاعة من اجر كما كان العاصى غافلا عما تستوجه المعصية من عقاب والذين لا يؤمنون هم الظالمون لانفسهم فقط لا المستقلون من عمل الخير، انا نحن نـرث الأرض اى يكون مال الخلائق الينا حيث لا تعدد فى الحاكيات حينذاك .

* (واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صدقا نبيا : اذ قال لأبيه يا ايت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا : يا ايت ائتى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا : يا ايت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا : يا ايت ائتى اخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا : قال أراغب انت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا : قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفييا : وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وادع ربى عسى ألا اكون بدعاء ربى شقيا : فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا : ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) *

واذكر يا محمد لقومك وللأجيال فى القرآن المنزل عليك ابراهيم فانه حرى بالذکر لأعراقه فى الصدق ولكونه نبيا مرسلا الى البشرية لتسديد خطاها وانه كيف بدأ فى الدعوة أباه قبل الناس فقال له يا

ابت مالك تعبد موجودا اصم لا يسمع واعمى لا يبصر ولا يفيدك قليلا ولا كثيرا فى الجهة التى انت فى خطمها فكأن الأب قال له فهل انت عالم حتى تعلمنى فقال له اننى قد جئنى من العلم مالم يأتك وانا إتماماً للحجة^٤ تيك وارشدك فاتبعنى وترسم اثرى اهدك صراطا لا اعوجاج فيه ولا تلوى حتى يضيعك بل ما اریده لك طريق لا حب لا ضلال معه يا ابت لا تتبع تسويلات الشيطان ان الشيطان من العصاة الغاوين المنحرفين ومن اعداء الله يا ابت تراجع عما يريدك الشيطان لك فانى اخاف ان يمسك عذاب من الله فتكون تبعا للشيطان فى كل ما يرد عليه من ربه وبعد هذا الحوار اللطيف جابهه ابوه بقوله أرغب انت عن آلهتى التى اتخذها عمادا لحياتى يا ابراهيم لئن لم تنته من هذا النقاش والجدال لأجمنك بالحجارة فابتعد عنى زمانا تنجو فيه بنفسك وتعيش حياتك فقال له ابراهيم سلام عليك تحية من ولد بار بك يريد صرف السوء عنك سأطلب من ربك ان يهياك لقبول الهداية وبعد ذلك الغفران لك والتوبة عنك ان ربي لما يعلمه من حنانى عليك وارادتى لنجاتك كان بى مشفقا لم يقطع عن افضاله على وتلطفه بى وكما اردت فاننى سوف اعتزلكم واعتزل آلهتكم وادعو ربي بهدايتكم فأنى واثق أن لا اكون بدعاء ربي شقيا مفلسا من آثاره صغر الكف من نتائجه فلما اعتزل عن قومه وتنحى عن بلادهم وكان قبل ذاك عقيما لا يولد له وهبنا له اسحاق ولداً ويعقوب حفيدا وكلا من ولده وحفيدة جعلنا نبيا هاديا ورسولا مرشدا ومعلما مهذبا وهبنا لهذه الاسرة من رحمتنا ما يتكافأ مع قيامها بالمسؤولية وجعلنا لهم لسان صدق بعدهم يتحدث عن محاسنهم ويسرد ذكر فضائلهم ويعلى من شأنهم .

* (واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا :ونادىناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا :ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا :واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا :وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) *

واذكر كذلك يا محمد فى القرآن الذى تتلو فيه تبيان كل شىء موسى بن عمران فان الله رصده للرسالة وأخلصه للنبوّة وكان رسولا منه تعالى الى جيله الطويل الأمد الكثير العدد نبياّ مناجزا ومناهضا ونادىناه عندما اقبل من مدين من جانب الطور طور سيناء الأيمن لموسى عندما حاذاه وقربناه الينا قرب معنى وناجينا بما نريده من سعادة الأمم ومصحة الناس ووهبنا له ملطفين به أخاه هارون وجعلناه نبياّ فى عرض نبوة اخيه إسعادا وسنادا كما طلب هو ورجب واذكر فى الكتاب اسماعيل ومنصرفه هو اسماعيل بن ابراهيم فإنه كان صادقا اذا وعد أصرّ على الوفاء بوعد وكل الاخير كذلك ولكن ميزته أنّ ملاسبات حصلت له فشهرت باسمه وكان رسولا من الله الى عباده ونبياّ مبلغا عنه وكان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحاثين لهم على اقامه الصلاة وايتاء الزكاة وكان فى خلاله وخصاله مورد رضا لله سبحانه .

* (واذكر في الكتاب ادريس انه كان صدّيقاً نبياً :

ورفعناه مكاناً عليّاً اولئك الذين انعم الله عليهم

من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن

ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبتنا اذا

تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجّداً وبكياً :

فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا

الشهوات فسوف يلقون غياً) *

يقال ان ادريس كان اباً لنوح وانه اول من خط بالقلم وانه كان
خيّاطاً وان من معجزاته معرفته بالنجوم والحساب ان ادريس كان
معروفاً بسمّة الصدق نبياً من انبياء الله ادريس ومن سبقه بالذكر في
القرآن من هذه السورة هم الذين انعم الله عليهم بالفيوضات المعنوية
من جملة النبيين الكائنين من آدم ومن المؤمنين الذين حكم عليهم
بالنجاهة لأيمانهم وصلاتهم وحملهم نوح معه في السفينة ومن ذرية
ابراهيم وحفيده يعقوب ومن ذراري من هديناه للطرائق الفاضلة
واجتبتناه للمعارف الكاملة اولئك الذين اذا تليت عليهم آيات الله
وبيّنت لهم الطافه خرّوا ساجدين تعظيماً له باكين من تقواه مقدّرين له
مزاياه فخلف من بعدهم كل خير منهم خلف ناقضوا سلفهم فأضاعوا الصلاة
ولم يقيموها واتبعوا الشهوات ولم يعزبوا عنها فسوف يلقون من الله شرّاً
وضراً جزاءً ومكافأةً الآ الذي يتوب من ذنبه ويتدارك ما سلف من اضاعته
ويؤمن بربه ويعمل صالحاً يحقّق به ايمانه ويرضى وجدانه فاولئك بعد
التوبه والتدارك لما فات يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً .
وهنا يأتي القول عن عنوان - ادوار البشرية ومسير الهداه او

المشبهين معها - فنقول الأمة مشفوعة بالعصمة مرآة وحى الرسالة وهدى النبوة والامام المعصوم حافظ وحى النبي وممثل مثالية الرسول وقد اعطت المقارنات الخارجية صوراً من ذلك فقد اثبت العيان ان علياً عليه السلام كان يقفو اثر النبي وخطواته ويترسم مراسمه في كافة صفاته وسماته وكان احسن مقرر لما وعى عنه فهو باب علمه ونسخه مصغرة من عظم شأنه ومفخرة منقطعة النظير من مفاخر مدرسته ، كما اثبتت المقارنات صوراً حية من صبر النبي وحلمه وتحمله وكظمه وسخائه وكرمه للحسن بن علي ، وكذلـك اثبتت صوراً حية من ثبات النبي وشهامته وابعاءه وكرامته وتصلبه في الدفاع عن الحقيقة واستقامته وبطولته وشجاعته لسيد الشهداء ابي عبد الله الحسين ، وكذلـك اثبتت صورة حية من زهد النبي وعبادته وتهجده وادعيته وتبته وتوسله لزين العابدين علي بن الحسين (ع) واثبتت صوراً حية من سعة علمه وجليل ثقافته وتحره واصابته محزّ الواقع للأماميين الصادقين محمد بن علي وجعفر بن محمد ، وعلى هذا المنوال بقيّة الأئمة عدل كتاب الله واحد الثقيلين .

جاء النبي الاكرم الى الوجود ليصل دعوة سلفه الصالح من انبياء ومرسلين بتحكيم الحقيقة بين الناس وقلع نواة الجهل من ادعيتهم وتركيز الواقع في ضمائرهم للجزم بان العلم وحده لا ينفع بل قد يكون اداة اغواء واستحواد واركاس في المصائب والمصاعب كما حصل بكثرة من دجالين جعلوا ساحة الوجود ميداناً لتدليسهم واضلوا عباد الله وحرفوهم عن الجادة القويمية واكلوا بهم الدنيا شرّاً اكلة كما نلمسه اليوم ولمسناه بالأمس في فترات مرت على هذه الامة المسلمة المستسلمة لكل من يريدها بأى سوء يفرض .

نعم لا ينفع العلم وحده ما لم تكن معه قدسية وتقوى تصدّان صاحبها

عما لا يحلّ وتدفعان به الى الصراحة والأخلاص وقد أصرّ رسول اللّٰه (ص) طوال ثلاث وعشرين سنة على تركيز هذين العاملين العلم النافع والعمل الصالح في افراد الأمة التي يريد احياؤها وبعثها من مراقده الغفلة الى التوجه واليقظة وحيث كان واقعيا صريحا مخلصا اثر اثاره المحسوس ومن واقعيته انه راعى حقوق الجميع فلم يطوّح بالمستكبرين بعد ان انام استكبارهم ولم يرسل الرسن للمستضعفين حتى يركضوا تواء في مضارهم ولم يتجبر حين كبر شخصه وعظمت شخصيته ولم يسلب المنتسبين له على الناس يعيئون فيهم ويعبثون بكرامتهم وقد حصلت بعض الهناة من بعض جماعته فقامت قيامته في الأستنكار وتدارك ما حصل من خلاف الحق ومثل هذه الشخصية الواقعية يمكنها أن تصدر آثارها الى ما قرب منها وبعد عنها واذا بالاسلام يتخطى القارات الوسيعة فضلا عن الاماكن القريبة وها هو ذا بعد ان يعدم المخلصين من قاداته يتراجع وينقبض فلا يبقى له الا اسم باهت واثرا ساكت يستغلّمها بين الفترة والفترة انتهازيون افسد من اللصوص واخزى من قطاع الطرق فالرسول والائمة عاشوا مع الناس على ما تقتضيه الحال من صلح وهدنة او زجّ للأعنة ووخز بالأسنّة ومراعاة مقتضى الحال من اعظم محصلوات العقول نطقا وسكوتا صلحا وحربا خشونة ومرونة برصيد من الدين ومراعاة للحقيقة اذا فما اكثر خطأ من اعنف بالرسول في صلحه بالحد يبيية او استكثر عليه ايقاعه بنى قريظة وقس على ذلك الحال في قعود على يوم السقيفة ومواصلته للقيام ضد قادة الجمل وصفين والنهروان وصلح الحسن مع معاوية وقيام الحسين على يزيد وانصراف الصادقين لنشر العلم دون خوض الميادين ومجاهرة بعض العلماء ومجاملة البعض الآخر فان كلاً من اللف والنشر له موقعه من المنطق وشريعة السماء حيث يكون عن

تدبر للموقف واذعان للواقع وحائطة في العمل .
 واما حديث المسفين والمتشدقين فهو هذر يبعثه في الاغلب جهل
 مشفوع بغرور مؤيد بالطغمة من الناس اولئك الذين يعطون الجزيل من
 انفسهم في اللآ طائلات اكثر من صرفها في الحقيقة .
 ويرى جملة من الجهلة ان الأسباب التي آدت بالمسلمين والممالك
 الاسلامية الى هذا التسيب والتنزل والانغماس في الذلة والاستعمار
 هو عامل التخلف عن مواكبة الحضارة حيث قاومها المتمزتون من علماء
 الاسلام وحرّموها على المسلمين ، او بالعكس هو عامل التقاليد الغربية
 حيث آدى بالمسلمين الى ان يكونوا اذنايا للغربيين من طريق هذه
 التقاليد والواقع ان الذي آدى بهم الى هذا التدهور المخزى هو مزيج
 من العاملين وعدم اخلاص القادة السياسيين فيهم بخلاف غيرهم من
 الغربيين .

اما الحضارة الراجعة في الغرب بما فيها من تهتك وخلاعة فهي من
 اسوأ ما يتصور من العادات والغرب لم يتقدم من اجل ذلك بل تقدمه
 مرهون صناعاته واخلاص ساسته في قيادته ، واما تقليد المسلميـن
 للغربيين لو كان في عامة جهاتهم حتى الدقة في الصناعة والاخلاص في
 السياسة لهان الكثير من الخطوب لكنهم اقتصروا في تقليد هم على كل
 سيئة ولم ينالوا من حسناتهم اقل حسنة على سقوط في ساستهم حتى
 المسلم والدينى منهم ، فان كان السائس الغربى يخاتل ويجامل فانما
 يفعل ذلك مع الاغيار ليجرّ النفع الى شعبه ولكن السائس الشرقى
 وبخاصة المسلم منهم لا تراه الا مدلسا مع شعبه مخلصا للاجانب عنه
 فهو لا يهتم ان يهلك شعبه في سبيل انعاش من صادقهم من الاغيار
 وبهذا صارت الاوطان الشرقية مخازن ومدخرات للغربيين ومهما عظم

خطر السائس الشرقى وعلا مقامه وصار له اسم وصيت فان ثمراته السمينه للغرب فقط وهذا ما شوهد ويشاهد فى طول الازمنه التى تعالى بها الغرب وارتكس فيها الشرق .

ولم تنزل اغنية الاخلاص بدافع الدجل مثيرة للقلق فى هذه الشعوب الشرقيه بما صارت معه مهزلة للسهازل واضحوكة للساخر سواء كان ذلك بعنوان الاستقلال والتحرر او بعنوان الاسلام والتدين وكل ذلك شاهد ه الناس وذاقوا منه كل مر ومع مزيد الأسف لم يستفيدوا منه اقل تذكره ولا عبرة ومتحررنا اليوم من كثير ما خامرته الوسوس اصبح من المتشككين باصل خلقته وساوره من الظنون والاحتمالات ما جعله ملحدا بكل شىء حتى بالواضحات البسائط .

وقد يعذر فى جملة مما انعكس فى ذهنه ولكنه لا يعذر فى جفائه للحقيقة بالمره فان أصالة الأصيل لا يجوز القاؤها فى الزبل مع الفضلات الاخرى ومن وظيفة المخلصين فى كافة اقشار المجتمع ان يساندوا الحق ولو أودوا فى هذا السبيل ولقوا من جرائه الضغوط والاختناقات كما حصل الكثير من ذلك لهم فى الادوار التى عشنا معها وواكبناها فى فواصل اعمارنا وحتى الساعة .

* (جنّات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه

كان وعده مأثيا : لا يسمعون فيها لغوا الاّ سلاما
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا : تلك الجنة التي
نورث من عبادنا من كان تقيا : وما ننزل الاّ بأمر
ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك
وما كان ربك نسيا : ربّ السموات والأرض وما بينهما
فاعبهه واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا) *

تلك الجنة التي يدخلها من تاب وآمن وعمل صالحا هي جنّات
الاقامة التي ما عنها متحوّل ولا منتقل والتي وعد الرحمن بها عباده
المتقين له في غياب منهم ومن كل احد بل هو وعد صدر منه لكلّ من
يتلبس بالطاعة ويتجنب المعصية فان المنظور بذلك فرضية المطلب وكلّ
من يتلبس بالعنوان يشمله الحكم بالوعد المنظور ان وعد الله كائن لا
محالة لا يسمع اهل الجنة في الجنة كلاما لاغيا كما كانوا يسمعون شأوا
ام ابوا في الدنيا بل مسموعهم تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة
عليهم ولهم رزقهم الذي يشتهونه في ايّ وقت ارادوا تلك الجنة الموصوفة
تكون هي الموثل والمناخ للتقى من عبادنا هذا الذي يتورع عن ارتكاب
ما لا يعرف وجهه ويحتاج من فعل مالم يدرك حكمه ويقول بعض اهل
الجنة لبعض لا ننزل مكانا خاصا من هذه الجنان الاّ بأمر من الله لانه
المالك لنا ولكلّ شيء له علقه بنا او لنا به علاقة وما كان ربك من اهل
الغفلة عن شيء وايا كان ذلك الشيء وكيف يغفل من كلّ الاشياء خلقته
وهي في قبضته فاعبد يا محمد هذا الخالق المستحق للعبادة واصبر
لعبادته ولو استتبعته عناء ونصبا فانه لا شبيه له ولا نظير .

* (ويقول الإنسان إذا ما متّ لسوف أخرج حيّا :
 أو لا يذكر الإنسان أنّا خلقناه من قبل ولم يك
 شيئاً : فو ربّك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم
 حول جهنم جثيّاً : ثم لننزعنّ من كل شيعة أيهم
 اشدّ على الرحمن عتياً : ثم لنحن اعلم بالذين هم
 اولى بها صلياً) *

يقول الانسان الملحد مستغرباً متعجباً من القول بالمعاد الذي
 يجرى على السنة الرسل ويوجد في كتب السماء كيف يموت الانسان وتبلى
 عظامه وتصير رفاتا وتمرّ عليه ازمان متطاولة ثم يخرج حيا كما كان زمان
 حياته فيقال للإنسان الجنسى بما هو انسان أو لا يذكر انه لم يكن شيئاً
 مذكورا ثم كان والأعادة اهون من الأبتداء فو ربّك لنحشرنهم والشياطين
 الذين هم ائمتهم ثم لنحضرنهم جميعاً حول جهنم جاثين على ركبهم
 من الفرع والهلع والجزع ثم لنستخلصنّ من كل قوم اعताهم على الحق
 ويكون هو الأولى بدخول جهنم .

* (وان منكم الاّ واردها كان على ربك حتما مقضينا :
 ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا :
 واذنا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا
 للذين آمنوا ايّ الفريقين خير مقاما وأحسن نديا :
 وكم اهلكتنا قبلهم من قرن هم أحسن اثا ورتيا :
 قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مديا
 حتى اذا رأوا ما يوعدون اّما العذاب واما الساعة
 فسيعلمون من هو شرّ مكانا وأضعف جندا) *

استجلاء للنعمة وبيانا لوجه الحكمة قضى الله بعد قيام القيامة
 واعداد الثواب والعقاب ان جميع المحشورين لا بدّ وان يطلعوا على
 هول النار والعذاب ليقف المثاب على عظيم ما دفع عنه والمعاقب على
 اهمية ما أعدّ له ثم ننجى الذين اتقوا من النار ونذر الظالمين فيما أعدّ
 لهم جاثين على ركبهم كالمتحير مما دخل عليه من مصاب واذا تتلى
 آياتنا على المتقين والمنحرفين جميعا بوسيلة الرسل او دعاتهم فى دار
 الدنيا يقول الذين كفروا عندما يشاهدون اوضاعهم منسجمة ويرون الكثير
 من المؤمنين فى اذية وبلية للذين آمنوا ايّ الفريقين منا ومنكم خير مقاما
 فى الحياة وأحسن نديا والذي يريدونه من هذا القول الاستهزاء
 بالمؤمنين لكنهم اخطأوا فان زيارج الدنيا الى انقطاع فقد اهلكتنا بكثرة
 من كان احسن منهم اثا ومعاشا ورتيا قل يا محمد للناس من كان
 ضالا فان الله يوسع له حتى ترى الناس ما يكون منه حتى اذا رأوا ما
 يوعدون العذاب فى الدنيا احيانا او قيام الساعة بهم للحساب فانهم
 فى كلتا الحالتين يعلمون من هو شرّ مكانا هم او المؤمنون بالله ومن هو

اضعف جندا ، الأثاث هو متاع الانسان والرئي هو المرئي الذي يلوح على
ظاهره والندى هو النادى بمعنى المجلس .

* (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا : أفرأيت
الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا : اطلع
الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا : كلاً سنكتب
ما يقول ونمد له من العذاب مدا : ونرثه ما يقول
ويأتينا فردا : واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا : كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم
ضدا) *

زيادة الله للذين اهتدوا بعد التحرى للهداية وطلبها انما هو تفضل
يصنعه الله مع عباده المقبلين عليه والباقيات من الاعمال الصالحة التى
تبقى بعد موت الانسان خير ثوابا عند ربك غداً مما يفوت الانسان من
نعيم الدنيا وخير مرجعا وموتلا ، أفرأيت الخطاب لكل من تتأتى منه
الرؤية الذى كفر بآياتنا وعدّها سحرا وشعوذة وقال لأحصلن فى الدنيا
مالا وولدا ولا ارتباط لذلك بالله فقل لهذا المتمنى اطلع على الغيب
فعلم منه ذلك ام ان له معاهدة مع الله على اعطائه ما يتمناه كلاً لا اطلاع
عنده من الغيب ولا معاهدة بينه وبين الله وكل ما يقوله فهو مضبوط
محفوظ وغدا نمد له من العذاب مدا تطول مدته ولو انه يؤتى مالا وولدا
فى عالم الدنيا كما تمنى فان ماله وولده يبقيان ورائه وتكون قبضتهم
بأيدينا ويأتى الى ساحة المحشر وحيدا فريدا ، واتخذ الكفار بالله آلهة
من وثن او انسان او غيرهما بغية ان تكون هذه الاشياء عزا لهم فى

الدنيا والآخرة كلاً ليس الأمر على يتخيلون فانهم يوم القيامة سيكفرون

بعبادتهم وينقلبون عليهم اعداء بعد ما كانوا لهم اولياء وعبداء .

* (ألم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم

ازا : فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا : يوم

نحشر المتقين الى الرحمن وفدا : ونسوق

المجرمين الى جهنم وردا : لا يملكون الشفاعة الا

من اتخذ عند الرحمن عهدا : وقالوا اتخذ الرحمن

ولدا : لقد جئتم شيئا ادا : تكاد السموات

يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا

: أن دعوا للرحمن ولدا : وما ينبغي للرحمن ان

يتخذ ولدا) *

ألم تر يا محمد فى كل مظان الكفر والنفاق انا ارسلنا الشياطين
على الكافرين والمنحرفين تزجهم عن الطاعة وطريق الحق ازعاجا وليس
المنظور ان الله يباشر ارسال الشياطين على الكفرة فأنه مما لا معنى له
ولا يرتكبه الله سبحانه لكنه عبر عن ذلك باعتبار تطلب الكفرة للشياطين
وترسمهم لخطاهم واتباعهم لهم وازيز القدر فورانها ، فلا تعجل عليهم
بمعنى لا ترد منا التعجيل فى هلاكهم فانما هى ايام معدودة وتأيتهم
آجالهم فيرتاح العالم منهم ، يوم القيامة هو اليوم الذى نحشر فيه
المتقين الينا لينالوا جزاء طاعتهم والمراد بكونهم وفدا ان الحشر كما
هو لازم معناه اللغوى التجمع والوفد كذلك ، ونسوق المجرمين بما يدل
على الهوان والذلة الى جهنم كالهم العطاش الى الورد ، لا يملكون
الشفاعة من كل احد اذ ليس من الصالحين من يشفع بهم وهم مجرمون

معروفون بهذه السمة، والعهد المتخذ من الرحمن هو اسقاطه للصغائر مع عدم الأصرار وللكبائر مع التوبة والتدارك والأستغفار، وقال المجرمون من الجهلاء اتخذ الله ولدا كالعزير والمسيح لقد جاؤا بنسبتهم هذه له شيئا عظيما يثقل على الشعور فان واجب الوجود ليس محلا لهذه القضايا المادية وكيف يتخذ ولدا من هو اعلا من كل على واقوى من كل قوى ان هذه الدعوى لجسامتها فى الأنحراف والخطأ تكاد السموات تتفطر لها وتنشق الارض وتنهدّ الجبال على سفوحها هدا .

* (ان كل من فى السموات والارض الآتى الرحمن:

عبدا: لقد احصاهم وعدّهم عدّا: وكل آتية يوم القيامة

فردا: ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل

لهم الرحمن ودا: فأنما يسرّناه بلسانك لتبشر به

المتقين وتذّر به قوما لدا: وكما اهلكنا قبلهم من

قرن هل تحسّ منهم من احد او تسمع لهم ركزا) *

جميع من كان قبل الآخرة مليكا ورئيسا ومتجبّرا وذا مقام وعنوان يأتى

يوم القيامة ولا يرى نفسه الا خاضعة امام قدرة الله وعظمته والمخلوقات

التي كتب عليها الحشر محصية لله معلومة له معدودة عنده لانه هو

خالقها ومدبّر شؤونها وناشرها وباعثها والجميع من ملك وسوقه لا يأتى

المحشر الا ببذنه العارى فليس معه سلاحه ولا ماله ولا عشيرته امّا

الذين تزودوا من الصالحات فى الدنيا فأنّ لهم لصلاحهم وفلاحهم

محبوبية عند الله والناس جميعا، وهذا القرآن الذى يسرّناه لك ولقومك

وانزلناه بلغتك لتبشر به من اتقى الله منهم ولتخوف به قوما ألداء فى

الخصومة لله ولعباده الصالحين اولئك المغرورون بما عندهم من متاع

في حال ان قبلهم من الأجيال من كان اقوى واقدر منهم في كل شىء
ومن كل جهة اوقعنا به ولم تمنعهم عدتهم وعديدهم من الله شيئاً فهل
ترى يا محمد من اولئك الاقوياء احدا اليوم او تسمع لهم صوتا يندلع
من حناجرهم - لا - اذاً فمعاصروك اجدر بأن يحلّ بهم ما حلّ
بغيرهم .

مكية كلها عدد آيها ١٣٥ آية .

* (بسم الله الرحمن الرحيم : طه : ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى : الا تذكرة لمن يخشى : تنزيلا
ممن خلق الأرض و السموات العلا : الرحمن
على العرش استوى : له ما فى السموات وما فى
الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى : وان تجهر
بالقول فإنه يعلم السر و اخفى : الله لا اله
الا هو له الاسماء الحسنى) *

البسمة تفأل بالعمل الذى يساق بعدها و علامة ايمان المؤمن
بالله : و طه حروف مقطعة و قد تقدم القول عنها فى اول هذا التفسير
و الشقاء هو تحمل المشقة يريد تعالى اننا وان انزلنا القرآن واعظا
و مرشدا مبشرا و منذرا و داعيا الى عبادة الله و الأعمال الصالحة التى
تضمن الآخرة لكننا لم نرد به الأحرار بأحد او المشقة له فلا تشق على
نفسك بكثرة العبادة و طول القيام و تحمل الزحمت فأنتك متعب مجهد
من نواحى اخرى نحن انما نزلنا القرآن ليكون تذكرة للناس ووجهها
للغافل و تعليما للجاهل حتى يخشى من طريقه ارتكاب المعاصى
و مقارفة الجرائم قام بهذا التنزيل خالق الارض و السموات مبدع الكون
و الكائنات ذلك الموسوم بالرحمة لعباده و الرأفة بكائناته ذاك الذى
بيده ناصية خلقه على عموم استيلائه و لا تنهاهى ملكه الذى وسع كرسيه
سماواته و ارضه و الذى لا منازع له و لا معارض له جميع ما فى الافلاك

العليا وكافة ما على الأرض وما بين الأرض والسماء وما تمركز تحت الثرى وان تحسب أيها المكلف انك بجهرك فى قولك تحاول ابلاغ دعائك لربك فأن ربك ليس كالمسائرين بل يعلم ما تتحرك به الشفاه ولو همسا ويدرك ما لم يتجاوز القلب علما هذا الرب الموصوف بهذه الصفات هو واجب الوجود علة العلل له كل اسم حسن من رحمن ورحيم ومنتقم و شديد العقاب وكل مستحقه .

او نقول عن الآيات المذكورة انه قيل فى طاها اصله طاها بالهمز لما روى ان النبى كان يقوم فى تهجده على احدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معا ، ما انزلنا ، الأنزال انما يكون من العلو الى السفلى ماديا مرة ومعنويا اخرى والأخير قطعى الأرادة فى كلام الله والاول محتمل معه ، والقرآن هو المجموع وانما اطلق على كلام الله الواقع بين الدفتين لانه مجموعة محتويه على شتات مقاصد الحكماء والعلماء الريانيين افرغها ربهم ببيانه الأعجازى ، لتشفى هو من الشقاء بمعنى التعب والمشقة سواء كانا فى مقام العمل والاجهاد للبنية الطبيعية بكثرة العبادة ام كانا فى مقام التبليغ وحمل الناس على الطاعة والمعرفة والآية تعنى ان كلاً من ذلك لم يكن مراداً منك والذى يؤيد ان المراد هو الشقاء التبليغى قوله الآ تذكره لمن يخشى والآ هنا استدراك بمعنى لكن اى اننا لم ننزل عليك القرآن اشقاء لك واتعابا لبالك وبدنك بل انزلناه عليك لتكون منبهاً ومذكراً وملفتاً فاذا نبهت الغافلين وذكرت الناسين والفتت انظار العازبين فقد اديت وطيفتك ولم تكن مسؤلاً بغيرها والحق هو كذلك من وجهة تبليغية نعم لو ملك هذا المبلغ قدرة مادية وجب عليه اعمال نفوذه فى ذلك الفسادة والانتصار للخيرة فان اعمال النفوذ حق اذا لم ينجع التبليغ وبدونه

تعود الحياه و بالا على اهلها و هذا المعنى يستفاد من قوله لمن يخشى اى ان التذكرة انما تؤثر فى الانسان المستعد لاختضاع الحق له لا الانسان المتمرد على كل حالة فان الجاهل المتمرد لا تثنيه عن غيّه و عن اضراره بغيره الا القوة الثانية من الباطل الى الحق ، تنزيلا ممن خلق الارض و السموات العلا ، هذه القطعة تعطى تشریف القرآن و تعزیزه بانّه من صنع من خلق الارض بما فيها من غرائب و السموات بما احتوت عليه من عجائب ولا شك ان المنزل متى كان بهذه الهويّة كان ما ينزله له قيمته الغالية و مكانته السامية .

الرحمن على العرش استوى ، الرحمن مبالغة فى اسداء الرحمة بعباده يعنى ان هذا المقدر على عظمته لم يتجبر و ان تجبر العظماء بل لا يزال متواصل اللطف بخلقه حنونا عليهم و من رحمته بهم و حنانه عليهم ان انزل اليهم القرآن ليكون لهم دستور عمل و نظام حياه و دليلا هاديا و مرشدا قيما و استواؤه على العرش كناية عن عظيم قدرته و استيلائه على امور مملكته و مع انه كذلك فهو رحيم بهم .

له مافى السموات و مافى الارض و ما بينهما و ماتحت الثرى ، اللام فى له تدل على الملكية و الاستحقاق و فى ذلك اشعار بأن نوع المسيطرين انما يسيطرون بالعنف و الاجحاف لا بالسيطرة الشرعية لكن الله مسيطر سيطرة الصانعين للاشياء الباقية تحت سيطرتهم اذ لا مخرج لها عن مالكيّتهم الاّ نقلهم لها و الفرض ان الله لم ينقل سيطرته و سلطانه على الوجود الى غيره .

و ان تجهر بالقول فانه يعلم السرّ و اخفى ، الجهر هو ظهور جوهر الصوت بحيث يسمعه القريب من الناطق سمعا واضحا و السرّ هو الصوت الخافت الذى انما يسمعه سمع الناطق به و الأخفى هو العلم الدفين

فى النفس يعنى ان دعاء الانسان لربه جهرا و سرا و احتواء ضميره على دفين كل ذلك معلوم لله لانه يحيط بجميع الكائنات ومحتوى الضمير منها ، و المنظور بالآية ان الجهر لاموضوعية له بالنسبة الى اعلام الله بما يكتنه الانسان لانه يعلم الدفين ايضا نعم الجهر بالدعاء نوع من العباداة و عباداة السر و ان كانت افضل الا ان عباداة الجهر قد تفضلها احيانا لدفع سوء الظن عن المتعبد و لترويجها العبادات بين الناس حيث يكون المتعبد ممن يقتدى به .

الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ، الله علم على الذات الواجب الوجود لذاته و هذا اللون من الوجود واحد و انما عرفته العقول من طريق المعلولات الكونية فهو اذاً غير قابل للتعدد و الاسماء الحسنى هى السمات التى محتواها الخير و كذلك واجب الوجود محتواه الخير اذا لمنفذ للشرفيه بطبيعة كونه منشأ و مبدأ للأكوان كلها .

* (و هل اتاك حديث موسى : اذ رأى نارا فقال
 لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلّى آتيكم منها
 بقبس او اجد على النار هدى : فلما اتاها
 نودى يا موسى : انى انا ربك فاخلع نعليك
 أنّك بالواد المقدس طوى : وانا اخترتك
 فاستمع لما يوحى : أنّى انا الله لا اله الاّ انا
 فاعبدنى و اقم الصلاة لذكرى : ان الساعة آتية
 اكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى : فلا
 يصدّنك عنها من لا يؤمن بها و اتبع هـواه
 فتردى) *

و يا محمد هل اتصل بك حديث موسى و تاريخ حياته التبليغية
 و انه حين انفصل من شعيب و خرج من مدين بقصد مصر و كانت امرءته
 قريبه و ضع و ضلّ مع ذلك طريقه فى ليله ظلما رأى نارا على فاصلة
 فقال لأهله امكثوا ريثما اذهب اليها و اقتبس منها و ارجع اليكم او اجد
 على هذه النار من يهدىنى الى طريقى فلما وصل اليها نودى من
 اعصان شجره يا موسى فالتفت فلم ير احدا و قطع بأن النداء من و حى
 السماء انى انا المتكلم معك ربك فاخلع نعليك تقدىسا للمكان الذى
 انت فيه فانه واد طوى على البركة و انا اجتبيتك للرسالة فاستمع لما
 اوحىه اليك لتشبع به نفسك و تبته على غيرك اننى انا الله لا شريك لى
 فاعبدنى انا دون غيرى و اقم الصلاة لأجل ذكرى فى الصلاة او اقمها
 متى ذكرت لك الصلاة بمؤذن يؤذن او بوقت معين لها يحلّ تفعل ذلك
 انت و غيرك مثلك لان امامك معادا انت قادم عليه و المنظور بالساعة

هي القيامة و انما قال اكاد اخفيها لانه تعالى و ان اخفاها الا انه اشعر بها بذكر علامات اطرد ها في كثير من سور القرآن و انما يعاد الناس في تلك الساعة لتجزى كل نفس بما سعت الخير بالخير و الشر بالشر فلا يشكك فيها الا من لا ايمان له بها لانه لا يؤمن بمن قال بها بل اتبع هوا جس نفسه و النفس تستغرب المعاد بعد الفناء لانها لا تدرك بجلاء الا ما تلبسه من الظروف، فلا تكن يا موسى من اولئك المنكرين للمعاد فتهلك نفسك بمؤاخدة الله لك .

او نقول في مفاد الآيات المذكورة ان موسى بن عمران في اصل خلقته و وجوده له خصوصيات رصد ها فيه خالقه ليكون باني جيل بعد تهديمه لجيل بلغ في العتو و الضلال منتهى الغاية و ذلك ان جيل الفراعنة كان جيلا طاغيا متجاوزا حدود الشرف و الانسانيه و ظهر طغيانه بصورة جليه مع بنى اسرائيل الذين هاجر آباؤهم الى مصر و بقوا فيها ففتنوا و تكاثروا بما بلغت اعدادهم مئات الالوف و الميز العنصرى ميز ساقط انما ترتكبه وحوش الحيوانات فيخاف كل فريق من اى فريق سواه و العقول البشرية تطارد هذا الميز و انما وجوده مخصوص بالطغمة من الناس وهم مع الاسف ملاك الاكثرية فكان الاقباط و فى طليعتهم الفراعنة يضايقون بنى اسرائيل و يستخفون بهم على الاخص عند ما تنبأ فرعون من طريق كهنته انهم سيطيحون به فى نهاية المطاف و فى هذه الآوان ولد موسى فآلمت امه لأجل حفظه ان تضعه فى صندوق و تلقى به فى النيل حتى يأخذه جارى الماء و الصندوق يتلاعب به الماء وسط السكان جالب للنظر فكان من مجارى الصندوق ما ظن به فالتقطه آل فرعون ليكون لهم قرة عين فكان لهم عدوا و حزنا فشب موسى و كبر وكان بادنا ضخما ايديا واجه لاول مرة تجاوز قبلى على اسرائيلي يعتب به

فوكزه موسى ففضى عليه فكان ذلك فاتحة لتشرده و من طريق ذلك اتصل بشعيب و رعى عنده و تزوج اليه و بعد ربح استأذن موسى شعيبا فى الخروج الى امه و خرج بأهله و كانت حاملا فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق و تفرقت ماشيته و لاما عنده و قدح زنده لبيوريه فصلد زنده فرأى النار عند ذلك قيل و كانت ليلة جمعة فقال لأهله امكثوا اى اقيموا فى مكانكم انى آنست نارا و الأيناس هو الأبصار البين الذى لا شبهة فيه و منه سمى انسان العين لان الاشياء به تتبين و تظهر كما سمى الانس لظهورهم للابصار بخلاف الجن و قيل ان الأيناس انما يطلق على مشاهدة ما يسرويونس و باعتبار تحقق موسى ذلك من نفسه قال انى آنست نارا مؤكدا بانّ و مع هذا الاطمئنان من طريق الحس الظاهرى لم ينطق بالنتيجة جازما بل جاء بها مترجيا فقال لعلّى آتيكم منها بقبس و القبس مأخوذ من الاقتباس و الاقتباس من النار هو ان يأخذ الانسان معه مادة قابلة للاشتعال فيلصقها بالمادة المشتعلة حتى تشتعل بها او اجد على النار هاديا يهدىنى الى ما اسلكه من طريق يوفى بى على المقصود الذى انا بصدده، روى انه حين انتهى رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد و سمع تسبيح الملائكة و رأى نورا عظيما فخاف و بهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى و كانت الشجرة عوسجة و روى انه كلّمنا دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت و روى انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال له الله انى انا ربك و ان ابليس وسوس اليه فقال لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بأننى اسمعه من جميع جهاتى و جوانبى، و الأمر بخلع النعلين للتبرك و التواضع و التشريف للبقعه كما يشعر بذلك قوله (المقدس) و طوى بمعنى اسم المفعول

اي أنك بالوادي المقدس حال كونه مطويا على الرحمة و النزاهة و الطهارة و هذا هو اول ازمان نبوة موسى و لا شك ان المنظور بالنداء هو خلق الصوت المحتوى على المعانى المذكورة و قدس الوادي مربوط و منوط بما يكون و يحدث فيه من موجبات الاجلال و الأكبار فلما اتاها اي اتى محلها لم يجدها نارا بل كانت نورا و النور لا يقتبس منه و انا اخترتك فاستمع لما يوحى ، تقديم الضمير (انا) يدل على الأختصاص بمفاد أنك على ما فيك من صفات نابهاش شهد بها الاجانب فضلا عن الاقارب و هو معيار صلاحيتك لم يكن ذلك يكفيك الا اذا شفح بانتخابى لك لاننى انا مدبر امور العالم و مدير مقدراته و انا الواقف على الخفايا فباختيارى لك تكون نبيا فانت الآن نبى ليس له من الامر شىء حتى ياتيه النبأ من ناحية الله تعالى لانه هو المنظم لشؤون عباده حسبما تدعو اليه المصلحة فاستمع اذا لما يوحى اليك فكان فى مبتدأ ما اوحى اليه تثبيت العقيدة بالخالق بمفاد ان كل عاقل اذا وقف على الآثار المشهودة فى الكون و الكائنات لم يرتب فى ان هناك مؤثرا فان الجزاف لا محل له من العقول و اذا كان كذلك فالمؤثر هو من يسمى بكلمة الله التى هى علم على واجب الوجود لذاته و العبادة معناها الخضوع للطاعة و لا طاعة واقعية الا للمنعم الواقعى وهو الله سبحانه و الصلاة هى العبادة الخاصة و ان اختلفت كيفياتها فى المذاهب و الاديان و اللام فى لذكرى تعليلية لأقامة الصلاة يعنى ان اقامة الصلاة منك و من كل مكلف بارّ بخالقه انما تكون من اجل ان العبد يجب عليه ان يذكر معبوده شكرا اي من اجل أنك تذكرنى شكرا يجب عليك ان تصلى لى و اقامة الصلاة تعطى وراء ادائها معنى تزويجها و الساعة هى زمان الحشر الى الجزاء و هى متحققة لا محالة فى وقت ما و كلمة

اكاد تدل على المقاربة وهي هنا مقترنة بأخفيها معناها اننى ابرز منها ملامح و لوائح و لكننى لا اصحر بها حتى يكون عدم العلم بها ادعى للعمل لها اذ يحتمل كل عامل انها قد تقوم فى العاجل القريب .

فلا يصدك عنها من لا يؤمن بها و اتبع هواه فتردى، هذا الكلام مع النبى من باب اياك اعنى و اسمعى يا جاره يعنى ان المؤمن بالله يجب عليه ان يكون مؤمنا بما يكون عن الله من قول و عمل و الله و عد بالمعاد و كرر لزومه و تحتمه فمن التناقض ان يؤمن الانسان بالله ولكن يكذب اقواله و أوعاده و بطبيعة الحال لا ينكر المعاد الا من يجب تقديم هوى نفسه و تسويلاتها بالشهوات، تردى، اى تهلك قبل ان تموت و ذلك بالمحكومية عليك بالكفر فان انكار المعاد الجسمانى احباط للعمل السابق و مهما كبر حجمه و ثقل وزنه .

* (وما تلك بيمينك يا موسى : قال هي عصاى اتوكأ عليها و اهش بها على غنمى و لى فيها مآرب اخرى : قال ألقها يا موسى : فألقاها فاذا هي حيّة تسعى : قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى : و اضم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى : لنريك من آياتنا الكبرى : اذهب الى فرعون انه طغى : قال ربّ اشرح لى صدرى : ويسرّ لى امرى : و احلل عقدة من لسانى : يفقهوا قولى : و اجعل لى وزيرا من اهلى : هارون اخى : اشدد به ازرى : و اشركه فى امرى : كى نسبحك كثيرا : و نذكرك كثيرا : انك كنت بنا بصيرا : قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) *

بعد أن علم موسى انه كلف بالرسالة و الدعوه الى الله و التنديد بالاصنام و التفرعن و الفراغة و درى ان ذلك لا يتمّ الا بالمعجزات والله قبل كل احد يعلم بهذا السير أراد الله فى هذا المسيران يجهزه بما يقويه و يؤيده فابتدأه ارهاصا لذلك فقال له يا موسى ما تلك بيمينك ولم يكن فيها الاعصاه قال هي عصاى المألوفة لى اتخذتها لتكون معينا لى ألقى بثقلى عليها و اخبط بها الاشجار ليتساقط ورقها علها لغنمى وهى بعد سلاحى و احمل عليها مزودى الى ما سوى ذلك من منافع شتى قال ألقها يا موسى من يدك و لم يعلم موسى بما يراد بها فألقاها فاذا هي حيّة كبيرة بكبر العصا فان قامته كانت عالية و كان بدنه رشيدا وعصا

الراعى غير عصا التجمل فانها تكون اطول و اغلظ تسعى سعى الحيات
فها بها موسى فقال له الله خذها كما كنت من قبل تأخذها ولا تخف
من ظاهرتها الفعلية فأننا سنعيد لها عصاك الأولى و كان موسى اسمر
البشرة فأراد الله ان يؤتية معجزة من بدنه فقال له اضم يدك الى
جناحك و خلمها تحت ابطك ثم انتزعها تجدها تتلألأ نورا من غير ان
يكون بياضها عن برص و هذه آية لك اخرى بأنك متى اردت تلالأها
تلالأت ومتى اردت عودتها الى حالتها الأولى عادت، هانحن جهزناك
بالعلم الربوبى من ناحية و دعمنا دعوتك بالمعجزة من ناحية ثانية
فاذ هب الى فرعون داعيا و مبشرا و منذرا فان فرعون خرج عن حده
و طغى و تكبر و ادعى ماليس له و فعل المنكرات، فقال يارب انك
جهزتنى بالعلم و ايدتنى بالمعجزة و احتاج الى سعة صدر اكثر مما
يوجد فى العادات و تيسير امر ازيد من المتعارف لان ما استهدفه
عظيم، و احلل عقدة من لسانى يقال كانت فيه حُبسة و يجوز حمله على
متعارفه بأن يريد منه ان يعطيه الذلاقة و الانطلاق التام ليستعين
ببيانه على اداء رسالته و لا ينافى هذا الاحتمال قوله يقفها قولى فأن
الذلاقة و الانطلاق يعطيان الأنسان بيانا اوضح و لسانا اسمح واجعل
لى وراء ذلك من يؤازرنى على مهمتى و يكون من اهلى فلنّه يكون اوثق
لى و اشفق علىّ و ذلك الوزير الرحم هو هارون اخى اشدد به قواى
واجعله شريكا فى دعوتى و نبوتى فاذا تمت هذه المقدمات و عمت هذه
الألطف و تهيات هذه المسؤلات كان حريا بنا ان نسبحك كثيرا و نذكرك
كثيرا انك قبل هذا و ذاك كنت بنا بصيرا فقال له ربّه قد اوتيت جميع
ما سألت .

او نقول فى مفاد الآيات السابقة انه تعالى بعد أن ابان له فى

الآيات السالفة انه هو الله لا اله الا هو ومعنى ذلك كونه قادرا على كل شيء صانعا له بالحكمة متقنا له اتم اتقان اراد ان يبين له انه نسي عدة من الله حصينه وتلك العدة قد تكون من ابسط الاشياء فـ نسي الطبيعة و اقرب تناولا للإنسان وكانت حينذاك فى يد موسى عصاه المألوفة له فقال و ما تلك بيمينك يا موسى و ليس هذا الاستفهام على حقيقته حتى من البشر فضلا عن الله علام الغيوب و انما سيق لفتح باب الكلام مع موسى حتى ينحذف شيء من هيئته الخالسة و يأنس بخطاب الله له و يستفيد ما يريد الله ان يفيد به قال الذى بيدى عصاى المألوفة لى دائما و التى احملها معى لعدة عوامل (١) أتوكأ عليها فى مشى و وقت قيامى فتكون سندا لى و وقت عبورى لنهر و نظيره فتكون كالقنطرة (٢) و اهش بها على غنمى عند ما امر بالاشجار الطبيعية فى بطن الغلاة فأسقط بها اوراق الاغصان من الاشجار، وفى بعض القراءات اهش بالسين المهملة اى ازجربها غنمى فان الهس هو زجر الغنم (٣) و المآرب هى المقاصد و يتصور فى مآرب العصا الشىء الكثير من جملتها ان يعرضها الانسان على اكتافه و يشمر بيديه عليها لترتاحا و منها اركازها فى الارض و تعليق الأداة او الساتر عليها و منها قتل الحشرات الضارة و الاستعانة بها على حمل المتاع على العاتق و الظهر و كونها سلاحا لنصرة الاولياء و كبت الأعداء .

و بعد ان استمل الله ما جاء عن موسى فى باب العصا وهو ما قرئته ولم يكن فيها او بين معانيها انها حية من الحيات فتح له باب الاعجاز من هذه العصا فجعلها له اعظم من الجيش الجرار اثرأ فى النفس و اقل كلفه من كل شيء فقال ألقها من يدك يا موسى و انظر اليها فلقاها موسى كما أمر فاذا هذه العصا التى هى من قسم الجمادات

فعلا حية تسعى على وجه الارض بما تريده من الأساليب او بما يريد ه
 الله منها و الحية اسم وقع على هذه الحشرة بما يناقض واقعها و هو
 التسم المميت و هذا الاسم يقع على الذكور و الاناث و العظام الجثث
 و الصغار وقد عبر عنها في القرآن بعبارات شتى منها الثعبان و هو
 كبير الجثة و منها الجان وهو الدقيق المارق وقد لا تكون منافاة بينهما
 في حمل و صفيهما على الحية المطلقة بان تكون هذه الحية معظمة
 جثتها سريعة العدو و التسحب وليس العجب من هذا الأعجاز بقلب
 العصا الهامدة حية تسعى بشيء في مقابل ان الداعية القدير في
 همته غنى بها عن تأليف الرجال الشاق في نفسه غير المثمر على مشقته في كثير
 من احيائه الا شيئا طفيفا و هذه الحية على قلبه مؤنتها على موسى هي
 اعظم له من الجيوش الجرارة القهارة حتى لو طاعته و ذبت عنه
 و استماتت في سبيل احياء طريقته كما هو واضح .

و خذها بمعنى استرجعها لنفسك بعد الألقاء من يدك وبطبيعة
 الحال يصادف هذا الأمر من الله لموسى ثقلا على عاطفته بأن يأخذ
 الحية بيده مكان العصا لكنه تعالى بلا فصل من قوله خذها خاطبه بقوله
 ولا تخف و علل ذلك بوجهة طبيعية لا اعجازه فقال له انما كلفناك
 بأخذها بعد ان نعيدها عصا كما كانت بيدك قبل النبوة عصا .

ثم ابان له بقوله و اضم يدك عن وجه اعجاز آخر وراء معجزة العصا
 وهو انه متى اراد ابراز هذه المعجزة سلك يده العادية له و للناس
 بكيوفها التي كانت عليها الى جنبه كما يسلك الطائر جناحه الى بدنه
 حتى كأنه لا جناح له ثم اخرجها و نشرها كما ينشر الطائر جناحه فانه
 حينئذ كسائر الناس يرونها كمطلع الشمس اشراقا و تالأ و بياضا من
 غير ان يكون هذا البياض لمرض كالبرص بل عن تشعشع نور و اشراق

وقد عبر القرآن عن جانب الانسان بجناحه وعن بياض البرص بكونه
سوء .

لنريك من آياتنا الكبرى، اللام تعليلية لقلب العصا حية و اخراج
اليد البيضاء شعاعاً و ان ذلك منه معجزات مؤيدة و مسددة، و بعد
ان زوده تعالى بالمعجزات القهارة اراد منه النتيجة بعد هذا التزويد
وهى اعلان المبارزة على فرعون لا بما انه انسان كافر او حاكم ظالم بل
لانه طغى اى خرج عن حدود الكفر الى ما هو اشد ظلمة منه و اعشى
وهو ادعاء الربوبية على الناس مع انه كآحاد الناس و تجاوزه على الخلق
بما اهلك الحرث و النسل و افسد فى الارض و مبارزة هذا الطاغية مع
مراعاة اصول المبارزات العلمية لا يقتصر فيها على المعجزات المادية
فقط فان استعمال حربة القوة بدون ان يشفعها دليل متين و زين
يعتبر تقابلاً لقوة بمثلها وقد يكون هذا التقابل باطلا من جميع نواحيه
و موسى لا يريد فى مبارزته لفرعون ان يكون كذلك و الله سبحانه لا يريد
ذلك ايضا و انما يريد اقامة الحجة ليهتدى بها الضال وليتنبه الغافل
و يرجع بسببها الى شعوره من عزب عنه شعوره فاذا رجع و تاب و تاب
اليه عقله و اناب قبل الله توبته و غطى بحسنه على سيئه و لم يكن بعد
ذلك لله فيه غرض الوقيعه بخلاف عتاة البشرية و جباريها فانهم لا يعرفون
المنطق ولا يزنون التوبة و انما هدفهم تشهير سمعتهم و اعلاء كلمتهم،
و بعد تجهيز موسى بالقوى اللازمة توجه موسى الى ربه فقال ان انا
بقيت لنفسى و مهما اكن فى نفسى فأننى بشر محدود الجوانب و من يكن
كذلك لا يستطيع ان يطبق نفسه على البشرية كلها اذا فاشرح لى صدرى
حتى اكون واسع الحلم و الحوصله صبوراً حتى اتمكن من قيادة الناس
قيادة يكثر خيرها و يقل ويلها و يسر الامور امامى حتى لا تكثر العثرات

فى وجهى فتعوقنى عن الاستمرار فى مقصدى فيطول طريقى و اسلس لسانى بالكلام فان من يقوم مقامى يحتاج الى لسان ذرب و قول لِين متواصل مفهم حتى يتميز كلامه كل احد وانا بمفردى قد امضى واغيب لأمر من الامور و يقطعنى لِمَنْ بعضُ القواطع فاحتاج الى معين يسدّ الثغرة و يقوم بالكلفة ولا شك ان هذا المعنى اذا كان من اهل الانسان كان أدأب على انجاز مقاصده و لذلك قال وزيراً من اهلى هارون أخى اشدد به ازرى اى قوتى و اشركه فى امرى بأن يكون فى عرض ما هو خليفة عنى شريك لى فى نبوتى اى يكون هو نبياً كما اننى نبى .

كى نسبحك كثيرا ، كى هنا تعليلية بمفاد ان ما ابتدأت به فأعطيته من غير سابقة سؤال و ما اجبت اليه بعد السؤال كل ذلك يكون مدعاة لنا للتسيح الكثير و الذكر الكثير وقد يكون من الدواعى لمزيد الانعام منك علينا هو معرفتك بنا و بما ننطوى عليه من خلوص نية و طهارة طوية .

قال قد اوتيت سؤالك يا موسى ، يعنى ان ما سألته بقولك اشرح لى صدرى و يسر لى امرى و احلل عقدة من لسانى و اجعل لى وزيراً من اهلى الى آخر ما سألت قد أجبت اليه فانت اليوم غيرك بالأمس فى كل شىء .

* (و لقد منّا عليك مرة اخرى : اذ اوحينا الى امك ما يوحى : ان اقد فيه فى التابوت فاقد فيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له و القيت عليك محبة منى و لتصنع على عيني : اذ تمشى اختك فتقول هل اذ لكم على من يكفه فرجعناك الى امك كى تقر عينها ولا تحزن و قتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا قلبت سنين فى اهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى : و اصطنعتك لنفسى : اذهب انت و اخوك باياتى و لا تنيا فى ذكرى : اذ هبا الى فرعون انه طغى : فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى) *

ياموسى لم تقتصر منتنا عليك بما اسلفنا ذكره بل لنا عندك ايا د كثيرة و فيرة منها أن صادف تولدك فى عام هاض فيه فرعون على بنى اسرائيل يقتل ابنائهم ويستحيى نساءهم فألهمنا امك عندما وضعتك ان تضعك فى صندوق خشب و تلقى بك فى النيل هناك بارادة من الله يلقى بك اليم الى الشاطىء فى مقربة من قصر فرعون فىأخذك فرعون نفسه فنلقى فى قلبه محبة عليك فتكون احب خلق الله عنده و لتتربى و تكبر بمرأى من الله تعالى فلما تناول فرعون صندوقك و وقف عليك شغف بك فطلب لك المراضع فلم تقبل اية واحدة منهم و كانت اختك بأيعاز من امك عند ما القتك فى اليم تماشى الشاطىء لتقف من وضعك على اثر فلما لم تقبل المراضع اشارت على الحاضرين الذين هى من جملتهم بأن هناك من

المراضع من يمكن ان يقبله فرجعناك الى امك كى تطمئن نفسها من وليدها و تقر عينها بالتأكد من حياة طفلها ولا تحزن بفراقه او بفقده ثم كبرت ناشئا بأمن و سلامة و قرنتك المناسبات بجاذبة هي قتلك للقبطى المنتزى على الاسرائيلى ابقاءً على نفسك و نجيناك من هذه الغموم و الاحزان و امتحناك بجميع ما اقترن بحياتك من ملابسات و جئت فى هروبك مديين و عملت لشعيب و تزوجت منه و بقيت معه سنين ثم انقلبت الى اهلك فى مصر فصادفتك النبوة على قدر لم تعرفه انت ولم تحط به علما و لكنه كان فى مخزون ما نعلمه و اتخذتك ياموسى فى ارسالك خالسا لنفسى تؤدى رسالتى الى خلقى و حيث تحملت اعباء النبوة انت و اخوك هارون فاذهبا بآياتى و لا تتأملا فى ذكرى عند فرعون و ملأه و صرّحا لهم بجميع ما يوجب الحق عليكم اذهبا الى فرعون انه تجاوز عن حدّه و زاد على نصابه فقولا له فى مقام التبليغ قولا لينا هشا لا يغيظه بغلظته و خشونته لعلّه يتوجه الى واقعه و انه انسان مخلوق و جد بعد عدم وهو مع ذلك عرضة للحوادث و لعلّه يخاف من سوء ما تخيفونه به ، فى هذا المقام تتجلّى حكمة الله و عظمته و انه لا يريد الاّ سعادته مخلوقاته فلا يرضى بالأعنات و ان كان قادراً عليه ولا بالأرهاب ولو كان سهلا لديه ولا بالتحامل و ان كان مقدورا له ومع طغيان فرعون و قدرته على دغه فى طرفة عين ارحى له و كلف انبياءه بأن لا يكلماه الاّ باللين و السلاسة لعلّه يطيع و يطاوع من نفسه منقاداً لربه غير مقسور على الخضوع له .

* (قال ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى : قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى : فأتياهم فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعدّ بهم قد جئناك بآية من ربك و السلام على من اتبع الهدى : انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذّب و تولّى : قال فمن ربكما يا موسى : قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى : قال فما بال القرون الأولى : قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى : الذى جعل لكم الأرض مهذا و سلك لكم فيها سبلا و انزل من السماء ماء فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى : كلوا و ارعوا انعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى : منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى : ولقد أريناه آياتنا كلّها فكذب و ابى) *

بعد ما كلفهما الله بأن يذهبا الى فرعون و يبلغاه ما اراد الله و الواقع منه قال ربنا ان هذا الانسان طاغ باغو و اننا نخاف ان يقضى علينا بمجرد ان نفضى اليه بما عندنا فقال الله لهما لا تخافا انا قريب منكما اسمع ما تقولانه له و يقوله لكما و ارى ما يفعل فامضيا جادين فقولا انا رسولا ربك فارفع سلطانك عن بنى اسرائيل حتى نعود بهم الى اوطانهم و لا تعدّ بهم بالجور عليهم و التحقير لهم قد جئناك بآية تدلّ على صدقنا و السلامه و الأمن و التحايا الحارة على من اتبع الهدى و زم

نفسه عن متابعة الشيطان ان ربنا قد اوحى الينا ان عذاب الدنيا و الآخرة على من كذب بالحق و تولى عنه ولم يتبعه فأتيا فرعون فقلا له مقالة ربهما فقال لهما من ربكما الذى تدعونى اليه و انما خصص بالخطاب موسى دون أن يضم اليه هارون لأنه رآه هو المتصدر فى هذه الدعوة فقال له موسى اقصر تعريف لله انه الذى اعطى كل ماهية خلقتها التى تقوم بها الانسان بهيأته و الجمل بوضعيته و قس على ذلك و بعد اتمام خلقته دفعه لأعمال غرائزه التى دافها فيه و ما اجمل هذه العبارة ، اعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، فانها على قصرها جسّمت الواقع فطرح للانظار باوضح و افلح صورة فقال له فرعون فما بال القرون الأولى التى عبد كثير منها غير الله ولم يصبهم عذاب قال له موسى علم ما كان منها محفوظ عند الله فى كتاب مصون لا يضل منها عن الله شىء كما لا يصيب علم الله انتكاس او انتكاث او يعرض لله نسيان و سهو ذلك الله الذى من جملة حكمته ان مهد الارض و بسطها على كرية شكلها لتكون سكنا لمخلوقاته و جعل لها طرقا رابطة و اصله و انزل من السماء ماء لتولد منه شطوط و انهار و عيون و يسقى وجه الأرض لينبت الزرع و يشب الغرس و تظهر كوامن الطبيعة من نبات متشبت الهويات كلوا يا بنى آدم من نعم الله و ارعوا انعامكم و دوابكم ان فى جميع هذه المجارى لآيات لأولى النهى و اصحاب العقول من تراب هذه الأرض خلقناكم و عندما تموتون فيها نعيدكم و نفسى المعاد منها نخرجكم تارة اخرى للحساب و الجزاء و الخلود فى الحياة .

و من مضامين هذه الآيات يتولد عنوان (المادة و ما وراء المادة)

فنقول لم تبق حلقات الأقلام و لم تذر حول هذا الموضوع من قد يـم و جديد و ضليع و ضالع و نحن لا نريد هنا ان نستن كما استنوا لان هذا

الموضوع ليس غاية هدفنا من هذا المقال واما الهدف هو تجسيم حقيقة واحدة تكون نتيجة او بعض النتيجة للمقدمات التي ساقها الباحثون في هذا المضمار سواء في ذلك الموجبون و النافون لصانع هذه الكوائن و لذلك لا يهمننا و نحن في هذا الصدد صحة القول بالتحول و سقمه و صحة الفروض التي زعمها القدامى و الباحثون الصناعيون و سقمها و انما يهمننا اقناع عقولنا التي هي كل بضاعتنا في عامة العلوم و البحوث و الصناعات بأن هذه العوالم التي نلمس جانبها منها و من بعض جوانبها ذواتنا القائمة بنا هل يمكننا ان نتعقلها موجودة منذ الازل ولو في بذرة واحدة منها او ان عقولنا لا تقتنع بذلك بحيث نراها هادئة امام فرض الوجود الأزلي لها من غير علة ولا تتساءل من اين اتت و كيف تكونت و تلونت بالحياة و القدرة و الشعور و ما الى ذلك .

نعم لا تقتنع لا في قبال هذه الخلقة القهارة فقط بل في قبال كوخ متحطم في بطون الفلوات نراها واقفة متسائلة من بنى هذا الكوخ و اوجده على انه مسبوق بمادة القصب و البردي و معاقد القمط و كل من يدعى اقتناع عقله بأنه ما المانع من تكون هذا العالم بنفسه و انه لا حاجة له الى موجد و مبدع فهو كاذب يقول بلسانه تعنتا مالا يقربه شعوره تعقلا و نحن لانستهدف مع المادى فعلا اكثر من ذلك اذا فاللادة بطور اجمالى لها مبدع من وراءها و لا تستطيع المادة في وجودها و خصائصها ان تتخلص من مكون لها ابدعها و داف في طينتها صلاحياتها .

و ان في القرآن عبارات قصيرة في تعبيراتها الا انها اخادة في توجيهاتها منها ما سلف من قول موسى لفرعون بعد ان سأله من ربه

وربّ اخيه هارون ، فمن ربّكما يا موسى قال ربّنا الذى اعطى كل شئىء خلقه ثم هدى فاعطى الانسان خلقه الذى جرت عليه مباضع المشّرحين ومكبرات الباحثين بما يذهل العقول ويبهرها و داف فيه غرائزه المسانخة لأجهزته و بعد ذلك ارسله لأهدافه وهكذا يقال فى الشمس والقمر والمجرات كما يقال فى النملة والأرضة والذرة وما بين ذلك عوالم لا يحدها حد ولا يعدّها عدّ وكلها عجائب وغرائب .

وهكذا جاء فى سورة (الأنعام ٩٥) ان الله فالق الحبّ والنوى ، ولولا الصلاحية الكامنة فيهما للانفلاق لما انفلقا و الصلاحية تحتاج الى معط و كونها جزافا ممّا لا يعقل ، وهكذا جاء قوله ، ان فى اختلاف الليل والنهار و ما خلق الله فى السموات و الارض آيات (يونس ٦) نعم ان فى دوران الارض حول الشمس و ما يفوت الاحصاء من انواع الخليقة و يتعدّى حدود الاستقصاء من مزاياها لعلامات قاطعة على ان هناك شيئا وراء هوياتها و وجوداتها قد قام بهذه الافعال الجذابة الخلاّبة للعقول ، وقد اعطت آية ، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (الانعام ١٠٣) بعض التعريف عن هذا العامل الفاعل الذى تحيّرت العقول فى درك هويته و ذاب الشعور امام ماهيته ، ومعرفته بهذه البساطة و الاجمال تعطى الايمان للمكلف و تطرد عنه الأحساد و بوائقه و يكفى كل احد ان يعرف الخالق من طريق خلقته و الصانع من جهة صنعته و من هذا الدرب السالم الموصّل يتصل بخالقه و يدعن به و ينقش روائعه فى ذهنه و على صفحات قلبه و أمّا التوسعة فى ذلك ان امكنت فهى ليست بتكليف و انما هى فضيلة و اشباع نفس بالمعانى الجليّة و لا يلقاها الا ذو حظ عظيم .

و أمّا التحدث عن ناقصى الخلق و ثوران غضب الطبيعة بالأعاصير

و الطوائف و الزلازل و الصواعق و الطواعين و الاوبئة و ما كان من هذا السنخ فهو و آف امثاله لا يستطيع ان يزيل ما وراء الطبيعة عن كيانه اذ غاية كل ذلك هو جهلنا بأبعاد ماهية الخالق و دواعى فعله و هذا ما لا يزيج الحقيقة نفسها عن قرارة كيانه و مكانها و انما يجلب الى هوامشها سوء الظنّ بارادة الخير للمخلوق لا اكثر، على ان ما يظنه المخلوق فى هذا المجال تتصور له منابع غير ما يتصوره من المجازفة بدون حقّ .

و بناءً على اصل الخالقية و الصانعية فان المخلوق العاقل موظف و مكلف بأن يحدّد خطاه طبق ما تفرضه عقلياته المتشعبة لاواهامه العارمة و بين العقل و الوهم فجوة و بما ان تشعشع العقل ليس بالأمر البسيط لذلك رأت البشرية حاجتها المبرمة الى هداة تقاة تواكبها فى مسيرها مع الحياة حتى لا يذهب عليها الوجود ضياعا و بلاشكّ انما رأى هذا الرأى من البشرية من ادرك الحياة ولو من بعض جوانبها — و استجابة لهذا السؤلّ و تعميما فى اللطف و الاجابة شرع جماعة الانبياء واحدا بعد آخر فى تهذيب النفوس و تشذيب الفضول و تخريف الأوهام و تربية العقول ولم يجيئوا فى شرائعهم بما لا يوجد فى طبائعهم وانما ميّزوا الغث من السمين و الواقع من الخيال و الحق عن الباطل و النبىّ كالمنطقى كل ما معه المقاييس السالمة التى من وظيفتها وزن المواد و كبسها فى قوالبها لا احداث المادة و ابداعها من اصلها و على هذا الحساب تعرف ان المنظور من الجريان الطبيعى لكل موجود فى الطبيعة هو ما تتقاضاه طبيعة ذلك الموجود و نحن فى هذا المجال انما نتكلم عن الموجود الطبيعى بما هو محطة للتكليف و ذلك هو الانسان فى المحيط المشهود لانه بمزايه الشعورية يفارق سائر

الموجودات و لذلك احتضنته الشريعة دون غيره و المجارى الطبيعية بالنسبة الى الحيوان و الانسان بلحاظ طبيعتها فذة غايته ان انحراف الحيوان عما تتقاضه طبيعته قليل و انحراف الانسان كثير و بما انّه محطة للتكليف جاءت الشريعة فوفقت امام عرامته لا امام مستدعيات طبيعته فان الشرع لم يقف امام اكله و مشربه و جنسه بما هي قائمات ببنيته الطبيعية و انما وقف امام ما يضرّ به من مأكّل و مشرب و جنس او ما فيه حزاظة عليه فالمكلف موحداً كان ام ملحداً يجب ان يعترف بان مقررات الشرع التي وقفت امام اكله للحم الخنزير و شربه للمسكرات و مباضعته للعواهر انما حدثت عليه و لطفت به و لم تهضمه حقه او تمنعه شيئاً من حقوق طبيعته اذاً فالشريعة لم تضيق اطار الطبيعة على الانسان و انما مازت بين جهله الذي يدعوه للانحرافات و عقله الذي يريد له شرائف الأمور و كل حرام في الشريعة تعلق بعمل المكلف انما تعلق به ليحفظه من ناحية و يحفظ عدله و هو الانسان الآخر من تجرياته عليه من ناحية ثانية .

حرمّ الشرع على المكلف تناول لحم الخنزير و الخبائث و المسكرات ليصونه و حرمّ عليه الظلم و الغصب و السرقة و قطع الطريق ليصون غيره منه هذا هو الشرع في جميع ما حرمّ و اوجب و انما تنزى عليه المعتقد به و المكذب له ليفتحا امامهما دروب الانحرافات و الخصومات و الهياج و الانزعاج و الحروب و اراقة الدماء و لا اعتقد ان عاقلا بلسان شعوره يقول بذلك و يجيزه نعم اجازت البشرية لنفسها ذلك لما خلعت نفسها من ريقه بشريتها و جاءت تتخبط في الحياة بأخسّ مما يتخبط به الحيوان الضارى و ان يكن الانسان في قديمه موسوماً بالتوحش و من اجل ذلك عاث و خرب فعلام جاء خريج الجوامع دينية و علمية و سياسية

و صناعة يعيث و يخرب اكثر من ماضيه فان كان امس يطيح بكوخ قبيله
تعدياً فقد جاء مثقف العصر يطيح بنواطح السحاب و مخازن المياه
و اعمدة الكهرباء و يشعل نيرانه فى الأسواق و يفجر عياراته النارية
الماحقه تحت اقدام العابرين و المستطرقين بلا شعور منهم ولا جريرة
بدرت عنهم ولو ان مجنوننا عارما اتاحت له الصد ف ان ينفلت على حابسه
لما صدر عنه من التخريب ما يصدر عن هؤلاء المتنورين الاحرار فيما
يزعمون او خريجي مدارس التوراة و الانجيل و القرآن فيما يدعون .

* (قال أجتئنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى :

فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا و بينك موعدا
لانخلفه نحن ولا انت مكانا سوى : قال موعدكم
يوم الزينة و ان يحشر الناس ضحى : فتولى
فرعون فجمع كيد ه ثم اتى : قال لهم موسى
و يلکم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
و قد خاب من افتري : فتنازعوا امرهم بينهم
و اسروا النجوى : قالوا ان هذان لساحران
يريدان ان يخرجاکم من ارضکم بسحرهم
و يذهبا بطريقتکم المثلى : فأجمعوا كيدکم ثم
ائتوا صفاً و قد افلح اليوم من استعلى : قالوا يا
موسى اما أن تلقى و اما ان نكون اول منلقى
: قال بل القوا فاذا حبالهم و عصيهم يخيل
اليه من سحرهم انها تسعى) *

بعد ما اظهر موسى آياته و بيناته لفرعون و ادركته عزة المقام

و نحوه الشخصية لم يأبه بكل ما رأى و سمع بل قال له انما انت ساحر مشعوذ جئتنا لتخرجنا من ارضنا و ملكنا مصر بما معك من سحر و شعوذة و لسنا بعاجزين عن مواجهتك بمثل ما جئت و ادعيت فلنأتيتك بسحر مثله فاجعل بيننا و بينك موعدا نجتمع فيه للمعارضة نحن و انت مكانا يستوى فى حضوره كل منا و منك متوسطا لا يقرب من احد و يبعد عن آخر فقال له موسى موعدكم يوم الزينة وهو عيد خاص بالأقباط يتزينون فيه و كان قريب الحلول و ان يحشر الناس و حشرهم نوعا يكون مع ارتفاع الشمس فتوجه فرعون لنفسه فجمع كافة ما يتسبب به الى الغلبة ثم اتى الى الموعد كما اتى موسى هناك اتجه موسى لجماعة فرعون و سحرته فقال لهم ناصحا و موبخا و يلکم لا تفتروا على الله كذبا فيما تعرضونه من سحر فتقولون لحبالکم و عصيکم عندما تلقونها فتسعى ان الله وضع فيها الحياة لا راد تکم ذلك او ان اربابکم باستطاعتهم هذا العمل او انکم انتم بمقدورکم ان تفعلوه فان من يتعمد الكذب على الله يهلكه بعذاب يوقعه عليه اما عاجلا و اما آجلا فتنازع القوم فيما بينهم على ما يبرزه البعض للبعض من غرض و اسروا امرهم بينهم ولم يدعوا احدا يطلع عليها و بعد ان تم نظرهم على هد فهم افضوا بذات انفسهم فقالوا للناس ايها الناس ان هذين الرجلين موسى و هارون ساحران وليسا نبیین مرسلين يريدان أن يخرجاکم من ارضکم مصر و يستوليا على ملککم بسحرها و يذها بما عليه من سيرة الآباء و عادات السلف عشنا و عشتم فاجمعوا ايها القوم جميع ما عندکم من سبب تقهرون به من يريد الاستيلاء عليكم ثم ائتوا صفاً واحداً فانکم انتم و هذا الأمر فالأمر فيه لمن غلب هناك و بعد ان جمعوا وسائلهم قالوا يا موسى اما ان تلقى ما عندک لنرى آثاره و اما ان نكون اول منلقى لتقف انت و من معك و معنا على

اثره ومخبره فقال لهم موسى بل القوا انتم سابقين ليقف على جهنم
مقدورهم فألقوا كما اراد موسى فاذا حبالهم و ما معهم من عصي تخيل
الى الرائي و من جعلتهم موسى أنها تتحرك و تسعى .

* (فأوجس في نفسه خيفة موسى : قلنا لا تخف

انك انت الأعلى : و ألق ما في يمينك تلقف

ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح

الساحر حيث اتي : فألقى السحرة سجدا قالوا

آمنّا برّب هارون و موسى : قال آمنتم له قبل ان

آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر

فلأقطعن ايديكم و ارجلكم من خلاف ولأصلبنكم

في جذوع النخل و لتعلمن ايّنا اشدّ عذابا

و ابقى : قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من

البيّنات و الذي فطرنا فاقضى ما انت قاض انما

تقضى هذه الحياة الدنيا : انا آمنّا برّبنا

ليغفر لنا خطايانا و ما اكرهتنا عليه من السحر

و الله خير و ابقى : انه من يأت ربه مجرما فأن

له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى : و من يأتته

مؤمنا قد عمل الصالحان فأولئك لهم الدرجات

العلا : جنات عدن تجري من تحتها الأنهار

خالدين فيها و ذلك جزاء من تزكوا) *

عندما شاهد موسى ما شاهدته الناس من السحرة وجد في نفسه
اضطرابا و خوفا لعدة عوامل (١) انه لا يعلم ان عصاه تلقف ما صنعوا

بل ربّما لا تزيد على ان تكون حية تسعى كحياتهم فلا تكون له الغلبة عليهم (٢) ان يحسب الناس كلا العاملين سحراً فلا يكونوا مع موسى فيما يروم منهم من عبادة الله و نبذ فرعون (٣) ان يتفرق الناس قبل ان يروا ما يكون عن موسى و يكتفوا بما شاهدوا من السحرة (٤) ان تكون طبيعته بما هي انفعلت بهذه المظاهر لا روحه الروحانية فقلنا له حينذاك لا تخف يا موسى انك انت الأعلى في هذا الموقف و لك الغلبة عليهم و القى عندما جاءت نوبتك ما فى يمينك فأنها ستكون حية قهّارة تلقف ما صنعوا من حبال و عصي و لا يأخذك ممّا صنعوا عجب ان الذى صنعوه كيد ساحر و لا يفلح الساحر حيث اتى فألقى موسى ما فى يمينه فكانت حية جاءت الى ما صنعوا فلقفته و حدرته فى جوفها و هنا يأتى سؤال ان عصيهم و حبالهم بمجموعها تزيد حجماً على عصا موسى فكيف يمكن اطراف الاكثر فى الأقل قلنا لا استبعاد فى ان يوسع الله ظرف الحية كتوسع حجم العلقه بعد امتصاصها الدم فإنه يعود اضاعافاً مضاعفة على ما كان عليه قبل ذلك فألقى السحرة حينذاك سجداً لله و قالوا آمناً برّب هارون و موسى فقال لهم فرعون بعدما رأى ما رآه من صميم قلوبهم لما دعاهم موسى اليه اراكم آمنتم له قبل ان اجيز لكم ان تؤمنوا له انكم لم تؤمنوا له لحجة او دليل بل لانكم صنف واحد و هو كبيركم فقد تموه تقديم صنعة لا تقديم عقيدة فلا قطعاً ايدىكم و ارجلكم من خلاف يعنى اقطع من يديكم اليمين و من ارجلكم اليسار و بعد ان تقذفوا ما فى عروقكم من دم لأصلبكم فى جذوع النخل تشهيراً بكم و عن قريب لتعلمن آينا انا او ربّ موسى اشدّ عذاباً و اطول و ابقى و أقهر فأجابته السحرة بأنه و مهما كان لهم فى انعامه عليهم و سابقتهم معه لئن يقدموه على ما جاءهم من الحف الصريح و البيّنات الواضحات و يؤثروه

على الله الذي فطرهم و افعل ما انت فاعله يا فرعون مآ تهددتنا به فانك غاية ما تتمكن عليه ان تسلب هذه الحياة الفانية منا و ليس باستطاعتك ان تعد منا الى الأبد انا آمنا بخالقنا و من بيده نواصينا ليغفر لنا ما سلف من خطايانا و ما اجبرتنا عليه من تعلم السحر سابقا و العمل به لاحقا شدا لعضدك و تأييدا لحكومتك و الله خير منك و نعمته ابقى لنا من نعمتك ان من يأت ربه مجرما و يموت على تلك الحالة فان جزائه جهنم لا يموت فيها حتى يرتاح بالموت ولا يحيى حياة مريحة حتى يسعد بل يبقى حيا معدبا و من يأت مؤمنا و يموت على الأيمان و كان قد شفع العقيدة الصالحة بالعمل الصالح فأولئك لهم الدرجات العالية عنده تلك الدرجات العالية هي جنان الخلود والبقاء الأبدى و ذلك جزاء كل من زكى نفسه و طهرها من ارجاس الذنوب و ادناس العيوب .

او يقال فى مفاد هذه الآيات ان السحرة قالوا لموسى اما ان تلقى عصاك حتى نجد ماذا يكون عنها واما ان نكون اول من القى قال بل القوا انتم انما قدمهم ليفضحهم بخلاف ما لو تقدم هو فانهم لا يتقدمون بعده فلا ينكشف امرهم للناس فتقدموا فاذا حبالهم و عصيهم تلوح كأنها حيّات و افاعى تسعى الى الناظرين و من جملتهم موسى و هارون و حقّ لهما و لغيرهما ان يتجسم لهم هذا الخيال فان السحر لا يعرف انه سحر الا بعد بطلانه، قلنا لا تخف، يعنى لا تخف مادة و معنى اما المادة فان ما ابرزوه سحر لاحقيقة له وانما هو خيال و الخيال قد يأخذ بالبصر و لكن لا يورد اذية على الجسم و المزاج و اما المعنى فانك غالب فلا يذهب فى وهمك الانغلاب و لما اتى الدور اليك فألق ما فى يمينك و هى عصاك المألوفة لك تلقف ما صنعوا و اللقف تتصور فيه جنبتان جنبه

الغلبة فقط و جنبه المادة الواقعية وهى الابتلاع و تعلل الجنبتان معا بقوله انما صنعوا كيد ساحرو الكيد هنا هو الخديعة و الفلاح هو النجاح الواقعى المستمر و الساحر لانجاح له فى الواقع و انما هو قشرى زائل .

فألقي السحرة سجداً ، بعد ان وقف السحرة على مبلغ من الحقيقة عظيم و على مقدار من الواقع جسيم انتقلوا من حالة الى اخرى و من وضع الى وضع فبعد ان كانت عقيدتهم بموسى و هارون انهما من قسم السحرة انقلبت بهم الى انهما من رديف الانبياء العظام و بعد ان كانوا يؤلبون عليهما اذا بهم يقعون سجداً لربهما و بعد ان كانوا كافرين بهذا الرب انقلبوا مؤمنين به و كان هذا الأظهار منهم امام الملأ العام فغاظ ذلك فرعون اشد الغيظ .

قال آمنتم له قبل ان آذن لكم ، مسكين ابن آدم فمن عقائده انه يستطيع التأثير بقوته على شعور الانسان من داخله و هذا هو عين الغلط فان المرائى العظيمة التى قلبت حال السحرة من الكفر بالله الى الايمان به لا تستطيع قوة فرعون ان تقاومها ولا ان تكتبها عن الظهور و تقريع فرعون لهم تقريع فارغ لا قيمة له و قطع الايدى و الأرجل من خلاف هو قطع اليد اليمنى و الرجل اليسرى و مع ان قوة موسى فى عصاه قوة هدامة الا انها فى القوى الاخرى المتعارفة ضعيفة بالنسبة الى قوتى فانا اشد منه عذابا و اكثر بقاء .

قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البيئات ، هذا الكلام من السحرة كلام شريف جدا فان المحبة المادية لا تستطيع ان تقاوم المحبة المعنوية الجذرية فلا نستطيع ان نقدم احترامك على ما أثر على جميع مشاعرنا و لا تطل علينا بالتهديدات فغاية ما عندك القضاء على حياتنا

الظاهرة دون الواقعية .

انا آمنّا برّبنا ليغفر لنا خطايانا ، اللام الغائية هنا جىء بها لاستثمار الايمان و اما الفاعلية فمنطوية و هى انهم لما وقفوا على المعجزة آمنوا و استثمروا ايمانهم بوقوفهم شاخصين بازائه نابذين لفرعون و آرائه ، و اعتقادهم بان الله يغفر الخطايا انما يريدون بها الخطايا القائمة بين العبد و المعبود لا القائمة بينه و بين اخيه النوعى فان اسقاطها موقوف على رضاه و اعتبروا ان خروجهم لموسى و اصطفاهم امامه كان قسريا لا اختياريا و لذلك يروونه بعد الايمان بالله يقع مغفورا لهم ، و الله خير من فرعون و غير فرعون و ابقى لهم من كل مقتدر .

انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم ، المراد بالربّ هنا هو الله تركيزا على المعهود من لفظ الربّ و استدلالاً بالسياق و المراد من كونه يأتيه مجرما انه يتصل اجرامه بموته و لا شك ان المجرم بالوصف له جهنم كما توعدّه الله بذلك لا يموت فيها فيرتاح كما انه مع استمرار الاذى المزعج لا يستطيع ان يحيى حياة يريدّها الأحياء و يتطلبونها .

و من يأت مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلا ، و يقال هنا مع الايمان كما قيل هناك مع الأجران بان المراد اتصال ايمانه بموته و كون ايمانه مسبوqa بالعمل الصالح و لا شك ان مثل هؤلاء لهم الدرجات العالية عند ربهم و تلك هى الجنان المعدة للاقامة و استمرار البقاء تجرى من تحتها الأنهار تزيينا لها و تمويها لأهلها و مثل هذه الدرجات العلا هى الجزاء لمن يزكى نفسه و يطهرها من ادران الذنوب و المعاصى .

* (و لقد اوحينا الى موسى أن أسر بعبادي
فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا
ولا تخشى : فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم
من اليم ما غشيهم : و اضل فرعون قومه وما
هدى : يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من
عدوكم و واعدناكم جانب الطور الايمن و نزلنا
عليكم المنّ و السلوى : كلوا من طيبات ما
رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلّ عليكم غضبى و من
يحلل عليه غضبى فقد هوى : و اتى لغفار
لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى : وما
اعجلك عن قومك يا موسى : قال هم اولاء على
اثرى و عجلت اليك ربّ لترضى : قال فآتا قد
فتنا قومك من بعدك و أضلهم السامرى : فرجع
موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم الم
يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد
ام اردتم ان يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتهم
موعدى) *

و لما أصرّ فرعون على عتوه و طغيانه و لم يؤمن لموسى ولا استجاب
لدعوته و لم يتأثر بمعجزاته امر الله موسى ان ينزل بينى اسرائيل
و يعبر بهم النيل و يسير الى موطن السلف و الآباء و باعتبار ان جماعة
بنى اسرائيل كثيرة العدد ولا وسيلة للعبور يومذاك الا السفن و تحضيرها
يحتاج الى كلفة زائدة لا تتيسر لهم خصوصا مع ممانعة فرعون عن ذلك

بين تعالى لنبيه ان المقام مقام اعجاز فأمره ان يضرب النيل بعصاه حتى ينشق له طريق مهيع يقف الماء له من جانبيه كالجدران العظيمة حتى يعبر جماعته ففعل موسى ذلك و ضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا يخاف مع حفظ الله له و لقومه دركا من فرعون ولا يخشى من البحر انطباقا عليه و على قومه و لما رأى فرعون طريقا مشقوقا و جادة لاجبة اتبعهم بجنوده فأمر الله الماء بالانطباق عليهم فغشيهم منه ما لم تره عين على مسافة التاريخ و اضل فرعون قومه عن الجادة حيا و على مقربة من الموت ولم يهدم لما هو صالحهم فى الحياة الدنيا ولا الأخرى هناك توجه رب العزة الى نعمة اخرى اسبغها على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون و قومه و واعدناكم جانب الطور الايمن لأخذ التوراة و فى التيه نزلنا عليكم المن و السلوى طعاما سائغا من غير مشقة و لا مؤنة كلوا من طيبات هذا الرزق ولا تسرفوا فيه او تتكبروا عليه فيحل عليكم غضبي و من يستول عليه غضبي فقد هوى الى ابعد هوة و انسى لغفار لمن تاب بعد ارتكاب الخطيئة ان كان مسبقا بالإيمان و لمن آمن و اردف ايمانه بالعمل الصالح و استمر على الإيمان و الصلاح ، ولما ضرب الله موعدا لموسى و قومه فى اخذهم التوراة سبق موسى قومه الى الطور فقال له تعالى و ما اعجلك عن قومك يا موسى فقال يارب عجلت اليك لأنال من مرضاتك اكثر مما يحاول الباقون و بعد فالقوم على اثارى و سيتصلون بى فقال له تعالى اننا فى هذه الفاصلة اختبرنا قومك لنكشف لهم روحياتهم امام بارئهم الذى صنع لهم المعجزات ومع ذلك مالوا عنه الى غيره فقد اضلهم السامرى بصنعه العجل و عبادتهم له من دون الله فرجع موسى الى قومه و ملأه غضب عليهم متحرقا منهم و أسفا على ضياع جهوده فى حقهم و قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا

بانزال التوراة نظاما لحياتكم و مرآة لطريقكم أفضال عليكم العهد بينى و بينكم وما العهد بطويل ام تقصد تم مكان رحمة الله حلول غضبه عليكم فأخلفتم الموعد الذى بينى و بينكم فى المجىء بالتوراة .

او نقول فى مفاد الآيات السالفة ان امر فرعون لما انتكس باستسلام سحرته و تفوق موسى عليه امر الله موسى ان يسير بنى اسرائيل و كل مؤمن سواهم و يخرج بهم من مصر الى غيرها و ان يعبر بهم النيل بصورة غير عادية بل اعجازية وهى ان يشق البحر كما يشق الجبل و يكون مكان الشق طريقا و معبرا يابسا قابلا للمرور عليه و العبور فيه براحة و انه لا يخاف حين عبوره من تلاقى اطراف الماء عليه و انما امره سبحانه بذلك ليأمن فرعون و قومه من بوائق هذا المسير فيسيروا فيه فاذا توسطوه اطبق عليهم فكان غاية هلاكهم الجماعى و الذى يكون بالاصاف المارة لا يتأتى منه ان يكون قائدا موفقا فى قيادته بل كما هو ضال فى نفسه لا تراه الا مضلا لغيره بحكم ضلاله فى نفسه ، و بعد ان عبر بنو اسرائيل البحر و غرق فيه فرعون و جنوده و صفى الجو للمؤمنين بطبيعة الحال مثل هذا الجو يحتاج الى نظام ربانى عادل فطلب القوم ذلك الى موسى فأراد ه من ربه فأجابته اليه مشترطا عليه ان ينتخب من قومه ممثلين يمثلونهم يكونون معه عند الميقات فانتخبوا من انفسهم سبعين رجلا للتمثيل فذهبوا الى الطور مع موسى و قررت مدة الغيبة عن القوم ثلاثين ليلة فأتىها الله بعشر ، فى هذه الفاصلة وحيث موسى مع النقباء و هارون مع بنى اسرائيل اذا بالقوم يفتنون بالعجل و عبادته فيرجع موسى فيراهم على هذه الحالة القذرة و من جملة ماجرته هذه الحالة عليهم انهم حكم عليهم بالتيه فكان غذاؤهم فيه المن و السلوى .

كلوا من طبيبات مارزقناكم ولا تطغوا فيه ، هذه الآية مشعرة بان

الانسان اذا كفى المؤنة مع السلامة كان من العيب عليه ان يتطلّب المزيد فقد لا يشعر بما يحققه المزيد من قلق و اضطراب و سلب راحة و أمن حتى انه ليعتدّ ما كان فيه من وضع فلا يتهدأ له ما كان فمعيشة التيه و ان كانت محدودة منزورة الا انها كانت مأمونة البوائق لكنها لم ترق في عيون القوم و هذا هو معنى الطغيان و حلول الغضب عليهم بما تعقبه التيه من تموجات عارمة و حوادث لاسعة .

و انى لغفار لمن تاب ، الغفران المتعقب للخطيئة يكون على نحوين (احدهما) ان يكون مع الكفر الأسمى فان الاسلام المتعقب له جابّ له حتى كأن المكلف خلق من جديد (و ثانيهما) ان يكون مع الايمان و مع ملابسة الفسق و من شرط الشقيين الاستقامة على الهداية فان التائب اذا لم يستمر على توبته لا يكون لتوبته اثر .

و ما اعجلك عن قومك يا موسى ، سبق موسى نعباء قومه الى الطور لما ذهب الى ميقات ربه و كان من الأدب ان يتأخر عن قافلتهم ليحيط بها فكان هذا هو الداعي لخطاب الله له بصورة استفهام و جاء في جوابه اننى لم اتقدمهم فاصلة شاسعة بل فاصلة الرائد لغنمه و كان ذلك منى احرازاً لرضاك عنى بباعث الشوق اليك و التطلع الى انوارك و القرار الى جوارك .

قل فانا قد فتنا قومك من بعدك ، الفتنة هى الاختبار بداعى استجلاء بواطن المكلفين و كشف هوياتهم بعضاً لبعض و الاضلال هو الاتاهة بن الطريق و السامرى رجل دجال مفسد و ينسب الى قبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة و رجوع موسى كان بعد انتهاء الاربعة ليلى التى هى موعد انزال التوراة و الأسف هو ابراز عدم الرضا بشدة عن وقوع الشىء او عدم وقوعه و فاعل قال هو الله يعنى بعد ان سمع

اللّٰه من موسى جهةً تعجله عن قومه فى مجيئه الى ميقات ربّه اخبره اللّٰه بان قومه وقعوا فى محنة الاختبار و ان الكثير منهم ارتدّ عن عبادة اللّٰه الى عبادة العجل و ان المضلّ لهم هو السامرى حينذاك و بعد تمام الموعد رجع موسى الى قومه غضبان غير مرتاح آسفاً ممّا حصل متيقنا ان جميع زحماته عليهم ذهبت سدى، قد يُقال ما هو مصحح افتتان اللّٰه لعباده فنقول كما اسلفنا هو استجلاء باطن المكلف و كشف هويته للناس حتى يعرفوه امّا بالضبط و الاتقان او بالتذبذب و الأدهان و بهذه القضية اراد سبحانه ان يبيّن لبنى اسرائيل ان ادلالهم على الناس بانهم شعب اللّٰه المختار ادلال مزعوم لا قيمة له لانهم ليسوا من اولئك الثابتين على الطريقة المتسكين بأطراف الحقيقة بل هم من التذبذب فى ابعاد درجة و اخزى حاله .

قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا، الوعد الحسن هو الوعد بانزال التوراة الكتاب السماوى الكافل لكل خير البعيد عن كل تحييز و ليس العهد بينكم و بين ما وعدتم به بطويل فان الاربعين يوماً ليست بشيء اذا كان هدفكم استجلاب العذاب لانفسكم حتى تكونوا مصداقاً للمثل ربّ حافر على حتفه بظلفه و هذا هو الذى دفع بكم لخلف الوعد وهو الانتظار لمجيء التوراة اليكم و حكومتها عليكم .

* (قالوا ما اخلفنا موعدك بملكننا و لكننا حملنا اوزارا
من زينة القوم فقد فناها فكذلك ألقى السامرى :
فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا
الاهكم و اله موسى فنسى : أفلا يرون الا يرجع
اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا : ولقد قال
لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن فاتبعونى و اطيعوا امرى : قالوا لن
نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى : قال
يا هارون ما منعك ان رأيتهم ضلوا : الا تتبعن
أف عصيت امرى : قال يا بنى ام لا تأخذ بلحيتى
ولا برأسى انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى
اسرائيل ولم ترقب قولى : قال فما خطبك
ياسامرى : قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت
قبضة من اثر الرسول فنبذتها و كذلك سؤلت
لى نفسى) *

فأجاب الذين لم يلابسوا عبادة العجل من قوم موسى و كانوا
انحازوا الى هارون و نبذوا السامرى و من اتبعه بأننا لم نخلف موعدك
باختيارنا بل الاكثرون مما لما تخلفوا و هرعوا لعبادة العجل منعوناعن
الاتصال بك ، بما سيجىء بيانه ، و تحملهم للأوزار كان من طريق ان بنى
اسرائيل استعاروا من الاقباط ذهبا و فضة ليلبسوا ذلك يوم الزينة
الذى اشعرنا به آنفا و بقى عندهم فلما صمم موسى على السير بهم لم
يرجعوه اليهم حذرا من تنبهم لارتحال القوم عنهم و انفصالهم منهم

فبقيت هذه الزينة عند هم ورأوا ان هذا الوزر لا يندفع عنهم الاً بأيقاد نار و القائه فى تلك النار اتلافاً له يقولون نحن فعلنا ذلك و السامريّ فعل مثل ما فعلنا و الفارق بينهم و بينه انهم ارادوا التخلص من هذا الوزر اما هو فاستغلّ الموقف فرصة ليصوغ من هذا الذهب عجباً لا يستغوى من طريقه هو إلاّ الأوباش فأخرج لهم عجلاً مجسّداً له صوت عجل البقر و قال هو و متبعوه الباقون هذا الا همك و الاله موسى فنسى السامريّ و من معه ان خالق العالم لا يكون فلزاً ولا عجلاً ولا اى شىء من هذه الكوائن و قد كانت المعجزات و الأستدلالات من موسى على فرعون بمرأى منه و مسمع بما اكسبته علماً وجدانياً أن موسى هو المحقّ فيما يقول و ان فرعون هو المبطل و لكن اخبار البشرية يتجاهلون حتى بالشمس اذا راق لهم غيرها ، ثم توجّه الله الى عبدة العجل مندداً بهم فقال أفلا يرون انه لا يرجع اليهم قولاً اذا كلّموه ولا يملك لهم ضرّاً حتى لو ارادوا الاضرار بانفسهم ولا نفعاً اذا حاولوا النفع منه ، هذا و قبل ان يوبخهم موسى على عبادة العجل و بخمّ هارون و قال يا قوم انما فتنتم بهذا العجل و ربكم الواقعى هو ربكم الذى آمنتم به انتم و آباؤكم من قبل فاتبعونى فى الأعتزال عن السامريّ و عجله و اطيعونى فيما أمركم به لكنهم عصوه و قالوا له لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى من ميعاده و حينذاك ننظر من امرنا ما هو الأصوب و فى القوم للعجل بما قالوا حتى رجع موسى فتوجّه من غيظه لأخيه هارون لانه يجده نفسه و المنزل منزلته ما منعك يا هارون ان رأيتهم ضلّوا عن الطريقة الحقّة ان تتبعنى و تخبرنى بما حدث أفعصيت امرى السالف منى لك حيث قلت لك اخلفنى فى قومى و اصلح و كأن الغضب لله و للحق اخذ منه مأخذه فكما ان الغاضب يعضّ على اصابعه و يأخذ بلحية نفسه و يلطم على

رأسه كذلك فعل موسى بهارون لأنه نفسه فقال له هارون يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى انى لو اتبعتك بمن معى لحصل بين القوم افتراق و انشعاب بعيد ولو انى حاربت بمن معى عبدة العجل لحصل من التفرق مالا التئام معه ولما كنت مراقبا لقولك اخلفنى فى قومى و اصلح و من هنا توجه موسى الى السامرى فقال له ما الذى دعاك الى ان تعمل هذا العمل و تشتت امر الناس و تعيدهم الى الوثنية بعد عبادة الله و حده فقال سؤلت لى نفسى هذا الأمر و كانت مقدماته جاهزة من الذهب المذاب و من التربة التى تناولتها من تحت حافر الفرس فرس جبريل فحصل هذا الذى غبت عنه امس و حضرته اليوم ، و اعلم ان لا فى قوله الا تتبع زائدة مؤكدة لمضمون ما قبلها كأنه قال له مالك لـم تتبعنى .

او نقول بالنسبة الى الآيات السالفة ان صدر الآيات يبرهن على انحطاط الاسرائيليين فى روحياتهم و انهم لا يملكون وحتى فى مقابل الموهنات ارادتهم فهم مذنبون خياليون يعيشون على الوهم والخيال فقله بملكنا اى باختيارنا بل حصلت مطالب ادت بنا الى انقلابنا وهى اننا كنا نحمل عوارى من حلى القبط وبعد فنائهم استقدرناها فقيل لنا ان تطهيرها يكون بالقائها فى النار ففعلنا ذلك وسط كانون اشعلناه فقدفنا فيه ما كان عندنا و كذلك فعل السامرى بما معه غايته انه ألهم من طريق ابليس عند ما جاء جبرئيل لاغراق فرعون و جنوده ان يأخذ ترابا من تحت حوافر فرس جبرئيل و انه سيستفيد منه فائدته اغواء واضلال لبني اسرائيل عندما يعبرون النيل و يبارحهم نبيهم لموعده ربه فالقى السامرى بهذه التربة فى هذا الكانون المشتعل المحتوى على ذهب الاقباط فتصور ذلك عجل له لحم و دم و خوار كخوار العجل العادى

فملك بذلك مشاعر بنى اسرائيل وزاد هذه الشعوذة بقوله ان موسى كان من قصده ان يدعوكم لعبادة هذا العجل لكنّه نسى الدعوة اليه و الاّ فهو منظور له مرصود عنده فلبت دعوته هذه الاكثريّة الساحقة منهم ولم يتجرد عن هذه الخطيئة الاّ المنزور من قبائلهم .

أفلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ، هذا الاستفهام الانكارى ساقه الله الى عبدة العجل بانهم كالمعبود لهم فى فقدان التعقل وان كانوا هم يجدون عقولاً دونه و هذه الملامة سارية المفعول الى كل من يتشبّه بشيء فاقد النتيجة عديم الفائدة فانه من تضييع العمر اولاً و من الأدلة على ضعف الشعور و قلة الاحساس ثانياً بل يجب على الانسان ان يكون هدنياً فى جميع اشياءه فعبدّة العجل فى عبادتهم لهذا الحيوان الفاقد للنطق المحروم من العقل الضعيف فى نفسه عن جلب الخير لها و دفع الشر عنها يكونون مع وجدانهم لقوة العقل اخس منه واحطّ درجة و مقاما حين يعبدونه و يقعون له سجداً .

و لقد قال لهم هارون من قبل ، اى من قبل قول السامرى هذا الهكم و اله موسى يعنى ان هارون بمجرد ان وقف على عجل السامرىّ نبههم و ارشدهم الى ان هذه الظاهرة شعوذة اريد بها اغواؤهم عن الجادة و اتاهتهم عن السبيل المستقيم و ان الذهب و العجل و اى شىء آخر لا يصلح ان يكون معبوداً فان العبادة انما تصحّ لمن تكون بيده أزمة الأمور مادياً و معنويها وهو الرحمن الذى لطف بهم فأخرجهم من نير الاستعباد الى سعة التحرر و الاستقلال فاتبعونى يا بنى اسرائيل فعلا كما اتبعتمونى سابقاً و لا تتبّعوا السامرى و عجله و اطيعونى فيما أمركم به و لا تقتدوا بهذا الشعوذة فكان من جوابهم له التمرد عليه و انهم لا يبرحون عاكفين على عبادة العجل حتى يرجع اليهم موسى

و يأخذون نظره حينذاك .

قال ياهارون ما منعك ان رأيتهم ضلّوا الاّ تتبعنى ، لما رجع موسى من ميقات ربّه و وجد قومه على هذه الحالة المخزية فأول ما توجّهه باللأثمه على خليفته فى قومه اخيه هارون فقال له اى شىء وقف امامك عند ما رأيتهم يضلّون هذا الضلال ان تتبع خطاى فى مبارزاتى و مناجزاتى لكل منحرف أفعصيت امرى الذى اصدرته اليك عند ما بارحتك ذاهبا الى ميقات ربى و كأنّ الغضب هنا اثر على موسى تأثيرا قاهرا هز اعصابه و آثار حميته و بلغ منه كل مبلغ فأخذ برأس اخيه وشعر لحيته يعتّه ايجاعا له باللامه فلم يكن من هذا الاخ الحليم سوى ان قال اننى عند ما سكت عن دعوة من بقى على ايمانه ليحارب المرتدّ منهم خشية ان تقول بعد دعوتك اليهم لماذا اوقعت التفرقة بين بنى اسرائيل و ضربت بعضهم ببعض ولم تنتظرنى هذا هو الذى منعى مما لمتنى عليه ، ولا ، فى قوله الاّ تتبعنى زائدة و الاصل ما منعك ان تتبعنى .

قال فما خطبك ياسامرى ، ثم التفت موسى الى السامرى و قال له ما شأنك وما الذى دعاك الى ما فعلت فأجاب بان الداعى هو تسويل النفس الفاسدة لنشر الفساد بين الناس و ايقاع الفتن و التشتت فى جماعاتهم و كنت قد تناوشت قبضه من تراب اثر فيه حافر فرس جبيريل فصررتها لهذا الداعى فنبتتها فى الكانون فكان من اثرها انفعال صورة العجل بدخول الروح فيه هناك اراد موسى من الله ان يشوّه حياة السامرى بتسويغه الحياة مقرونة بالتوحش و الانزعاج و الآلام بتحريم الله على كل انسان معاصته للسامرى و معاملته معه و مكالمته أياه و قطع كل الروابط بينه و بين غيره فتحامى هو الناس و تحاموه .

* (قال فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول
لا مساس و انّ لك موعدا لن تخلفه وانظر الى
الاهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسّفنه
فى اليمّ نسفا : انّما الاهكم الله الذى لا اله
الا هو وسع كل شىء علما : كذلك نقصّ عليك
من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا :
من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا :
خالدين فيه و ساء لهم يوم القيامة حملا : يوم
ينفخ فى الصور و نحشر المجرمين يومئذ زرقا :
يتخافتون بينهم ان لبثتم الاّ عشرا : نحن اعلم
بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم
الاّ يوما : ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربّى نسفا : فيذرها قاعا صفصفا : لا ترى فيها
عوجا ولا امّتا) *

الأعتراف بالذنب لا يسقط الجريمة فقول السامرى سوّلت لى نفسى
لا يسقط عنه جرم هذه الجريمة البشعة بل كان جزاؤه فى الدنيا ان
يتوحش عن الناس فلا يقربهم ولا يقربونه ولا يمسهّم ولا يمسونه واما من
ناحيه الآخرة فأنّ له موعدا محققا قاطعا لا يستطيع ان يتخلف عنه وانظر
ياسامرى الى الاهك الذى صنعتته بيدك و وقعت له انت و قطيع الطغمة
من اتباعك ساجدا وظللت عليه عاكفا لنحرقنه لأنّه صار لحما وعظما بعد
أن انقلب عجلا جسدا له خوار ثم لننسّفنه فى اليمّ نسفا ان العجل وغير
العجل من سائر الكائنات لا يستطيع من ماهيته ان يكون الاها معبودا

انما الاله الحق هو الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما لأنه خالق كل شىء ، كالقصص التى قصصناها آنفا نقص عليك من انباء ما قد سبق امة ورسولا وقد آتيناك من لدنا ذكرا هو القرآن الجامع لكل حسنة البعيد عن كل هناة ومنقصة ، ان هذا القرآن الناظم الهادى لا يعرض عنه الا من يحاول ان يحمل اوزارا عظيمة يوم القيامة وان يخلد فى ما تنتجه من جزاء و تسببه من عقوبة يوم القيامة هو اليوم الذى يكون ينفخ الصور وبعثرة من فى القبور و حشر المطيعين آمنين و المجرمين زرقا ابدانهم من اثر الأهوال وما يجىء به النكال ، زرقة الأبدان معمولا انما تكون فى البرد الشديد فاستعيرت هنا للحر الشديد وقد تكون على حقيقتها لان الزمهريرية نوع من عذاب الآخرة وعندما يحشرون المجرمون بينهم متناجين كم لبثتم فى عالم دنياكم حتى استوجبتم هذه الحياة الفاشلة الفاسدة الجهنمية فيجيب بعضهم البعض مالبثنا الا عشرا من الايام لان الذى بقى فى خاطرتهم شبح من الحياة التى عاشوها بالأمس نحن اعلم بما يقولون كم لبثوا هل هو عشر او غير عشر حين يقول أعدلهم طريقة مالبثنا الا يوما لا اكثر تضعيفا لما عاشوه من زمان و يسألك المشركون يا محمد عن مآل الجبال يوم القيامة فقل لهم ان ربى ينسفها و يذروها ذروا و يدع مكانها قاعا فارغة صافيا عارية لا ترى فيها انخفاضا ولا ارتفاعا .

* (يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له و خشعت
الأصوات للرحمن فلا تسمع الآ همسا : يومئذ
لا تنفع الشفاعة الآ من اذن له الرحمن و رضى له
قولا : يعلم ما بين ايديهم و ما خلفهم ولا
يحيطون به علما : و عنت الوجوه للحى القيوم
و قد خاب من حمل ظلما : و من يعمل من
الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما :
و كذلك انزلناه قرآنا عربيا و صرفنا فيه من
الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا :
فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من
قبل ان يقضى اليك و حيه و قل رب زدنى علما
: و لقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد
له عزما) *

يوم اذ تقوم القيامة و ينادى منادى الله بالكائنات ترى المحشورين
يتبعون صوته مستجيبين له لاعوج لصوته الى يمين او شمال ولا لأحد
دون آخر و خشعت الأصوات بخشوع القلوب و الايدان لمالك يوم الدين
فلا تسمع فى ساحة المحشر الآ همسا لقدم او للسان يوم الحساب
و الجزاء لا تنفع الشفاعة انسانا الآ ممن اذن له الله ان يشفع و ذلك
انما يتصور فى صاحب الأجرام الخفيفة المربوطة بالله و حده يحاسبهم
الله على ما يعلمه و احاط به من ذنوبهم و ما سيلقونه فى مستقبلهم
ولا يحيطون به علما لتصورهم حتى عن استحضار ما فرط منهم فضلا عما
يجازون به فى حاضرهم و يومذاك تعنو و تخضع الوجوه للحى القيوم و قد

خاب من حمل على عاتقه ممّا سلف منه من ظلم لنفسه او لغيره هـذا
نكال المجرمين واما من يعمل من الصالحات قليلا ام كثيرا وهو مؤمن
بالله عقيدة فلا يخاف يومذاك ظلما فى قبال ما عمل من صالح ولا هضما
لحقوقه و كالذى تلوناه عليك انزلنا ما انزلناه قرآنا عربيا و شققنا فيه
وجوه القول من الوعيد لعلمهم يتقون الله و يخافونه او يحدث لهم هذا
القرآن عند تلاوته تذكرا لما و عظوا به و أرشدوا اليه فتعالى الله الملك
الحقّ الذى لا يفعل ما يفعل الآ عن حقّ و صدق ولا تطلب من ربك
انزال القرآن اليك دفعة واحدة لان ربك يراعى فى انزاله المصالح
المقتضية وقل فى دعائك لربك دائما ربّ زدنى علما ، ولقد عهدنا الى
آدم و زوجه ان لا يأكلا من الشجرة التى اشير اليها من ناحيته تعالى
ولكنه لم يستحضر خاطرته او لم يعد يدري انّ ما نهيناه عنه فيه الزام
له ولم نجد له عزمًا راسخًا فى هذا المضمار .

* (و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا
 ابليس ابى : فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك
 و لزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى : ان
 لك الا تجوع فيها ولا تعرى : و انك لا تطمأئنها
 ولا تضحى : فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم
 هل ادلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى :
 فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما و طفا يخرسان
 عليهما من ورق الجنة و عصى آدم ربه فغوى :
 ثم اجتباه ربه فتاب عليه و هدى : قال اهبطا
 منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم
 منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى :
 و من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا
 و نحشره يوم القيامة اعمى : قال رب لم حشرتني
 اعمى و قد كنت بصيرا) *

و اذكر يامحمد — بتذكير منا — حين قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
 فسجدوا الا ابليس فانه ابى ان يفعل مثل ما فعل الملائكة و عصى ربه
 و تكبر على اوامره ، حينذاك نصحنا آدم و حذرناه من هذا المتكبر علينا
 و عليه و ان لا يخذعنا له و مهما لان لهما فى الكلام و أبرز النصيحة فأن
 انخدعهما له يوجب لهما الحرمان من نعم الله السابغة السائغة
 و يسبب لهما الشقاء و اليأساء انكما على الوضع الذى قدرته لكما من
 اسكانكما الجنة و انها لا جوع فيها ولا عراء ولا حر فيها ولا ظمأ يدوم لكما
 دواما ترتاحان له بحيث لا تعرفان معه للبؤس معنى ولا للشقاء مفهوما

وجاءهما الشيطان بعد ما عاداهما و وسوس لهما بلسان عذب و وعد
عسلى بأننى اعرف شجرة ان اكلتم منها شيئاً فانكم لا تموتون الى الأبد
على رفاهية فى العيش و هدوء فى خاطر فأكلا من الشجرة استجابة
لرغبته فبدت لهما عورتها و استقبجا وضعهما و اخذا يجمعان من ورق
الجنة ما يكون ساترا لهما و عصى آدم نصيحة ربه و غوى عن الطريق
الذى اراده له و بما ان فعل آدم لم يكن عن ارتكاب لنهى مولى
اجتباه ربه و تاب عليه و هداه لمصالحه ولكن لم يبقه فى الجنة بل امره
هو و زوجه أن يهبطا مكانا دونها شأننا و انهما و ذريتهما ما دامنا
و داموا على روحية الانخداع و متابعة الميول و الرغبات فأنهم لا يعيشون
الآن متعادين و مع كل هذه النضائح فأنا لا ادعهم لأنفسهم فأن
حياتهم تسوء مع اهمالهم بل أواتر عليهم بارسال الهداة فمن اتبع
هداتى فلا يضلّ ولا يشقى و من اعرض عما اذكره به فإنه لا يصادف الا
معيشة حرجة محرجة فى دنياه و يحيى حياة مظلمة جهنمية فى عقباه
فيقول داعيا ربه متلطفا فى دعائه لم حشرتنى اعمى و على اخص ما كنت
عليه فى دنياى .

* (قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم

تنسى : وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن

بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى : افلم

يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون

في مساكنهم انّ في ذلك لآيات لأولى النهى :

ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل

مسمى : فاصبر على ما يقولون و سبح بحمد

ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها و من اناء

الليل فسبح و اطراف النهار لعلك ترضى) *

فيقول تعالى عند قوله لم حشرتنى اعمى كما حشرناك على الوصف

فى يوم معادك فقد اسلفنا اليك بالآيات البينات فاعرضت عنها كالناسى

للشىء المجرى عنه و كذلك اليوم معرض عنك ولا تتوجه اليك و هكذا

نجزى كل من اسرف فى حق نفسه و سعادتها ولم يؤمن بآيات ربه

فنجعل له معيشة مرتبكة و وضعا يفقد الأطمئنان ولعذاب الآخرة اشدّ

من عذاب الدنيا و اكثر بقاء و اطول زمنا افلم يهد لمشركى مكة و من

والاها اننا قبل ازمنتهم كم اهلكنا قرونا و اجيالا هى بالقرب منهم

منطقة و هاهم فى تجاراتهم الى الشام و ما والاها يمشون فى مساكنهم

البائدة التى كانت آهلة بهم ان فى هذه الآثار و بقايا الديار لآيات

تحىي الشعور و تعطى اليقظة لأهل العقول و البصائر ولولا انّ الله

قرّر لعباده على نفسه ان الدنيا دار تكليف و ان الآخرة هى دار الجزاء

لكان تعذيب المسىء المجرم يعقب اساءته و من دون امهال له لزاما

على الله و هكذا لولا الآجال المسماة لحياة كل واحد منهم و من غيرهم

لكان من المحتم على الله ان ينزل العقوبة على اثر الجريمة فى اى وقت كان فاصبر يا نبيّ الاسلام على ما يقول المشركون فيك وفى الله فأن لك اسوة بسلفك من الانبياء والرسل وسبح بحمد ربك للصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لصلاة العصر فى بعض الاقوال ومن آناء الليل وأحيانه فسبح للمغرب والعشاء واطراف النهار قيل وقت الظهر لأن الزوال حدّ وسط بين النصف السابق عليه والنصف اللاحق له وقيل ليس المنظور ذلك بل مطلق ذكر الله فى مطلق الأوقات فأنت ان تفعل ذلك تعط أجره وثوابه بما يرضيك يوم القيامة .

وهنا يأتى القول عن عنوان - العبرة والاعتبار - فنقول متى ما انزوى الإنسان لنفسه واقتصر على خيالاته وهمه فأما طغى وتكبر واما انخذل وتدهور يطغو اذا جاس فى وضعه الرفاه والرخاء الفعلى ويهفو اذا لم يلمس فى اطرافه الا الضعف والخذلان اما اذا نظر نظرة المتدبر ووقف على تساقط الفراغة والجبايرة عن عروشهم فى فواصل الدهر او عزة الضعفاء وترعرع البؤساء فى فترات الاوقات فحينذاك يطامن من جبروته كما لا يياس من مستقبله والتعمق فى هذه المادة له اثر فى هدم النفوس الطاغية وبناء الامل المثمر وقد جاء فى القرآن انعكاس عظيم لها وفى ذلك من التربية للانسان مالا تخفى قيمته المعنوية : فمن ذلك .

(١) قوله تعالى (القمر ١٥) ولقد تركناها آية فهل من مدكر

و (٥١ منها) ولقد اهلكنا اشياعكم فهل من مدكر .

(٢) وقوله (ق ٢٦) وكم اهلكنا من قبلهم من قرن هم اشد منهم

بطشا فنقبوا فى البلاد هل من محيص (٣٧) ان فى ذلك لذكرى لمن

كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

- (٣) وقوله (المؤمن ٨٢) أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم و اشدّ قوّة و آثارا فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، و (٢١ - منها) اولم يسيروا فى الأرض فينظروا - الخ - .
- (٤) وقوله (الصافات ١٣٧ و ١٣٨) و انكم لتتمرون عليهم مصبحين و بالليل أفلا تعقلون .
- (٥) وقوله (فاطر ٤٤) اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان - الى - و ما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات و لا فى الارض .
- (٦) وقوله (سبأ ١٥) لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و ربّ غفور فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم .
- (٧) وقوله (الم . تنزيل ٢٧) اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون .
- (٨) وقوله (الروم ٤٢) قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ، و (٩ - منها) اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم - الخ - .
- (٩) وقوله (العنكبوت ٢٠) قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشأ النشأ الآخرة ، و (٣٤ - منها) ولقد تركنا منها آية بيّنة لقوم يعقلون .
- (١٠) وقوله (القصص ٤٠) فانظر كيف كان عاقبة الظالمين .
- (١١) وقوله (النمل ٥١) فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انبأ نمرّناهم و قومهم اجمعين ، و (١٤ - منها) فانظر كيف كان عاقبة المفسدين .

(١٢) وقوله (الفرقان ٤٠) ولقد اتوا على القرية التي أمطرت

مطر السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا .

(١٣) وقوله (النور ٤٤) يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك

لعبرة لأولى الابصار .

(١٤) وقوله (الحج ٤٦) أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم

قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لاتعمى الابصار ولكن

تعمى القلوب التي في الصدور .

(١٥) وقوله (يوسف ١١١) لقد كان في قصصهم عبرة لأولى

الآبَاب .

(١٦) وقوله (الانعام ٦) أولم يروا كم اهلكنا من قبلهم من

قرن مكّناهم في الأرض ما لم نمكن لكم - الى - فأهلكناهم بذنوبهم

وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين .

(١٧) وقوله (آل عمران ١٣٧) قد خلت من قبلكم سنن فسيروا

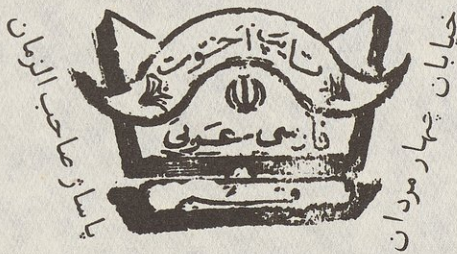
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين : الى غير ذلك .

* (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواج منهم
 زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه و رزق ربك خير
 و ابقى : و أمر اهلك بالصلاة و اصطر عليها
 لانسألك رزقا نحن نرزقك و العاقبة للمتقوى :
 و قالوا لولا يأتينا بآية من ربّه اولم تأتهم بينة
 ما فى الصحف الأولى : ولو انا اهلكنا هم
 بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا
 رسولا فنتبّع آياتك من قبل أن نذلّ و نخزى :
 قل كلّ متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب
 الصراط السوى و من اهتدى) *

يا محمد لا تجلبك الدنيا ولا تسترع نظرك حتى تكون سببا الى
 مدّ عينيك و راء ذبول النعمة المستطيلة التى متعنا بها اصنافا من
 الكفار من زهرات الحياة و بهجاتها لنختبرهم به فأن رزق ربك لك على
 سبيل التفضل او الاستحقاق خير مما هو فى حوزتهم و اطول بقاء فى
 الزمان و هو بعد يكون لك فى الآخرة عريضا طويلا ولا يكون لهم منه شئ
 و أمر اهلك بأقامة الصلاة و ملازمتها و الصبر على مشاق قيامها و اقامتها
 نحن لانسألك ان ترزق من تأمرهم بها بل نحن الذين نرزقهم و نرزقك
 معهم و العاقبة للخائفين من الله المتقين له المحتاطين فى اطاعة
 اوامره و نواهيه ، وقال المشركون هلا يأتينا محمد بآية من ربّه من قبيل
 ما يذكر لنا عن قوم نوح و هود و صالح فقل لهم يا محمد ان ما اقوله
 لكم ليس منحصر الذكر بالقرآن فى الصحف الأولى ذكر واسع لذلك ولو
 انا اهلكنا كفار قومك يا محمد من اجل كفرهم قبل اتمام الحجة عليهم

بأرسالك لهم لقالوا حين يرون العذاب ربنا لم بغتتنا بالعذاب فهلا
ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك التي معه من قبل ان نذل ونخزي
بتعذيبك لنا امام الأقوم ، قل كل منى و منكم متربص لما يريد ه الله بنا
انا متربص لا نتصاره و انتم متربصون للأيقاع بى فستعلمون حين يحصل
موجب العلم من منى و منكم صاحب الصراط المعتدل و من هوالمهتدى
فى مسيرته .

الى هنا تم تفسير سور، الرعد، ابراهيم، الحجر، النحل، بنى
اسرائيل، الكهف، مريم، طه، من كتاب التفسير على يد مؤلفه
محمد بن محمد طه الحويزى الكرمى فلنشكر الله حامد ين . و يتبدأ
الجزء السادس بتفسير سورة الأنبياء .



* (فهرست الجزء الخامس من التفسير) *

العنوان	الصفحة
سورة الرعد - فهرست عن الاسلام	١
على في اطلاق البشرية	٤٩
شروع في تفسير سورة الرعد	٥٨
من عجائب خلقه الله	٥٩
لاعجب في المعاد	٦٠
استعجال العصاة بالعقاب	٦١
سعة علم الله	٦٣
انواع من قدرة الله	٦٤
حجاج مع المشركين	٦٦
مثال الحق و الباطل	٦٧
اهل البصائر و عمى القلوب	٧٠
عظمة القرآن و قدسيته	٧٢
تسليية لرسول الله	٧٣
النعيم و الجحيم	٧٤
شبه المشركين بالنسبة الى الانبياء	٧٦
انقاص الأرض	٧٧
سورة ابراهيم - وحي الله نور	٧٨
لا يد في الرسول من مسانحة قومه	٧٩
الله يزيد الشاكر	٨١
جواب الرسل للمتشككين فيهم	٨٣
تهديد الأتوام لرسولهم	٨٤

العنوان	الصفحة
محاورة الضعفاء مع المستكبرين	٨٦
مثال الايمان و الكفر	٨٨
انواع من نعم الله	٩٠
دعاء ابراهيم	٩٢
اشتباه الظالمين	٩٤
سورة الحجر - لا مؤاخذه الا مع اتمام الحجه	٩٧
الشريعة و الطبيعه	٩٩
تسليه الله لنبيه	١٢٣
انواع من قدرة الله	١٢٤
خلقة الجان و الانسان	١٢٥
تمرد ابليس	١٣٦
جزاء المتقين	١٣٧
ضيوف ابراهيم	١٣٨
مجيء الرسل لآل لوط	١٣٩
اصحاب الأيكة و اصحاب الحجر	١٤١
الله في عون عبده	١٤٣
الصبر و سعة الصدر	١٤٤
سورة النحل	١٤٦
انواع من نعم الله	١٤٧
الله يعلم الظاهر و الباطن	١٥٠
العاقبة مع الله	١٥١
المعاد حاصل	١٥٥

العنوان	الصفحة
الانبياء بشر	١٥٦
تحريم الشرك	١٥٨
استدراج الله للعصاة	١٦٠
من عجائب الخلق	١٦٢
الفرق بين المملوك و الحر	١٦٥
محاكمات يوم القيامة	١٧٠
جوامع من محاسن الأخلاق	١٧٢
لزوم الوفاء بالعهد	١٧٤
فرضية النسخ معقولة	١٧٦
من موارد التقية	١٧٨
يوم القيامة و ما فيه	١٨٠
الأفتراء على الله	١٨٣
الدعوة يلزم ان تكون بالحكمة	١٨٦
خطوط الانبياء	١٨٧
سورة بنى اسرائيل - الأسراء	١٩٣
افساد بنى اسرائيل	١٩٥
القرآن نعم الهادى	١٩٧
الترف المديد من دواعى الفسق	١٩٩
النعمة محك	٢٠٠
الأخلاق العالية	٢٠٢
ايتاء المستحقين حقوقهم	٢٠٧
عدّة من المناهى	٢٠٨

العنوان	الصفحة
لا تقف ما ليس لك به علم	٢١٠
القرآن فيه كل خير	٢١١
اكنه على قلوب الكفرة	٢١٢
استبعاد الكفرة للبعث	٢١٣
الأفناء و الأعادة	٢١٥
الأمر بالسجود لآدم	٢١٧
الله هو و سيلة النجاه	٢١٩
تكريم الله لبنى آدم	٢٢٠
الصلوات الخمس	٢٢٤
السؤال عن الروح	٢٢٦
استغراب المشركين للمعاد	٢٣٠
آيات موسى	٢٣٢
عظمة القرآن	٢٣٣
سورة الكهف - قيمومة الكتاب على الناس	٢٣٥
اصحاب الكهف	٢٣٧
ما يستحقه الكافر غدا	٢٤٥
المعتد بالله و الجاني له	٢٤٧
العمل الصالح هو العاقبة	٢٥٠
السجود لآدم	٢٥٢
وظائف البشرية المتعهدة	٢٥٥
موسى و الخضر	٢٦٣
الله و الطاغوت	٢٦٩

العنوان	الصفحة
المالكية الفردية	٢٧١
ذو القرنين	٢٧٥
المعاد وما وراءه	٢٧٩
سعة علم الله	٢٨٠
سورة مريم - مناجاة زكريا لربه	٢٨٢
آية زكريا	٢٨٤
ايتاء الله الكتاب ليحيى	٢٨٥
انتبأذ مريم من اهلها	٢٨٦
مكالمة المسيح لآمه فى اول وضعه	٢٨٨
ذكر ابراهيم فى الكتاب	٢٩١
موسى و هارون و اسماعيل	٢٩٣
ادوار البشرية	٢٩٤
الجنه ميراث المتقين	٢٩٩
عاقبه المغرورين فى الدنيا	٣٠١
اعانة الله لطالب الموقفيه	٣٠٢
اقتران الشياطين بالكافرين	٣٠٣
سورة طه - لاحرج ولا اجهاد فى الدين	٣٠٦
الوادى المقدس	٣١٠
ارسال موسى	٣١٥
معجزات موسى	٣١٦
تجهيز الله لموسى امام فرعون	٣١٩
الحديث من ميلاد موسى	٣٢١

العنوان	الصفحة
مجيء موسى و هارون لفرعون	٣٢٣
المادة وما وراء المادة	٣٢٤
سحرة فرعون	٣٢٩
اغراق فرعون و فتنة السامري	٣٣٦
عاقبة السامري	٣٤٦
يوم القيامة	٣٤٧
ابليس و آدم	٣٥٠
جواب الله للاشقياء بسبب معاصيهم	٣٥٢
العبرة و الاعتبار	٣٥٣
عدة تعاليم للنبي	٣٥٦

الزيب

ملوطة : وقع في آخر الصفحة ٢٣ من الجزء الرابع نص سطر بهذا

ارسل الينا ابا لباية وكان مناصحاً لهم لان عياله وماله واولاده كانوا

دووق في آخر الصفحة ٢٣ تصان الكلمات بهذا الزيب

قائماً على خلافه : دووق في آخر الصفحة ٢٤.

سطر ككتبت في البنات مسلون



WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
JULY - AUG 1994
We're Quality Bound

Princeton University Library



32101 057496950